

الجغرافية الانتخابية في لبنان

شروط التمثيل الديمقراطي

Publié par / Published by :
Fondation Konrad Adenauer, Allemagne
Section de la Coopération Internationale

Konrad Adenauer Foundation, Germany
Section international Cooperation

الجغرافية الانتخابية في لبنان

شروط التمثيل الديمقراطي



وقائع ندوتين عقدتهما

المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم ومجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف

بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور

ومشاركة الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية والجمعية العربية للعلوم السياسية

و"مرصد الديمقراطية في لبنان" - مؤسسة جوزف ولور مغيزل

في جامعة القديس يوسف، كلية الحقوق والعلوم السياسية، مجال علم السياسة

في 7/6 و 2001/12/1

إشراف

انطوان مسرّه

منشورات المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم

17

2002

صدر في منشورات المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم - إشراف انطوان مسره

1. الحق في الذاكرة، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، 1988، 260 ص.
2. العبور الى الدولة (من المعاناة الى المواطنة)، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، بيروت، 1992، 280 ص.
3. البناء الديمقراطي (الاشكالية والتخطيط للبنان ما بعد الحرب)، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1994، 240 ص.
4. مواطن الغد (نماذج في الثقافة المدنية)، الجزء الاول، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 1995، 496 ص.
5. بناء السياسات الاجتماعية في لبنان (الاشكالية والتخطيط)، بالتعاون مع مركز البحوث للانماء الدولي، 1995، 312 ص.
6. الاحزاب والقوى السياسية في لبنان (التزام واستراتيجية سلام وديموقراطية للمستقبل)، الجزء الأول، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1996، 592 ص.
7. مواطن الغد: الحريات وحقوق الانسان، الجزء الثاني، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 1998، 368 ص.
8. الاحزاب والقوى السياسية في لبنان: تجدد والتزام، الجزء الثاني، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1997، 288 ص.
9. علاقة المواطن بالادارة (نماذج في المعاملات والاعلام الاداري)، الجزء الأول، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 1998، 388 ص.
10. اقتصاد في سبيل العدالة الاجتماعية، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1998، 296 ص.
11. مواطن الغد: نعيش معاً في مجتمع، الجزء الثالث، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 1997، 368 ص.
12. النقابات والهيئات المهنية في لبنان (استراتيجية مشاركة وديموقراطية اجتماعية)، الجزء الاول، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1999، 256 ص.
13. علاقة المواطن بالادارة (نماذج في المعاملات والاعلام الاداري)، الجزء الثاني، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 1999، 384 ص.
14. تنمية المجتمع المدني في لبنان (منظومة قيم ومبادرة وتواصل وتدريب)، بالتعاون مع Mercy Corps International ، 2000، 752 ص.
15. النقابات والهيئات المهنية في لبنان، الجزء الثاني، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 2000، 256 ص.
16. الحكمة المحلية، (مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي في لبنان)، الجزء الاول بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديموقراطية، 2002، 576 ص.
17. الجغرافية الانتخابية في لبنان (شروط التمثيل الديمقراطي)، الجزء الاول، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 2002.

صدر في سلسلة "وثائق Documents"

Irene Lorfing, Antoine Messarra, Abdo Kahi (dir.), *Linking Civil Society to Sustainable Development* (A training Manual for Institutional Strengthening), Mercy Corps International and Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace, 1999, 120 p.

يصدر قريباً

18. الجغرافية الانتخابية في لبنان: شروط التمثيل الديمقراطي، الجزء 2، 2003.
19. فاعلون في السياسات الاجتماعية في لبنان، طبعة اولى محدودة 1999 وطبعة ثانية 2002.
20. مرصد السلم الاهلي الدائم في لبنان، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، 2002.
21. الحكمة المحلية، الجزء 2، 2003.
22. دراسات في الثقافة المدنية، 2003.

توزيع: المكتبة الشرقية، بيروت

ت 333379/200875 / 492112/217364 (01) - فاكس: (01) 216021

E-Mail: libor@cyberia.net.lb

التوزيع في الخارج لمنشورات المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم

www.BuyLebanese.com

Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace - P.O.Box 165-738 Beirut-Lebanon 1100 - 2070

E-mail : antoine@messarra.com

http : //antoine.messarra.com - http : //www.lfpcp.org

http : //monitoringdemocracy.com

**Fondation libanaise pour la paix civile permanente
Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace**

**Organisation / Organisation
2001 – 2002**

Comité exécutif / Executive Committee

Marie Thérèse Khair Badaoui
Wassef Haraké
Hassan Kawas
Sami Makarem
Antoine Messarra
Ibrahim Traboulsi

Directeur des programmes / Director

Antoine Messarra

Assistant exécutif / Executive Assistant

Tony Atallah

Coordonnateurs régionaux / Regional coordinators

Tony Atallah (Békaa / Bekaa)
Zalfa Fadlallah (Sud / South)
Roula Mikhail – Muhammad al-Masri (Nord/ North)
Maya Saad – Chadi Saad (Mont-Liban)

Chercheurs-membres / Researchers – Members

Georges Assaf
Siham Bawab
Sami Dagher
Amal Dibo
Chaoukat Eshtay
Aline Farah
Joumana Ghorra
Tania Awad Ghorra
Chahrazade Harakeh
Toufic Rachid Hindi
Alia Ibrahim
Abdo Kahi
Hyam Kahi

Issam Khalifeh
Victor el-Kik
Fadia Kiwan
Irène Lorfing
Evelyne Messarra
Roula Mikhail
Paul Morcos
Walid Moubarak
Ahmad Muallem
Antoine Saad
Betty Gilbert Sleiman
Leila Salloum Saad
Hassan Saleh
Antoine Seif
Rana Sidani
Leila Traboulsi
Haya Ziadé
Tarek Ziadé

Réseau Jeunesse / Youth Network

Joumane Hatab
Amale Hoteit
Hala Kahi
Roula Mikhail
Rana Moussawi

Site Internet et design / Internet and design

Kleudge Sarl

Administration et secrétariat / Administration and Secretary

Grace Maasri
Denise Dagher

Traduction / Translation

Rita Rousselle Matta
Rana Moussawi

Correspondance extérieure/ Outside Correspondance

Marie-Thérèse Zahr

Aide à la publication / Aid to Publication

Michel Mourad

Stagiaire à la Fondation / Trainee in the Foundation

Benjamin Saintamon, Institut d'études politiques, Université d'Aix-en-Provence.

Chercheurs et amis de la Fondation/ Researchers and friends of the Foundation

Cf. les listes dans les publications de la Fondation
See lists in the publications of the Foundation

Programmes de la Fondation / Programs
2001 – 2004

La géographie électorale au Liban : Les conditions d'une représentation démocratique / Lebanese Electoral Geography : Conditions for democratic representation.

La gouvernance Locale : Initiative, participation et citoyenneté au niveau local/ Strengthening Local Governance : Initiative, Participation and Citizenship at Local Level.

Observatoire de la paix civile au Liban / Monitoring Civil Peace in Lebanon.

La paix par le dialogue des cultures / Peace Through Cultural Dialogue.

Citoyenneté étudiante : La culture démocratique et son apprentissage à l'école et à l'université au Liban / Student Citizenship : Democratic Culture in Schools and universities.

Stabilité intérieure et sécurité régionale / Internal Stability and Regional Security.

Promotion et défense des droits économiques et sociaux/ Economic and Social Rights : Promotion and Advocacy.

Les politiques de jeunesse au Liban / Youth Policies in Lebanon.

Activités en réseau / Network Activities

Fondation Joseph et Laure Moghaizel

Association libanaise des sciences politiques

Association DES francophone de journalisme (AFEJ)

المحتويات

Sélim Abou

1. Se soumettre à l'opinion publique,

Guido Hildner

2. Un thème fondamental pour la démocratie,

Dr. Gregor Meiering

3. تمثيل الواقع وتغييره،

محمد المجذوب

4. استخلاص معايير ديمقراطية،

انطوان مسرّه

5. مصالحة مع الجغرافية

Antoine Messarra

5. Nous réconcilier avec l'espace,

الباب الاول

الاطار الجغرافي للانتخابات النيابية في لبنان

Première partie

L'approche géographique des élections législatives au Liban

Antoine Messarra

1. L'approche géographique du phénomène électoral au Liban,
2. La géographie électorale au Liban,

انطوان مسرّه

3. الحالة البحثية حول النظام الانتخابي في لبنان (1920 - 2002)،

عبدو قاعي

4. الجغرافية كاطار لممارسة الشأن العام: اشكالية للبحث والممارسة الديمقراطية في الانتخابات،

Jihad C. Nammour

5. L'ingénierie électorale et la géographie réinventée,

Benjamin Saintamon

6. La géographie électorale: Principes de base du découpage,

Rita Zaarour et Jocelyne Adjizian-Gérard

7. La cartographie : Un outil d'analyse du paysage électoral

انطوان غصين

8. الجغرافية الانتخابية والبنية السكانية في لبنان،

الباب الثاني

مناطق وسكان وطوائف: قواعد ميثاق انتخابي

Deuxième partie

Régions, démographie et communautés:

Les fondements d'un pacte électoral

فاديا كيوان

9. الجغرافية الانتخابية في لبنان ازاء التوزيع الطائفي،

واصف الحركة

10. الاهداف الدستورية في الجغرافية الانتخابية اللبنانية المتغيرة،

عصام سليمان

11. الميثاق الانتخابي اللبناني: صحة تمثيل المناطق والطوائف والتيارات السياسية:
خبرات واحصاءات 1992، 1996، 2000

سليمان تقي الدين

12. الجغرافية الانتخابية: خبرات وعبر،

شوكت اشتي

13. جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في لبنان اليوم،

Rania Safar

14. Adaptation du comportement électoral à la géographie
électorale: Cas des musulmans sunnites du quartier Beydoun à
Achrafieh,

الباب الثالث

مواقف واستنتاجات

Troisième partie

Attitudes et prospectives

جورج آصاف

15. رقابة المجلس الدستوري على تقسيم الدوائر الانتخابية،

Scarlett Haddad

16. Interviews et entretiens (Boutros Harb, Abdo Saad),

طوني عطاالله

17. استقصاء حول حجم الدائرة الانتخابية، مقابلات (قيصر معوض، طلال

الحسيني، انطوان حداد، البير منصور)،

نقولا ناصيف

18. ما يريده جنبلاط من قانون الانتخاب: تجربة القضاء معدلة للمساواة بين الاقليات
المذهبية، (النهار، 12 و 13/2/1999).

خاتمة ومناقشات

Synthèse et débats

انطوان مسرّه

1. "حكمة التمثيل الصحيح بدلا من التلاعب به"،

Quelle géographie électorale pour le Liban?,
La sagesse d'une représentation équitable,

المؤلفون

Les auteurs

المشاركون

سفارة المانيا في لبنان

M. Guido Hildner

مؤسسة كونراد اديناور

M. Gregor Meiering

مجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف

الاب سليم عبّو

فايز الحاج شاهين

الياس ابو عاصي

فاديا كيوان

الهيئة التنفيذية في المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم

انطوان مسرّه

ماري تريز خير بدوي

واصف الحركة

حسن القواس

ابراهيم طرابلسي

الجمعية العربي للعلوم السياسية

محمد المجذوب

الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية

انطوان مسرّه

محمد المجذوب

مرغريت حلو

ندى تيان

ماري عازوري يزيك

شوقي عطيه

جوزف دمر

برنامج "مرصد الديمقراطية في لبنان" - مؤسسة جوزف ولور مغيزل

فادي مغيزل

انطوان مسرّه

طوني عطاالله

ارليت سعاده ابي نادر

علي الامين

محمد عبد الامير بسام

كارلا اسعد بو داغر

الفة بوناتيرو

منصور بو صادر

محمد مصطفى شري

مصطفى دندشلي

فريد الخازن

زهير العبيدي

مي فرحات الشامي

روبير فرحات
كمال فغالي
ايلين حداد
فاتن محمد الحاج
ريما حاوي
يوسف الحوراني
جورج نجم الحويك
ياسمين كباره
احمد كزما
ناديا بشاره خوند
فكتور الكك
صبا مرعشلي
ميلاد نمور
الاب جوزف نصار
ميشال ناصيف
نينيا روزا نيكولا
موريس نهرا
اغوب بقرادوني
ايلين كريستينا بابادوبولوس
كريستوفوروس بوليتيس
جيزيل رزوق
نسرين سلهب
ماريز طنوس
ابراهيم طرابلسي
ايلي يوسف

ريتا زعرور

صونيا ابراهيم عطيه

سينتيا زيدان

بشير رفول

محمود ابو شاهين

ايليان شاطري

هالة الحمصي

ناجي مسعود

فادي صقر

امانة السر

غريس معاصري

دنيز داغر

Benjamin Saintamon

مقدمة

Introduction

1

Se soumettre à l'opinion publique

Sélim Abou

Recteur de l'Université Saint-Joseph

La "formation science politique" est très recherchée dans les sociétés les plus développées alors que dans les sociétés en développement, c'est une formation presque inexistante, souvent confondue avec l'idéologie des régimes politiques en place.

Il n'est pas sans signification que l'Université Saint-Joseph soit la première dans le monde arabe à offrir une formation science politique. Le fait que l'Association libanaise des sciences politiques et l'Association arabe des sciences politiques en collaboration avec la Fondation libanaise pour la paix civile permanente et la Fondation Adenauer ont décidé d'organiser ce colloque à l'Université Saint-Joseph représente, à mes yeux, la reconnaissance de notre initiative pionnière.

L'Espace science politique de la Faculté de droit, aménagé récemment à l'occasion de la mise en place de l'Ecole doctorale de science politique en collaboration avec l'Agence Universitaire de la Francophonie, est aujourd'hui un reflet de l'intérêt grandissant pour la réflexion sur les thèmes politiques majeurs.

Au XIXe siècle, Auguste Comte avait établi un lien de causalité entre la naissance de la science sociale et les crises sociales qui traversaient l'Europe à cette époque-là. Aujourd'hui la montée en flèche de la science politique peut être considérée comme le signe de l'ampleur des crises politiques qui traversent notre temps et nos sociétés.

Je trouve particulièrement important que la communauté scientifique en science politique se penche sur le phénomène électoral au Liban, car il s'agit là d'un thème majeur qui occupe les uns et préoccupe les autres.

La littérature scientifique sur les élections dans le monde arabe n'est pas abondante, et nous savons un peu pourquoi. Il est donc temps d'étendre et d'approfondir la réflexion et la discussion sur ce sujet.

Le thème de votre colloque est important à plus d'un titre. Il reflète un souci de société, il peut conduire à des éclairages utiles pour la pratique politique au Liban, utile aussi pour le monde arabe qui se trouve aujourd'hui interpellé par des grandes questions : le dialogue des cultures, le dialogue des religions, les libertés démocratiques, l'Etat de droit, l'authenticité de la représentation politique, la transparence des pratiques publiques, la gouvernance.

Il me reste à vous souhaiter des travaux fructueux. Je suis sûr que le climat de dialogue et le souci de rigueur qui imprèneront vos échanges vous permettront de voir plus clair dans le paysage électoral libanais, qui a été assez sombre pendant cette dernière décennie.

Puisse notre expérience électorale récente – qui est des plus amères, il faut en convenir – nous avoir appris qu'il est toujours plus sage de se soumettre à l'opinion publique que de la manipuler.

2

Un thème fondamental pour la démocratie

Guido Hildner

Chargé d’Affaires Ambassade d’Allemagne au Liban

En tant que représentant de l’Ambassade d’Allemagne au Liban, il est un grand honneur pour moi d’être avec vous au séminaire sur le sujet : « La géographie électorale au Liban ». Vous avez choisi un sujet qui est fondamental pour la démocratie. Pour cette raison je suis heureux que la Fondation allemande Konrad Adenauer a contribué à la réalisation de ce séminaire.

Cet engagement de la Fondation Konrad Adenauer est un bon exemple de la volonté de l’Allemagne de mener un dialogue étroit et amical sur les valeurs démocratiques avec le Liban, comme avec les autres pays de la région. Cet engagement n’est pas nouveau. Il a évidemment déjà existé avant le 11 septembre 2001. Mais les événements tragiques de ce jour aux Etats-Unis et les activités qui se sont développées par la suite ont souligné l’importance de ce dialogue.

Ces événements ont, d’ailleurs, montré qu’il y a un consensus sur les valeurs fondamentales dans toutes les sociétés civilisées. C’est une constatation qui est probablement évidente pour vous. Mais étant donné qu’il y a des gens qui parlent d’une guerre des cultures, il me semble utile de la rappeler.

Les événements du 11 septembre 2001 dominent actuellement les relations internationales. Une des questions principales à l’heure est la suivante : Quelles sont les causes du terrorisme ? Il n’y a pas de réponse simple. Certainement il y a toute une série d’éléments qui sont importants et qui méritent d’être étudiés étroitement. Il semble que parmi ces éléments aussi la question de la représentation politique joue un rôle. Le sentiment de pouvoir participer au processus de décision politique, le sentiment de pouvoir influencer les décisions et d’être représenté dans les

organes qui formulent la politique est essentiel pour l'acceptation du système politique. Si ce sentiment n'existe pas, si le sentiment contraire existe et si la possibilité de participer et à être représenté au niveau politique est nié, il y a des gens qui vont résoudre la situation par la violence et parfois même le terrorisme. Dans ce contexte, le sujet de votre séminaire a aussi une importance actuelle.

Le sujet de votre séminaire est également fascinant pour des études comparatives. Il est clair que les élections sont la base même de chaque démocratie. Ainsi, il y a des principes fondamentaux qui sont indispensables et acceptés par tous les systèmes démocratiques. Ces principes communs exigent que les élections soient générales, directes, libres, égales et secrètes. Ce consensus universel, quant aux principes fondamentaux, fait face à une diversité immense quant aux détails. C'est dans ces détails que se manifeste l'histoire spécifique et les traditions divergentes des pays démocratiques. Si vous prenez le cas de l'Union Européenne, vous trouvez d'une part une communauté étroite de valeurs mais, d'autre part, une multiplicité impressionnante de systèmes électoraux. Chaque pays a sa propre particularité. Ces particularités sont même respectées aux élections communes au Parlement européen.

L'Allemagne, par exemple, a un système unique concernant ses élections les plus importantes à savoir au parlement fédéral, le Bundestag. Il s'agit d'un droit de suffrage proportionnel personnalisé. Chaque électeur possède deux voix. Avec la première voix, il élit le candidat de sa circonscription électorale et ce, selon le droit de vote, à la majorité relative. C'est-à-dire quiconque obtient le plus grand nombre de voix est élu. Avec sa seconde voix, l'électeur décide quel député il veut faire entrer au Bundestag, par le canal des listes des partis dans les Lander (les Lander sont les états membres de la fédération allemande). Les voix des différentes circonscriptions électorales et celles allant aux listes des Lander sont calculées de telle manière que le Bundestag se compose pratiquement au prorata des voix obtenues par les différents partis. A côté de ces élections au parlement fédéral, il y a des élections aux parlements des Lander et aux représentations des districts et des municipalités.

Comme tous les pays démocratiques aussi le Liban a son système qui est propre à lui et qui est le résultat de son histoire et de ses traditions. La réflexion sur ce système vaut tout effort dans l'intérêt du Liban. Dans ce cadre se place votre séminaire auquel je souhaite beaucoup de succès.

تمثيل الواقع وتغييره*

غريغور ميرينغ

مؤسسة كونراد اديناور

أشكر للدكتور انطوان مسرّه تعاونه على مدى سنوات طويلة. ليس لنا في لبنان مكتب مستقل، هناك فقط مكتب اقليمي في عمان. ولكن نسعى لأن يكون لدينا في المستقبل مكتب لمؤسسة كونراد اديناور في لبنان، لكن نستفيد نحن ايضا كألمان من الامكانيات الاقليمية الموجودة في هذا البلد.

حين ناقشنا البرامج لسنة 2001 اخترنا بطبيعة الحال الجغرافية الانتخابية في لبنان، لأن هذا الموضوع ليس مهمًا فقط على مستوى لبنان كبلد من البلدان العربية، ولكنه مهم على المستوى الاقليمي. نأمل تناول هذا الموضوع على مستوى اقليمي برعاية شريكنا اللبناني، وناقش الانظمة الانتخابية في الوطن العربي ككل.

أرحّب كذلك بالتعاون اللبناني-اللبناني في هذا الموضوع، بين المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم من ناحية ومجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف، والجمعيتين اللبنانية والعربية للعلوم السياسية، وبرنامج "مرصد الديمقراطية في لبنان" في مؤسسة جوزف ولور مغيزل. لا أريد التكلم كثيرًا عن أهمية موضوع الجغرافية الانتخابية، لأن هذه الاهمية واضحة للغاية، ولأن الخبراء أساسًا موجودون وسناقش الامور المتعلقة بهذا الموضوع خلال يوم كامل.

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل.

اريد ان اقول جملة واحدة فقط وهي: يجب على النظام السياسي ان يمتثل الواقع السياسي والاجتماعي، ولكنه ينبغي ايضا ان يغيّر هذا الواقع السياسي والاجتماعي. نحن لسنا ثوريين لا كألمان ولا كمؤسسة كونراد اديناور. لكن البلاد العربية بحاجة الى تغييرات سياسية عميقة. لذلك أمل ان نناقش الموضوع اليوم: "الجغرافية الانتخابية"، بمعنى انه لا بد ان يكون النظام الانتخابي يمتثل الواقع السياسي. ولكن يجب ألا ننسى انه من المفروض ان نغيّر ايضا هذا الواقع السياسي العربي واللبناني.

استخلاص معايير ديمقراطية

محمد المجذوب

الجمعية العربية للعلوم السياسية والجمعية اللبنانية للعلوم السياسية

تهدف هذه الندوة الى استخلاص معايير ديمقراطية في الجغرافيا الانتخابية، صالحة لتوفير شروط عادلة لتمثيل نيابي ديمقراطي في بلد يفخر ويفاخر بأنه والحرية، بمعناها الانساني الشامل، صنوان أو توأمان لا ينفصلان ولا يختلفان ولا يهلكان.

وعلم السياسة، منذ قيام المجتمع السياسي واعتناق المبادئ الديمقراطية، يعنى بقانون الانتخاب وما يرافقه من تصرفات وملابسات وتداعيات، ويعتبره من الركائز الاولى للديمقراطية.

وعلماء السياسة والاجتماع أدركوا قيمة هذا القانون وأهميته في المجتمع، فأكدوا، كما فعل المفكر الفرنسي ريمون آرون R. Aron، انه الابن الشرعي للنظام الديمقراطي ووريثه الوحيد الذي يرفده بالنخب السياسية من فئة دمه، وانه مرآة النظام السياسي يتبعه كظله ولا يتمرد عليه.

هناك ترابط وثيق بين النظامين الانتخابي والديمقراطي. وتتجلى المفاصل الاساسية التي يتميز بها هذا الترابط في الأمور التالية:

أولاً: ان هناك تفاعلا بين النظامين الانتخابي والسياسي. فالنظام الانتخابي يعكس صورة النظام السياسي وينبئ بما يحفل به من محاسن او مساوئ، وبما ينطوي عليه من احترام للحقوق والحريات، او من نيات لقمعها وانتهاكها. ولهذا اصبحت المبادئ والقيم الديمقراطية التي يقوم عليها النظام الانتخابي معياراً صادقاً لمدى تقدم او تخلف النظام السياسي.

ثانياً: ان الديمقراطية البرلمانية هي أسمى الديمقراطيات، او على الأقل افضلها على الصعيد السياسي. الا ان هذه الديمقراطية لا تكتسب هذه القيمة الا اذا اقترنت بوجود نظام انتخابي يضمن للناخبين حق الاقتراع الحر، وللمرشحين حق الافصاح عن برامجهم، وللناخبين حق الاصغاء الحر، بالوسائل الاعلامية الحرة، الى الآراء والمساجلات التي تدور خلال المعارك الانتخابية. وبما ان هذه الديمقراطية التي اصبحت تراثاً انسانياً مشتركاً تتطلب، الحين بعد الحين، الاحتكام الى الشعب بانتخاب ممثلين له يعبرون عن آماله وتطلعاته، فقد أصبح لزاماً على الدول (ومنها لبنان) التي اختارت الديمقراطية البرلمانية نظاماً للحكم تطبيق نظام انتخابي يستمد مبادئه وقيمه من هذا التراث الانساني.

ثالثاً: ان فساد النظام الانتخابي يؤدي الى فساد الديمقراطية البرلمانية او الى انحطاطها. وهذه المقولة لا تحتاج الى شرح او اثبات، ففساد النظام الانتخابي في لبنان، مثلاً، كان من العوامل التي مهدت الطريق لاندلاع الاضطرابات، وتقادم الازمات، واللجوء الى الاضرابات، وتفكك الوحدة الوطنية، وحمل السلاح الفاجر ابتداء من العام 1975.

رابعاً: ان الاقتراع العام هو الشرط الاول للديمقراطية والقاعدة المطلوبة لتحقيق المساواة السياسية بين المواطنين. واذا كان بعض منتقدي النظام الديمقراطي يعتبر الانتخاب آلية شكلية، ويرى في المساواة امام صناديق الاقتراع وسيلة لإخفاء اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية، فإن جميع الباحثين يؤكدون ان مبدأ الاقتراع العام يؤسس نوعاً من المساواة بين البشر ينطوي على فكرة تأسيس المجتمع البشري ذاته، فقبل الأخذ بهذا المبدأ لم يكن هناك وجود للمجتمع السياسي. وقاعدة الصوت الواحد للفرد الواحد، او قاعدة المساواة السياسية، غدت مبدأ يفرض نفسه حتى على الأنظمة الشمولية والديكتاتورية، فلم يعد هناك اليوم من يجرؤ على الرفض الصريح لمبدأ الاقتراع العام. والحكام المستبدون يؤثرون التلاعب بالمبدأ، او تزوير نتائجه، بدلاً من حظره او التكر له. وعندما يضطرون الى تعليق ممارسته لا يجدون أمامهم ذريعة سوى الادعاء بان ذلك إجراء مؤقت واستثنائي.

والإجماع على مبدأ الاقتراع العام أمر جديد وحديث في تاريخ الفلسفة السياسية. فهذا المبدأ بقي، حتى نهاية القرن التاسع عشر، موضع خلاف واختلاف، حتى في الدول التي كانت تدعي العراقة والريادة في الديمقراطية. وهو لم يحظ بالتطبيق الشامل الا في القرن العشرين.

ولو تفحصنا التاريخ الفرنسي لوجدنا ان المرسوم الأول المتعلق بممارسة حق الاقتراع قد صدر عن الجمعية التأسيسية للثورة الفرنسية في 1791/9/3. ولكن الجمعية قيدت حق الانتخاب بثلاث قيود: السن (25 سنة) والجنس (الناخب ذكر) والضريبة (ضريبة سنوية يدفعها الناخب لا يقل مقدارها عن أجر ثلاثة أيام من العمل).

وعندما أعيدت الملكية الى فرنسا في العام 1814 (بعد هزيمة نابليون في معركة واترلو)، رفعت سن الرشد السياسي للناخب الى ثلاثين سنة، وزيد مقدار النصاب الضريبي، وحل مفهوم المواطن المالك محل مفهوم المواطن المكلف.

ومع الجمهورية الثانية في العام 1848، صدر مرسوم بمنح حق الانتخاب لجميع الراشدين الذكور ممن اتموا الحادية والعشرين من العمر، دون اشتراط اي نصاب ضريبي. ولكن المرأة بقيت محرومة من حق الانتخاب. وكان لا بد من انتظار قرن كامل لكي تبادر حكومة موقته، هي حكومة فرنسا الحرة، الى الغاء قيد الجنس ومنح المرأة، بموجب المرسوم الصادر في 1944/4/21، الحق في ان تنتخب وتنتخب .

وكان آخر تطور في مجال تعميم حق الانتخاب هو القانون الذي صدر في 1947/7/5، وقلص السن القانونية لممارسة حق الانتخاب ثلاث سنوات، فجعلها 18 سنة. ونشير هنا الى انه لم يعمل في بريطانيا بالاقتراع العام للذكور الا في العام 1918، وللاتا في العام 1928. اما في سويسرا، فكان على المرأة ان تنتظر حتى العام 1971 لكي تحصل على حق الانتخاب.

خامساً: ان النظام الانتخابي يرتبط ارتباطاً عضوياً بالديمقراطية البرلمانية التي تقوم على مبدأ التمثيل الشعبي. غير ان هذه الديمقراطية لا تستقيم الا بوجود أحزاب سياسية. فغياب الأحزاب هو الداء المميت للديمقراطية. ولهذا وصف الباحثون الديمقراطية بانها "دولة احزاب"، واعتبروا الاحزاب عماد الديمقراطية، وأكدوا ان النظام الانتخابي والنظام الحزبي امران متلازمان.

سادساً: ان القوانين توضع لخدمة المجتمع، وتنسيق العلاقات بين الأفراد، أو بينهم وبين الادارات والمؤسسات العامة، وتحديد الحقوق والحريات والصلاحيات. وتقنين الواقع والممارسة بهدف استيعاب التطورات والتغيرات.

وقانون الانتخاب، في اي بلد، لا يختلف، من هذه الناحية، عن اي قانون آخر. ولكن القوانين الانتخابية المختلفة في بلدنا برهنت على عجزها عن انجاز هذه المهمة: فكانت اداة للتباعد بين المناطق، ووسيلة لتعزيز الانقسامات والتكتلات الطائفية، وسدًا في وجه التفاعل والانصهار بين أبناء الوطن الواحد، وعملاً لإدامة التحالف الجهني بين الاقطاع السياسي والاقطاع المالي.

سابعًا: ان كل عهد من العهود الرئاسية عندنا يحاول وضع قانون انتخابي يتلاءم مع أهدافه واتجاهاته، او يخدم مصالحه ومصالح الفئات التي يمثلها او يتعاون معها، او يرضي نزواته ويجتد له أغلبية مؤيدة ومناصرة في مجلس النواب. وبعبارة اخرى: ان القوانين الانتخابية في بلدنا كانت دومًا اداة في أيدي الحكام لرسم الخريطة السياسية التي تساعدهم على تحقيق مخططاتهم.

ومن أهم المآخذ على هذه الخريطة السياسية المتعلقة بالجغرافيا الانتخابية طريقة تقسيم البلد الى دوائر انتخابية بواسطة قوانين مناقضة لمبدأ المساواة الذي ينص عليه الدستور في مقدمته (البند ج) وفي مادته السابعة.

فهذه الطريقة كانت دائمة عملية سياسية استتسابية وعشوائية تنطوي على أغراض خاصة، من شأنها الاجهاز على القيمة الاقتراعية لمبدأ الانتخاب الشعبي. ولهذا اكد المجلس الدستوري اللبناني في قراره الصادر في 1996/8/7:

- ان الانتخاب لا يكون تعبيرًا ديمقراطيًا صحيحًا عن سيادة الشعب "إلا اذا تأمنت من خلاله المبادئ العامة الدستورية التي ترعى الانتخاب، ولا سيما مبدأ مساواة المواطنين امام القانون".

- و"ان القانون يجب ان يكون واحدًا لجميع المواطنين، انطلاقًا من مبدأ اعطاء كل صوت القيمة الاقتراعية ذاتها في مختلف الدوائر الانتخابية، ومن خلال المساواة في محتوى قانون الانتخاب بالنسبة الى تقسيم هذه الدوائر".

- و"ان صدقية النظام التمثيلي لا تتوقف فقط على المساواة في حق التصويت، بل تركز ايضا على قاعدة تقسيم للدوائر الانتخابية تكون ضامنة للمساواة في التمثيل السياسي".

ان قوانين الانتخاب عندنا لا تتوافر فيها جميع شروط التمثيل الديمقراطي السليم، وانها تحتاج، على صعيد الجغرافيا الانتخابية، الى اصلاحات جذرية لمعالجة الخلل الذي ما فتى، منذ الاستقلال، يعرقل الجهود الرامية الى بناء وطن سيّد حر مستقل ونهائي، يقوم على احترام الحريات العامة والعدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع ابنائه، دون تمايز او تفضيل.

وأملنا ان تكون هذه الندوة، بأبحاثها ونتائجها، حافزاً للمسؤولين للانكباب على قراءة كتاب الجغرافيا الانتخابية، والتوقف، ولو مؤقتاً، عن التجرّ في علوم المال والخصخصة والضرائب المضافة والمنقحة.

مصالحة مع الجغرافية

انطوان مسرّه

المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم

يحتاج اللبنانيون، بعد مرحلة من الاختبارات التاريخية الطويلة في النزاع والتوافق، الى مصالحة ليس فقط مع تاريخهم، بل ايضاً مع جغرافيتهم. يشهد تاريخ لبنان على معاناة مشتركة بين اللبنانيين، وتراث عريق من الانجازات، وسعي لرؤية حول رسالة لبنان وطناً لميثاق العيش المشترك وفاعلا في نهضة عربية متجددة مع مطلع القرن الواحد والعشرين.

لكن المصالحة مع الجغرافية تطرح قضايا اخرى، ابرزها:

البعد النفسي: المجال اللبناني في ادراكه هو مصدر تفاخر في عراقه تاريخه الذي يرقى الى ستة آلاف سنة، لكنه مجال تجزأ وتطيف وتم استملاكه بفعل خطوط التماس، ليس المادية فحسب بل النفسية ايضاً. ان التكامل والتضامن والتفاعل بين مكونات الجغرافيا اللبنانية هي المفاهيم الاساسية لكتابة وتعليم متجددين لتاريخ لبنان طبقاً للمرسوم 3175 تاريخ 8 حزيران 2000 المتعلق بمناهج تعليم التاريخ¹.

البعد الاقتصادي والتنموي: يقتضي ان تشمل السياسات العامة مجموع المناطق التي هي معنية جميعها بالدور الناظم للدولة المركزية.

البعد السياسي: انها مشكلة التمثيل وطريقة ادارته من خلال التقسيمات الانتخابية. غالباً ما تم اغراق الجغرافيا الانتخابية في لبنان في مجموعة اعتبارات، حتى من جانب

¹. الجريدة الرسمية، عدد 27، تاريخ 22 حزيران 2000، ص 2114 - 2195.

اخصائيين، وينتهي السجل العام في نهاية المطاف في اقرار متسرع لقانون انتخابي يرجح حظوظ الناخبين الكبار واعتبارات خارجية.

ان مسألة تقسيم الدوائر، عدا مقتضيات التمثيل العادل وشرعنة النظام، هي محورية بالنسبة للبنان لاسباب ثلاثة، هي:

1. **ميثاق العيش المشترك:** يستطيع النظام الانتخابي اللبناني من خلال تقسيم الدوائر ان يؤمن الانطباق او عدمه مع روحية الهيئة الانتخابية الموحدة التي بموجبها يصوت ناخبون من طوائف متعددة لمرشحين من عدة طوائف، بدل ان تتمثل الطوائف بواسطة هيئات طوائف منفصلة. قد تؤدي آلية تقسيم الدوائر الى خلل في النظام التمثيلي اللبناني والى اضعاف قدرة مجلس النواب في ان يكون محور حوار دائم ومؤسسي. ان الدمج المصطنع لمناطق ذات تركيبة طائفية متميزة، كما الفصل المصطنع لمناطق ذات تركيبة طائفية متجانسة، يؤديان الى الاخلال بالانسجام تحت ذريعة صيانتته.

2. **الحكمية الانتخابية:** يتم غالبًا البحث في تقسيم الدوائر من زاوية المبادئ العامة او انطلاقًا من ايدولوجيا الاندماج الوطني، بينما هي مرتبطة بشكل وثيق بالحكمية الانتخابية. مداخلات السلطة، والرشوة وسيطرة المال والانتهاكات... المنافية للتمثيل الديمقراطي هي كلها عوامل تتعاظم او تتراجع بحسب حجم الدوائر. وهكذا طالما ان معايير الحكمية الانتخابية الجيدة غير مضمونة، فان تقسيم الدوائر يجب ان يحد من الانحرافات المناقضة للديمقراطية. وعندما يتجاوز حجم الدائرة 5 أو 6 مقاعد، مضافًا الى نظام انتخابي اكثر، فإن تشكيل اللوائح هو الذي يقرر سلفًا النتائج بواسطة الناخبين الكبار الذين يؤلفون لوائح - محادل تضعف حظوظ التنافس الفعلي.

3. **المعايير العملية:** ان اي نظام انتخابي، حتى وان اعتبر جيدًا، يقتضي بالضرورة اعادة النظر فيه بعد دورتين او ثلاث، لسبب عملي هو ان استمراريته لوقت طويل ينتج عنه

خبراء في الانتخابات يفوزون، ليس لأنهم الأكثر شعبية، بل لأنهم يفعل الخبرة أكثر مهارة في التحكم بالماكيناة الانتخابية.

5

La géographie électorale au Liban : Nous réconcilier avec l'espace

Antoine Messarra

Les Libanais, après une période troublée et une longue histoire, à la fois de conflit et de consensus, ont besoin de se réconcilier non seulement avec leur histoire, mais aussi avec leur géographie. Une histoire nationale émerge des souffrances partagées, d'un patrimoine séculaire de réalisations communes et d'une vision prospective du Liban, promoteur de convivialité et acteur d'une nouvelle renaissance arabe à l'aube du 21^e siècle.

Mais la réconciliation avec l'espace pose d'autres problèmes.

Il y a une dimension *psychologique* dans la perception de l'espace-Liban, certes glorifié comme territoire de 6.000 ans d'histoire, mais qui a été fragmenté, sectarisé et approprié par des démarcations, non seulement matérielles, mais aussi mentales. Complémentarité, solidarité et interaction entre les composantes géographiques du Liban sont les concepts fondamentaux pour une écriture et un enseignement renouvelés de l'histoire du Liban, conformément au décret no 3175 du 8 juin 2000 relatif aux nouveaux programmes d'enseignement de l'histoire².

Il y a aussi la dimension *économique* et de développement, de sorte que le flux des politiques publiques enveloppe l'ensemble des régions, toutes concernées par l'action régulatrice de l'Etat central.

Il y a aussi la dimension *politique*, à savoir tout le problème de la représentation et la manière de la gérer au moyen du découpage électoral.

Or le problème de la géographie électorale au Liban a souvent été noyé, même par des spécialistes, dans un ensemble de considérations, favorisant ainsi, en fin de parcours, la promulgation d'une loi électorale à l'avantage de grands électeurs et de considérations étrangères aux Libanais eux-mêmes.

². *Journal officiel* no 27 du 22 juin 2000, pp. 2114 – 2195.

Le problème de la géographie électorale, c'est-à-dire du découpage des circonscriptions, est central au Liban pour trois raisons, outre les exigences de représentation et de légitimation du système :

1. *Le pacte de coexistence* : C'est à travers le découpage que le système électoral libanais assure la cohérence ou l'incohérence avec le principe du collège électoral unique en vertu duquel des électeurs de différentes communautés élisent des candidats de différentes communautés, au lieu que les communautés ne soient représentées par le canal de collèges communautaires séparés. Nombre de dysfonctionnements du système représentatif libanais et de l'aptitude du Parlement libanais à être le pôle de dialogue permanent et institutionnalisé découlent du système de découpage. Le mélange artificiel de régions à composition communautaire distincte, tout comme la scission artificielle de régions à composition communautaire homogène, perturbent la coexistence harmonieuse sous prétexte de la consolider.

2. *La gouvernance électorale* : La question du découpage, souvent envisagée sous l'angle des principes généraux ou d'une idéologie de l'intégration nationale, est tributaire de la gouvernance électorale. Ingérence du pouvoir, corruption, prédominance de l'argent, fraude... sont favorisées ou défavorisées en fonction de la dimension des circonscriptions. Ainsi tant que les normes de la bonne gouvernance électorale ne sont pas garanties et observées, le découpage doit constituer un frein aux dérives anti-démocratiques. En outre, quand le volume de la circonscription dépasse les cinq ou six sièges, volume associé avec un système majoritaire, c'est la formation des listes qui décide des résultats par le canal de grands électeurs qui constituent des listes-bidons réduisant les chances d'une réelle compétition.

3. *Pragmatisme des critères* : Un système électoral, même satisfaisant, doit nécessairement être remis en question après deux ou trois scrutins, pour la raison pragmatique que la pérennité du système crée des experts électoraux qui réussissent, non parce qu'ils sont plus populaires, mais parce que, avec l'expérience, ils deviennent plus habiles que les nouveaux candidats à manier la machine électorale.

الباب الاول

Première partie

الاطار الجغرافي للانتخابات النيابية في لبنان

*L'approche géographique des élections
législatives au Liban*

1

L'approche géographique du phénomène électoral: Les conditions d'une représentation démocratique

Antoine Messarra

L'approche géographique du phénomène électoral, souvent immergé dans d'autres considérations, explique la nature et la qualité de la représentation. La géographie en effet, parce qu'elle détermine le cadre d'exercice de la citoyenneté et les dynamiques du développement régional et national, alimente ou perturbe l'aspiration à une démocratie de proximité dans un monde globalisé. L'approche géographique est encore plus opérationnelle et stimulante dans une société multicommunautaire comme celle du Liban où, après des années de guerre, il faut réconcilier les citoyens avec l'espace.

La richesse de l'expérience historique libanaise

Le Liban a connu depuis 1934 des expériences variées de géographie électorale, toutes d'ailleurs critiquées ou controversées. Mais un principe demeure constant, celui du collège électoral unique consacré par l'arrêté n° 1308 du 10 mars 1922 qui dispose que « l'ensemble des électeurs de la circonscription électorale, de chaque collège électoral, sans distinction de rite, vote pour le ou les candidats à élire ». La même disposition est aujourd'hui reproduite sous une forme légèrement modifiée dans l'article 4 de la loi n° 171 du 6 janvier 2000 : « Tous les électeurs de la circonscription électorale sans distinction de communauté votent pour les candidats de cette circonscription. »

Le dilemme du collège électoral unique

Les inconvénients du collège électoral unique découlent de son avantage même. Il contraint à la modération, mais risque d'exclure de la représentation des candidats jugés plus représentatifs de leur communauté ou de noyer la représentation des minorités dans une représentation plus globale et souvent factice. Il en découle une faible aptitude du parlement, comme il a été souhaité par les premiers constituants, à être le lieu du dialogue national permanent et institutionnalisé (tableaux annexes).

La finalité d'un système électoral ne peut être qu'un haut niveau de représentation afin que l'assemblée qui en est issue jouisse d'un haut niveau de légitimité et soit capable de mener une négociation en profondeur qui débouche sur des décisions acceptables par la population. Si la société est fortement fragmentée ou confessionnalisée, la solution ne réside pas dans un système électoral qui produit artificiellement une assemblée monolithique. Une telle assemblée sera certainement débordée par son peuple, non plus légal, mais réel. Or le Parlement libanais a toujours été débordé en période de crise par des parlements communautaires et par la rue, devenue une institution de fait.

L'idéal et la manipulation

Autant la géographie électorale doit être régie par un ensemble de principes, dictés par l'expérience et la nature de la société politique, autant l'organisation du scrutin dans son ensemble doit être soumise à des révisions périodiques. Tout système électoral, même idéal, cesse en effet de l'être avec le temps, car il crée des experts qui connaissent les rouages et les clés de l'opération et réussissent aux élections, aux dépens des nouveaux candidats, non parce qu'ils sont plus populaires, mais parce qu'ils savent manipuler la machine dont ils connaissent désormais les rouages. Il faudra donc périodiquement changer quelque chose pour respecter le principe de l'égalité des chances dans la compétition politique.

On entend par circonscription la division du territoire servant de *cadre* à l'exercice de compétences, administratives, juridictionnelles ou autres, ou à des opérations électorales.

Le *gerrymandering*, du nom d'un gouverneur du Massachusetts, Gerry, célèbre au XIXe siècle pour ses talents en matière de « charcutage électoral », consiste à dessiner une circonscription électorale à des fins politiciennes en vue d'assurer un avantage partisan.

La proporz : quantitative ou qualitative ?

La règle du quota ou *proporz* assure une représentation garantie de toutes les communautés, mais cette représentation est purement quantitative, si les candidats élus ne sont pas perçus comme véritablement représentatifs.

Le système concurrentiel de gouvernement risque de *ne pas* représenter les minorités, mais le système consensuel, tout en garantissant la représentation,

risque de *mal* représenter les minorités par le canal d'une représentation purement quantitative.

La règle du quota comporte cependant un grand avantage : la compétition électorale n'est pas *inter*-confessionnelle, mais *intra*-confessionnelle, en ce sens que le rival d'un candidat maronite n'est pas le sunnite ou le chiite, mais un autre ou d'autres candidats maronites.

Le pouvoir citoyen

Jamais le sentiment d'impuissance n'a été aussi profond chez le citoyen libanais, qui se trouve dépouillé de son pouvoir face à des listes-bidons et des chefs de liste qui traînent avec eux des alliés dont on se demande s'ils ne sont pas plutôt des clients.

La grande circonscription, jointe à un système majoritaire et à un scrutin de liste-bidon, augmente les effets de la sous-représentation. Elle réduit aussi l'effectivité du choix de l'électeur, choix désormais dicté par la sélection préalable effectuée par le pouvoir de l'argent.

Les grandes villes dans chacun des grands mohafazats, Beyrouth, Zahlé, Tripoli, Saida..., exigent un traitement électoral particulier. Autant les problèmes urbains méritent d'être gérés au quotidien par des conseils municipaux et des comités de quartier, autant l'unicité de la ville doit être sauvegardée au sommet de la représentation politique. La ville, lieu par excellence de la rencontre et de l'échange, est la plus menacée de rupture et de fragmentation.

2

La géographie électorale au Liban:

Les conditions d'une représentation démocratique

Antoine Messarra

Les trois derniers scrutins au Liban, en 1992, 1996 et 2000 ont suscité de vives controverses et contestations à propos notamment de la manipulation de la dimension des circonscriptions (*gerrymandering*) dans le but de favoriser ou de défavoriser des candidats et courants politiques.

Le Liban jouit d'une riche expérience historique quant au volume des circonscription et son impact sur la représentation nationale et communautaire (*Tableau 1*).

Tableau 1 – L'évolution de la géographie électorale du Liban
(1934 – 2000)

	Années	Nombre de circonscriptions	Nombre de sièges
Grande circ.	1934-1950 ³ 3e, 4e, 5e et 6e législatures	5	25, 63, 55, 55
Circ. relativement moyenne	1951 – 1953 ⁴ 7e législature	9	77
Petite circonscription	1953 – 1957 ⁵ 8e législature	33	44
	1957 – 1960 ⁶ 9e législature	27	66
	1960 – 1976 ⁷ 10e, 11e, 12e et 13e législatures	26	99
Retour à la grande circ.	1996 – 2000	5	128
Cir. relativement moyenne	2000 ⁸ - 2005	14	128

Le problème de la dimension de la circonscription revêt une importance capitale au Liban en ce qui concerne la conciliation entre représentation nationale et représentation des communautés.

Dès l'origine, le Liban a adopté le principe du collège électoral unique consacré par l'arrêté no 1308 du 10 mars 1922 qui dispose que "l'ensemble des électeurs de la circonscription électorale, de chaque collège électoral, sans distinction de rite, vote pour le ou les candidats à élire".

³. Arrêté no 2 du janvier 1934, amendé par l'arrêté no 279 du 3 décembre 1934 et par le décret législatif no 49 du 17 juin 1943 et l'arrêté no 312 du 31 juillet 1943.

⁴. Loi du 10 août 1950.

⁵. Décret législatif no 6 du 4 novembre 1952 et décret législatif no 37 du 28 février 1953.

⁶. Loi du 24 avril 1957.

⁷. Loi du 27 avril 1960.

Les textes des lois électorales dans: *Magmu'at al-wathâ'iq al-muta'alliqat bil-nizâm al-siyâsi fi Lubnân* (Recueil des documents fondamentaux relatifs au système politique au Liban), Sader, Publications de l'Association libanaise des sciences politiques, Beyrouth, 1968, 192 p.

⁸. Loi no 171 du 6/12/2000.

Cette disposition demeure en vigueur dans l'article 4 de la loi électorale no 171 du 6/1/2000 : du 26 avril 1960: « L'assemblée des électeurs de la circonscription électorale vote pour les candidats à élire dans cette circonscription sans distinction de rite ». Pour être élu, et même inscrit dans une liste, la modération est donc impérieuse, puisque chaque candidat doit compter sur les voix d'autres communautés que la sienne.

Le principe du *collège électoral unique*, facteur de cohésion nationale et de modération, risque d'exclure de la représentation les représentants directs des communautés.

La situation montre le caractère formel de l'article 27 de la Constitution selon lequel "le député représente toute la nation".

L'inconvénient majeur et chronique du collège électoral unique découle de son avantage même: Du fait qu'il contraint à la modération, il exclut de la représentation les candidats considérés comme les leaders réels et naturels des communautés.

الحالة البحثية حول النظام الانتخابي في لبنان (1920 - 2002)

محورية البعد الجغرافي

انطوان مسرّه

ان التجربة اللبنانية في الانتخابات قديمة، والبحث الجامعي والسجال حول قانون الانتخابات هما من اكثر القضايا غنى وتشعبًا. كيف نستفيد من التراث البحثي والتوثيقي والاختباري حول قانون الانتخابات دون ان نعود كل مرة الى الصفر وكأن شيئًا لم يحصل؟ يستخلص من التراث اللبناني حول نظام الانتخابي ثلاث قضايا رئيسية تحتاج الى مزيد من الدراسة.

1

الجغرافية الانتخابية ومعضلة التمثيل

ما هي المعايير التي يقنضي ان ترعى الانتخابات النيابية في اطار خصوصيات الواقع التمثيلي في لبنان اليوم؟ يتجاهل غالبًا البحث في قانون الانتخابات اولويات المرحلة وما استجد من معطيات، ابرزها اضطراب الحياة الحزبية والالتزام السياسي في الاحزاب وحالة تراجع الشرعية، ان الاولويات الانتخابية هي مختلفة عما يمكن ان يعتمد من اسس عامة في النظام اللبناني في ظروف عادية. ومساعي الحد من حرية تأسيس الجمعيات بتحويل العلم والخبر عمليًا الى ترخيص لا تساعد على تنمية التمثيل على كل المستويات.

لا ينتظر من الانتخابات تغييرًا اساسيًا في المعطيات اللبنانية اذا ظلت الظروف الاقليمية المتداخلة في الوضع اللبناني على حالها. لكنه ينتظر امران اساسيان في المسار

الديمقراطي: ادراك الناس النفسي انهم ممثلون في الحكم، وفضح كل اشكال التزوير التي لا تندرج في قانون الانتخاب بالذات بل في ادارة العملية الانتخابية.

تتعدد المعايير الوضعية لدراسة مدى تمثيلية الانتخابات انطلاقاً من نسبة المقترعين وحجم الاصوات التي نالها المرشحون. لكن العامل النفسي، أي شعور الناس انهم ممثلون، هو الاهم في الواقع اللبناني الحالي للأسباب الثلاثة التالية:

1. المقاطعة الواسعة لانتخابات 1992.

2. اضطراب الحياة الحزبية والالتزام الحزبي، والانتفاضات الداخلية داخل الاحزاب، والنزاع الداخلي في الاحزاب حول الشرعية الحزبية، مما يجعل البنية الحزبية بحاجة الى اعادة تكوين داخل الاحزاب والعلاقات بينها.

3. ضرورات الاعمار الذي يبدو للناس اليوم انه يقتصر على شركات وطبقة من الرأسماليين لانه يفتقر الى مشاركة المواطنين على كل مستويات الشأن العام: في الحي والشارع والمدرسة والجامعة وكل القضايا العامة.

بالرغم من استمرارية مختلف اشكال التعبير ومقاومة المجتمع اللبناني لمحاولات الحد من الحريات الاساسية فان الشعور ما يزال سائداً بان لا حياة سياسية فعلية في لبنان اليوم. تقترب الحياة السياسية نقاشاً حول القضايا العامة، وانخراطاً للناس في اطار قوى واتجاهات سياسية، وادراكاً منهم بالقدرة على التأثير في صناعة القرار، ومراقبة ومحاسبة لممارسة الحكم. انه من المفارقات الضخمة ومن ابرز نقاط ضعف البنية السياسية بعد وثيقة الوفاق الوطني سنة 1989 الادراك النفسي الشامل بالهامشية لدى الناس، بينما خلال سنوات الحروب اظهرت كل مؤسسات المجتمع اللبناني حيوية بالغة في مقاومة نظام الحرب والتدخل المباشر بفضل مبادرات ونشاطات على كل المستويات.

تندرج عملية التمثيل على مستويات عدة: في البلدية والنقابة والحزب والطائفة والجمعية والمجلس النيابي والتعيينات في الادارات العامة. الانتخابات البلدية بالغة الاهمية في احياء المشاركة السياسية اليومية وبالتالي في اطلاق التنمية البشرية المستدامة في لبنان.

يقوم النظام الانتخابي اللبناني على مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة الذي بموجبه يشترك ناخبون من طوائف مختلفة في انتخاب مرشحين من طوائف مختلفة، بدلا من ان يشكل الناخبون

في كل طائفة على حدة هيئة انتخابية منفردة لانتخاب ممثلين عنهم. تنص المادة 4 من قانون الانتخاب رقم 171 تاريخ 2000/1/6 (التي هي تكرار للقوانين السابقة وخاصة القرار 1308 تاريخ 1922/3/10) بان "جميع الناخبين في الدائرة الانتخابية على اختلاف طوائفهم يقترعون للمرشحين عن تلك الدائرة". الغاية من الهيئة الانتخابية الموحدة هو حمل المرشحين على التعاون والاعتدال لان المرشح مرغم على الاعتماد على اصوات ناخبين لا ينتمون الى طائفته. لذا فان حجم الدائرة الانتخابية موضوع رئيسي في العملية الانتخابية.

يمكن التمييز بين ثلاث مراحل في موضوع حجم الدوائر الانتخابية ابتداء من الدائرة الكبرى على اساس المحافظة (1934-1950) وانتقالا الى زيادة الدوائر الى تسع (1951-1953) وانتهاء الى التصغير من 33 الى 26 دائرة (1953-1972).

يجري البحث في حجم الدوائر بمعزل عن مشاعر الناس. انه منحى تسلطي. لا مشكلة في بيروت دائرة انتخابية واحدة لاسباب عديدة، ابرزها ان الناخبين البيروتيين يريدون استعادة بيروتهم بعد ان تريفت (من كلمة ريف). اما في المحافظات الاخرى فمشاعر الناس مختلفة ومعروفة. كل ما هو مصطنع في خط الناس، او في فرزها، لا يوحد البلد. العامل النفسي في حجم الدوائر في الوضع اللبناني الحالي هو المدخل الى مصالح الناس مع الحكام.

2

الحكمية الانتخابية: اساليب التزوير وفضحها

وما اهمية حجم الدوائر اذا كان بالامكان تزوير نتائجها؟ تتميز اكثر الابحاث حول قانون الانتخابات بطابع ايدولوجي او بطابع مصلحي وتفتقر الى المقاربة الميدانية لاساليب التزوير في الادارة العملائية للانتخابات على مستوى اللوائح والتصويت والتوقيع والسجلات ونقل النتائج واعلانها. نحتاج الى دراسات ميدانية، من طلاب علوم سياسية وصحفيين حول آليات التزوير لاستخلاص تنظيم اداري واضح ومعلن ومعروف من الجميع، حول القواعد الادارية التفصيلية في الادارة الانتخابية. شاهدت في الانتخابات البلدية الفرنسية في ايار الماضي دقة التفاصيل الادارية في الانتخابات بشكل يصعب فيه التزوير او على الاقل تمريره بين الناس.

تتطلب دراسة وسائل التزوير الملاحظة الميدانية ومقابلات مع مرشحين وناخبين وخبراء تزوير لبنانيين. أي قانون انتخابي لا يعطي نتائج في ظل انتشار التزوير. لدينا تخمة من الدراسات والسجلات حول قانون الانتخابات⁹، بينما نفتقر الى الدراسات الميدانية حول الجغرافية الانتخابية وحول الادارة الادارية للانتخابات. يخشى اغراق الجوهر المنتظر من انتخابات 1996 في العموميات النظرية بغية التهرب من هذا الجوهر وتعميقاً في الاغتراب السياسي لدى اللبنانيين. المقاربة التمثيلية النفسية للانتخابات نتائجها العملية واسعة في ما يتعلق بحجم الدوائر في خصوصية الوضع الحالي. اهميتها انها تتطرق من الناس بينما نسمع ونقرأ كل يوم مقاربات فوقية لا ديمقراطية. ليس الهدف الاساسي للتمثيل النيابي التوحيد ولا دمج الناس اصطناعياً، ولا فرزه اصطناعياً، بل بناء علاقة مواطنة تعاقدية قائمة على المسؤولية والمحاسبة وعلى التشريع النابع من الشرعية، أي قبول الناس لسلطة القانون والحكام، لا ادعائهم.

3

الانتخاب على دورتين

ان اعتماد الدائرة الانتخابية الكبرى في اطار نظام اكثرى على دورة واحدة قد يعزل فئات واسعة من الناخبين نتيجة نجاح مرشحين بفارق بسيط من الاصوات. اعتمد لبنان في بعض مراحل تاريخه الانتخاب على دورتين. هذه التجربة لم تدرس بعد في مدى فاعليتها التمثيلية.

حول اشكالية الهيئة الانتخابية الموحدة في ايجابياتها وسلبياتها:

Antoine Messarra, *Théorie générale du système politique libanais*, Cariscript- Paris et Beyrouth, Librairie Orientale, 1994, 406p.

⁹. مراجع اساسية لدراسة النظام الانتخابي اللبناني، خلاصة الاقتراحات الانتخابية من 1960 الى 1983 في:

Antoine Messarra, *Le modèle politique libanais et sa survie*, Beyrouth, Publ. Université Libanaise, 1983, 536 p., pp. 309 – 329.

Antoine Messarra, *La structure sociale du Parlement libanais*, Beyrouth, Université Libanaise, Institut des sciences sociales, 1976.

حول الدراسة الميدانية لبيروت دائرة كبرى:

Rita Karam, *Beyrouth sous le régime de la grande circonscription* (L'expérience de 1951: Analyse et modèle), mém. sc. pol., U.S.J., dir. A. Messarra, 1979, 65p.

بول سالم، "انتخابات ما بعد الطائف والمشاركة السياسية"، في كتاب: وثيقة الوفاق الوطني (مراجعة نقدية وطنية)، المركز اللبنانية للدراسات، بيروت، 2000، 240 ص، ص 141-150.

نواف سلام، "في التمثيل السياسي للبنانيين: نظرة ثانية"، في كتاب: نواف سلام، ابعده من الطائف (مقالات في الدولة والاصلاح)، بيروت، دار الجديد، 1998، 208 ص، ص 65-75.

احمد بيضون، "تمثيل التمثيل" في كتاب: احمد بيضون، الجمهورية المتقطعة (مصائر الضيعة اللبنانية بعد اتفاق الطائف)، بيروت، دار النهار، 1999، 484 ص، ص 153-246.

النظام الانتخابي في لبنان، مبادئ الاصلاح وحجم الدوائر ومفاعيلها السياسية)، معلومات، المركز العربي للمعلومات، العدد 21، كانون الأول 1995. انتخابات 1996، نشرة السلطة الخامسة، منتدى العروبة اللبناني (القرعون، البقاع الغربي لبنان) العدد 13-14، 1996، 80 ص.

فريد الخازن وبول سالم (ادارة)، الانتخابات الاولى في لبنان ما بعد الحرب (الارقام والوقائع والدلالات)، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، دار النهار، 1993، 496 ص.

___، "النظام الانتخابي في وظائفه ومفاعيله السياسية"، النهار، 12 و 13/10/1995. انطوان ساروفيم، الانتخابات النيابية في زحله والبقاع منذ المتصرفية حتى الاستقلال، بيروت، دار كتابيا، مطابع زحله الفتاة، 1992، 207 ص.

غندور ضاهر، **النظم الانتخابية** (دراسة مقارنة لأهم القوانين الانتخابية في العالم وللحياة النيابية والتشريعات الانتخابية في لبنان)، بيروت، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، 1992، 583 ص.

Joseph Bahout, “ Liban: Les élections législatives de l’été 1992”, in *Monde arabe Maghreb, Machrek*, no 139, janvier-mars, pp. 53-84.

Jalal Zuwiyya, *The parliamentary election of Lebanon, 1968*, Leiden, E.J. Brill, 1972, 126p.

الجمعية اللبنانية لعلم السياسة، **مجموعة الوثائق الأساسية المتعلقة بالنظام السياسي في لبنان**، بيروت، مطبعة صادر، 1968، 192ص.

حليم بركات، "الاغتراب السياسي في لبنان"، مداخلة في المؤتمر الخامس للجمعية اللبنانية لعلم السياسة، 1968، 10ص.

___، "العامل الديني والانتخابات النيابية في لبنان"، **مواقف**، عدد 19-20، 1972، ص 6-16.

سالم الجسر، **معجم الانتخابات**، بيروت، مطبعة غندور، 1968.

جورج عارج سعادته، **تاريخ الانتخابات في لبنان**، جونية، وكالة النشر العربية، 1964 **النواب بالاحصاء**، 3 ملفات، النهار، 1968.

Michael C., HUDSON, “The electoral process and political development in Lebanon”, *Middle East Journal*, 1965, vol.20, pp. 173-186.

Antoine MESSARRA, “Les propositions de réforme de la loi électorale, 1963-1968. Essai de synthèse”, *Revue libanaise des sciences politiques*, no 1, janvier-juin, 1970, pp. 1-34.

___, “Les propositions de réforme électorale, 1969-1973, Bibliographie et essai de synthèse”, *al-Hayat an-niyâbiyya*, vol. 3, 1973, pp. 28-41.

Alfred NACCACHE , “La réforme électorale”, *Les Conférences du Cénacle*, 10 mai 1984, pp. 33-53.

- Muhiddine NSOULI, "Considérations sur les dernières élections", *Les Conférences du Cénacle*, 5^e année, 1951.
- Edouard SAAB, "Autopsie d'une consultation", *Le Jour*, 10-13 avril 1968: I. "Vainqueurs et vaincus", II. "Le parti et sa machine", III. "Le Nahj en question", IV. "Le député courtier ou législateur".
- Jean SKAFF, "Considérations sur les élections législatives dans la Békaa", *Les Conférences du Cénacle*, 5^e année, 1951, pp. 148-163.
- Gideon TADMOR, "The Lebanese elections", *Middle Eastern Affairs*, II, June-July 1951, pp. 247-250.
- Nicolas A. ZIADEH, "The Lebanese elections, 1960", *Middle East Journal*, XIV, no 4, 1960, pp. 367-381.

الجغرافية كاطار لممارسة الشأن العام: اشكالية للبحث وللممارسة الديمقراطية في الانتخابات عبدو القاعي

نتكلم عن بحث اجتماعي يطال البعد الجغرافي للحياة حيث الجغرافيا هي أولاً رسم ووصف للمكان، فتبلوره عبر خريطة تبيّن خصائصه الفيزيويولوجية والمورفولوجية وما تحتويه هذه الخصائص من مميزات بيوكيميائية وما تظهره بصرياً عبر تكون المشاهد والأشكال. لكن الجغرافيا لها ايضاً عمقها المفهومي الذي يكسبها اياه ارتباط الانسان بالارض، فتصبح هذه الارض حيناً له معانيه وصوره وتاريخه ومعاييرها الخاصة. عبر هذا الارتباط يتحول المكان منبجاً ومحيطاً للحياة في تكويناتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالاضافة الى تكويناتها البيوفيزيائية كما سبق وأشرنا اعلاه. كل هذا يدعونا الى النظر في شأن هذه الجغرافيا من حيث انها تعطي للخيار الانتخابي معانيه وتوجهاته.

فالمحيط الذي نبحث عن معانيه هو الحيز الجغرافي والانساني لتكوّن وتحرك مصالح الناس وطموحاتهم وأحلامهم، فينشأ فيه مجتمع محلي له مقوماته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية الاخرى وله تاريخيته الخاصة.

هدفنا من هذا البحث هو التطلع الى التغييرات التي يمكن ان نحدثها في المكان أو الحيز المكاني المحلي لحياة الناس لكي يعيشوا بسعادة في أمكنتهم المختلفة. ولكن تتماسك الامكنة في اطار مجتمعي وطني ومناطقى وعالمي، حيث الشمولية تعني ان نحاول ان نزرع العالم في كل مكان مع احترام خصائص اي مكان.

أما تحقيق هذا الهدف، فيتطلب إجراء تحولات على المكان يمكن تحديدها على مستويات ثلاثة، هي¹⁰:

1. تحول الحيز المكاني المتجانس Le territoire homogène اصلاً ومعتقداً الى مساحة عامة (Espace Public) تجمع بين أجناس وعائلات ومعتقدات وثقافات متعددة ومتنوعة، على اساس المساواة في الحقوق والواجبات والمشاركة في السلطة. يتم هذا التحول عبر التركيز على أمرين اساسيين:
 - تنظيم المدى المادي للحياة الجماعية وهندسة عمرانها وفراغاتها من أجل ابراز جمالية هذا المدى وتفعيل وظائفه.
 - ترتيب البعد الحقوقي في مختلف العلاقات، من أجل مواجهة التفاوتات الاجتماعية التي تعيق تحقيق المساواة بين الناس على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

2. تحول المساحة العامة الى حيز حضري (Lieu de cité)، عبر دفع حركية انتمائية جديدة داخل المساحة العامة، من اجل تمتين ارتباط المتغايين ثقافياً واجتماعياً الذين تجمعهم هذه المساحة، بعضهم بعض، وبالأرض التي يقيمون عليها، من جهة، وبالبيئة، من جهة اخرى.

هذه الحركية الانتمائية الجديدة هي مناسبة لتحقيق حلم التلاقي مع الذات المتنوعة في تراكم ذكرياتهم الجينية، ومع الآخرين في تنوع اصولهم وثقافتهم، عبر مشوار حوار متواصل يشبه مشوار الفنيقي الذي عبر البحر نحو الآفاق اللامتناهية، فتلاقى مع الآخرين وبنى مدينته محققاً فيها ترجمة فعلية لحواره مع من التقاهم في انحاء العالم المختلفة التي زارها.

من ناحية اخرى، يمكن القول ان هذه الحركية التي تجمع بين المساحة العامة والانتماء، بأبعاده المحلية والعالمية، هي الوحيدة التي قد تسمح بالتحسس بالبعد البيئي للحياة،

¹⁰. انظر سلسلة: الشأن العام في قضايا الناس (المجتمع المحلي والعولمة والبيئة)، كلمة عبدو القاعي: "المكان في الأساس: حيز ومدى ومشهد عبر عالم في كل مكان"، جامعة سيده اللويزة، 2000، ص 33.

وبالالتزام الجماعي في مجالات تنمية موارد الطبيعية كشرط اساسية لاستدامة نوعية الحياة على الارض.

3. تحول الحيز الحضري الى مدى بصري وحسي (Espace visuel et sensible) عبر ابراز حركية جديدة لمشهد (Paysage) هذا الحيز، تجمع بين تراكمات الصور الرمزية المعهودة للمكان، وبين الصور الجديدة التي يكتسبها هذا المكان من خلال انفتاحه على العالم. وتتطلب هذه الحركية توفير ركائز حسية لحركة الخيال تكسب الناس امكانات جديدة في مجالات تكوين هويتهم المتراكمة التي تجمع بين المحلي والعالمية.

الطرح الذي سنتكلم عنه هو جزئي في اطار الاشكالية الموضوعية اعلاه لكنه يساعد في توضيح بعض معالمها.

يتناول هذا الطرح دراسة ميدانية وضعناها في اطار برنامج "مرصد الديمقراطية" تهدف الى ما يلي:

أولاً: استكشاف ملامح الحالة المدنية الراهنة في لبنان في بداية القرن الحادي والعشرين ومقارنة هذه الملامح مع ما كان راهناً سنة 1997 بالاستناد الى الدراسات التي اجريت في حينه من اجل اظهار اتجاهات التطور بشأنها. وسيتم الاستناد في هذا الاستكشاف الى بطارية من الحقوق والحريات المدنية التي لحظتها شرعات حقوق الانسان والتي حددت لها شرعيتها تبعاً. أما الاسئلة التي ستعتمد، فهي:

- مدى فعالية الآليات الموضوعية في لبنان لضمان التمتع بالحريات والحقوق.
- مدى التكافؤ بين الرجل والمرأة في التمتع بها.
- مدى تأثير التربية على تمكين الناس من بلوغها.

ثانياً: التعرف على آراء اللبنانيين وتوضيح مدى تنبهم لشروط الممارسة الديمقراطية بالنسبة للأمور التالية:

- واقع تطبيق مبدأ فصل السلطات.
- تقييم الاجراءات المأخوذة من قبل الدولة لتوفير الشفافية.
- تقييم اداء الموظفين في الادارة العامة.
- علاقة المواطن بالادارة: المواصفات المطلوبة من الموظف والتي يفترض بالاصلاح الاداري ان يركز عليها.
- مدى تأثير المجالس البلدية على المشاركة الشعبية في النشاطات العامة على مستوى محلي.
- مدى دقة استكشاف الصحافيين للأخبار بالعودة الى مصادرها.
- مدى شفافية الاخبار الصادرة عن المراجع الرسمية في لبنان.

هذه الدراسة اطلقت في تشرين الأول 2001، وقد تم تنفيذها ميدانياً خلال شهر واحد، وسنعمل على استخراج نتائجها وتحليلها بما يسمح بتلمس الحالة المدنية الراهنة في لبنان حالياً وباستكشاف تحولات هذه الحالة في ارتباطها مع المكان اي محيطها الجغرافي الانساني بما قد يساعدنا على تسليط بعض الاضواء في مجالات الجغرافيا الانتخابية اي رسم جغرافية القرار وجغرافية المشاركة في السلطة وجغرافية الحس المدني والاهتمام بالشأن العام.

5

L'ingénierie électorale et la géographie réinventée

Jihad C. Nammour

Lorsque des juristes parlent d'ingénierie électorale, ils pensent souvent aux modes de scrutin. Ils se souviennent des rares moments où dans leur formation ils manipulaient des chiffres : additionner, soustraire, multiplier et diviser des voix pour obtenir des résultats électoraux. A l'aide de grandes oppositions entre scrutin uninominal et scrutin à liste, ou encore entre scrutin majoritaire (à un ou plusieurs tours) et représentation proportionnelle, ils étudiaient comment on pouvait manipuler l'aboutissement d'un vote. Il était bien question d'*ingénierie* puisque des spécialistes étaient chargés de confectionner des règles juridiques d'une grande technicité afin de créer des majorités et de garantir des succès électoraux.

L'ingénierie électorale est l'objet de ce papier, et l'approche suivie sera essentiellement juridique. Toutefois nous ne traiterons à aucun moment des modes de scrutin. Nous analyserons en revanche la géographie électorale, domaine rarement effleuré, souvent inexploré dans une perspective juridique. En effet, les juristes ont tendance à écarter la dimension 'géographique' de leurs analyses électorales au motif qu'elle est d'ordre politique et non juridique. Nous nous évertuerons ici à établir le contraire. Pour ce faire, il nous faut d'abord dégager le véritable enjeu de la géographie électorale : le découpage électoral. Une fois la nature juridique de cette opération déterminée, nous passerons à l'étude des découpages pervers. Ceci nous amènera au contentieux du découpage qui naît des ces manipulations de majorités. De cet examen, nous dégagerons un véritable droit du découpage électoral.

1

La nature juridique du découpage

De prime abord, le découpage électoral se présente comme une opération géographique. En effet, lorsque l'on parle de découpage électoral on pense automatiquement à la délimitation des circonscriptions. Or même la loi électorale définit les circonscriptions de manière territoriale. Elle fixe leurs limites à partir d'une unité administrative (tels un canton, une municipalité ou un département) ou bien d'une 'frontière naturelle' (telles une rivière ou une

vallée). Ce genre de délimitation va dans le sens d'une représentation cartographique du découpage électoral.

Or, cette représentation cartographique, cette apparence territoriale est fort trompeuse. Le véritable objet du découpage électoral n'est pas territorial mais humain. Sous une apparence territoriale, la circonscription définit une population que la loi détermine et rattache à un territoire. Cette détermination passe par l'attribution du pouvoir de suffrage et l'établissement de listes électorales (ou registres des électeurs). Ces deux opérations sont essentiellement juridiques. Elles ont pour aboutissement la définition de collèges électoraux. Ces collèges peuvent correspondre plus ou moins à la population d'un territoire, mais cela dépend des critères juridiques retenus par le législateur pour leur établissement. En outre, il faut remarquer que l'expression '*population d'un territoire*' n'a de sens que juridiquement puisque l'Homme est de nature mobile. Il peut loger dans des lieux différents et parcourir de grande distance, même quotidiennement, afin de travailler... C'est encore la loi qui le '*fixe*' à un territoire, de manière artificielle et fictive, à l'aide de critères de rattachement. En matière électorale, la géographie est donc saisie par le droit : la population devient corps électoral.

A. La constitution du corps électoral

Le corps électoral rassemble toutes les personnes ayant la qualité d'électeur. L'étendue de cet ensemble dépend de l'attribution du pouvoir de suffrage. Aujourd'hui, le principe du suffrage universel est la pierre angulaire du droit électoral partout au monde. Toutefois, on est en droit de se méfier de la proclamation de son caractère universel. Cette méfiance ne provient pas seulement des nombreuses exclusions *de facto*, mais surtout des exclusions *de jure*. En effet, on ne peut oublier qu'entre 1848 et 1944, la France se prévalait du caractère universel de son suffrage, alors même qu'elle en excluait les femmes ! Jusqu'à l'heure actuelle, il existe plusieurs catégories d'exclus du pouvoir de suffrage : les mineurs, les étrangers, et certains groupes déterminés. En ce qui concerne la majorité électorale, elle ne correspond pas toujours à la majorité civile et pénale. Là où un décalage existe entre ces majorités, il semble difficile à justifier, ce qui peut le rendre discriminatoire. Quant à la condition de nationalité, elle connaît des exceptions de plus en plus nombreuses depuis les années soixante-dix¹¹. Les résidents étrangers peuvent participer aux élections locales

¹¹ Bertrand Pauvert, « La nationalité comme fondement du suffrage, pérennité ou obsolescence d'un concept » in *Les droits de l'Homme et le suffrage universel*, Paris, L'Harmattan, 2000, pp 43-55.

en Irlande (depuis 1963), en Suède (1976), au Danemark (1981), en Norvège (1982) et aux Pays-Bas (1985)¹². En Grande-Bretagne, les résidents des pays du Commonwealth sont électeurs et éligibles dans toutes les élections du royaume... Enfin, de moins en moins de pays excluent du suffrage les illettrés, les déments, la population carcérale, les militaires...

Nous voyons comment, par l'attribution du pouvoir de suffrage, la loi détermine la composition du corps électoral. En ce faisant, elle dénie la qualité d'électeurs à de nombreuses personnes résidentes ou nationales. Une fois ce corps constitué, il est possible de procéder, sans plus tarder, à des élections. Dans pareils cas, on ne découpe plus le territoire en circonscriptions. Il constitue dans son ensemble une seule circonscription électorale. Ainsi, le corps électoral forme un collège électoral unique. La France a opté pour une telle configuration pour les élections présidentielles et européennes. D'autres Etats, telles que Monaco et Israël font de même pour les élections législatives. Toutefois, de tels agencements électoraux sont minoritaires sur le plan international. Une majorité écrasante d'Etats leur préfère la pluralité de collèges électoraux, et donc le morcellement du corps électoral. Cette fragmentation peut revêtir deux apparences, l'une territoriale et l'autre personnelle.

B. La division du corps en collèges électoraux

Les collèges électoraux sont souvent définis territorialement. Cette modalité de division du corps électoral est perçue comme un morcellement du territoire en circonscriptions électorales, chacune constituant un collège électoral séparé. Ces circonscriptions électorales sont souvent représentées de manière cartographique. Mais ce découpage territorial n'est en réalité qu'une représentation. Car le territoire ne joue que de manière indirecte, dépendante, sur les collèges électoraux. La composition de ces derniers est en réalité déterminée par le critère de rattachement adopté par le législateur. Ce critère identifie les personnes qui figurent sur la liste électorale d'une circonscription. Il permet l'établissement d'un registre des électeurs. Il est vrai que le critère de rattachement est partout le domicile ou la résidence d'un individu. Toutefois, il co-existe parfois avec d'autres règles de rattachement¹³. Certaines législations prévoient d'autres critères de rattachement pour leurs nationaux établis à

¹² Pierre MARTIN, *Les systèmes électoraux et les modes de scrutin*, Paris, Montchrestien, 2^e édition, 1997, p. 18.

¹³ Jean-Pierre CAMBY, *Le Conseil constitutionnel, juge électoral*, Paris, Sirey, 1996. pp. 41-43

l'étranger. C'est le cas de la France qui permet aux Français résidant à l'étranger de s'inscrire dans la commune où ils sont nés ou de leur résidence antérieure. En outre, la résidence peut cesser d'être le critère de rattachement effectif lorsque l'administration procède à l'inscription des électeurs de manière automatique. Dans ce cas elle procède par présomption, considérant que le lieu de résidence d'un électeur n'a pas changé ou qu'il correspond à celui de ses parents. De là on peut deviner l'influence de la mise à jour des listes électorales sur la composition des collèges électoraux. Elle est parfois plus déterminante que le critère de rattachement.

Lorsque les collèges électoraux ne sont pas définis territorialement, ils le sont sur une base personnelle. Ce genre de découpage se désintéresse du lieu de résidence et évacue toute considération territoriale. Le critère de rattachement à un collège électoral est, dans ce cas, strictement personnel. Il dépend de l'appartenance des personnes à un groupe reconnu par la loi comme ayant des droits spécifiques. Pareils découpages existaient au début du XX^{ème} siècle dans l'Empire Austro-Hongrois pour l'élection des Diètes. Les collèges électoraux correspondaient aux nationalités, elles-mêmes définies sur une base linguistique. Le découpage du corps électoral sur base personnelle existait aussi dans les empires coloniaux. Généralement, la puissance coloniale n'accordait le droit de vote aux indigènes qu'à l'intérieur d'un collège électoral distinct de celui des colons. Ceci était vrai pour l'Algérie avant les élections de 1954 où un premier collège réunissait les Algériens d'origine européenne, les Juifs algériens naturalisés français depuis l'édit de Crémieux et certains musulmans régis par le statut de droit commun, et un deuxième collège comprenait la population musulmane régie par le statut de droit local¹⁴. La pratique coloniale a sans doute discrédité ce mode de découpage. A l'heure actuelle, le découpage à base personnelle n'existe dans aucune démocratie libérale. Pourtant ces dernières consacrent de plus en plus des droits collectifs tant politiques que culturels et linguistiques. Mais au lieu d'instituer des collèges électoraux à base personnelle, elles font correspondre territoires ethniques et circonscriptions électorales. En d'autres mots, des collèges électoraux à base personnelle sont déguisés en collèges électoraux à base territoriale. On peut donc parler de collèges communautaires camouflés.

2

Le découpage pervers

¹⁴ Christian PURTSCHET et André VALENTINO, *Sociologie électorale en Afrique du Nord*, Paris, PUF, 1966. p. 14.

Il ne faut pas croire que la nature juridique du découpage électoral le rend nécessairement juste et l'immunise contre toute manipulation politique. Pour être juste, le droit doit s'adapter à l'évolution de la société qu'il est supposé régir. Par ailleurs, plusieurs de ses sources (notamment la loi et le règlement) le transforment en instrument aux mains de certains groupes possédant des intérêts distinctifs. En conséquence, il est possible de concevoir des découpages électoraux pervers, au sens où ils sont détournés de leur fin. Au lieu de diviser de manière équitable et neutre le corps électoral, ils vont à l'encontre des principes fondamentaux du droit électoral.

Nous avons déterminé quatre types de découpage pervers. Leur étude se révèle nécessaire parce que c'est à partir de ces exemples concrets que le droit électoral s'est enrichi de nouvelles règles juridiques qui commandent le traçage des circonscriptions et la détermination des collèges électoraux. Ces modèles à ne pas suivre sont tirés de découpages électoraux réels, présents et passés. Nous avons choisi d'abord de rappeler les types les plus manifestes de découpage pervers : les bourgs pourris et les Gerrymanders. Nous invoquerons ensuite deux autres types, plus sournois et plus détournés, de manipulation du découpage : les listes avariées et les votes à défi.

A. Bourgs pourris et Gerrymanders

Les deux premiers tourmenteurs du découpage électoral sont le temps et le législateur. L'un le menace d'obsolescence et l'autre de détournement. Une tentative d'échapper aux ravages du temps l'assujettit à la volonté du personnel politique de l'Etat et le soumet à leur intérêt. La volonté d'échapper aux manipulations du personnel politique conduit au refus de la révision du découpage, ce qui le condamne à l'iniquité en raison des changements démographiques. Nous examinerons successivement l'effet de temps et du législateur malintentionné sur la détermination des circonscriptions.

Le type même de l'obsolescence d'un découpage est celui des *bourgs pourris*. Cette expression vient d'Angleterre où certains bourgs avaient progressivement perdu tant d'habitants qu'une poignée d'électeurs suffisait pour envoyer un député à la Chambre des Communes. L'exemple le plus illustratif est celui de Old Sarum, bourg de sept électeurs qui envoyait en 1831 deux députés à la Chambre basse alors même que Manchester qui comptait 137 000 habitants n'avait droit à aucun siège parlementaire¹⁵. Cette situation absurde n'est pas le

¹⁵ Jean Marie COTTERET, Claude EMERI, *Les systèmes électoraux*, Paris, PUF, 1994, 6^e édition, p.29.

résultat d'un quelconque détournement de découpage. Elle s'explique par l'inadéquation d'un découpage vieux de trois siècles et donc indifférent aux bouleversements démographiques qui ont accompagné la révolution industrielle.

L'exemple de Old Sarum est certes extrême. Mais il nous éclaire sur la conséquence inévitable de la division du corps électoral : l'inégalité dans la représentation. En effet, pour que la représentation de chaque fraction de la population soit identique, il faudrait que les collèges électoraux groupent un nombre égal d'individus. Or ceci n'est jamais possible. La répartition des sièges entre circonscriptions conduit nécessairement à une inégalité de représentation¹⁶. Toutefois, cette inégalité doit être circonscrite dans la mesure du possible. Afin d'aboutir à un résultat satisfaisant, le découpage électoral doit périodiquement être adapté à la réalité démographique. De cette adaptation, pourtant nécessaire, naît le risque de Gerrymandering.

Un mot vient à l'esprit de toute personne interrogée sur les techniques de détournement de la procédure : le *Gerrymandering*. Cette technique se présente sous deux formes, l'une que nous appellerons *classique*, et l'autre qui nous qualifierons de *tendance actuelle*.

Le *Gerrymander classique* est une circonscription qui sert à favoriser lors d'une élection un ou plusieurs candidats aux dépens des autres. Sa délimitation est guidée par le souci de regrouper les partisans d'un individu ou d'un parti dans un même collège électoral de sorte à constituer une majorité suffisante pour remporter les élections. Ceci explique les formes curieuses de certaines circonscriptions. D'ailleurs, ce type de découpage pervers doit son nom aux circonscriptions oblongues rappelant la salamandre qu'avait dessiné le gouverneur du Massachusetts, Elbridge Gerry. Le découpage qu'il adopta pour les élections sénatoriales de son Etat en 1812 assura la victoire de 29 de ses partisans avec 50 164 suffrages, et seulement 11 de ses adversaires avec 51 766 voix¹⁷.

À la différence du *Gerrymander classique* qui regroupe les partisans d'un candidat ou d'un parti au sein de collèges électoraux dans lesquels ils sont majoritaires, le *Gerrymander tendance actuelle* réunit les membres d'une ethnie normalement minoritaire dans une circonscription afin qu'elle y constitue une majorité. Ce type de *Gerrymander* a suscité d'importants débats aux Etats-Unis. Certains découpages ethniques ont été condamnés par la Cour suprême en raison

¹⁶ Jean-Marie COTTERET, Claude EMERI et Pierre LALUMIERE, *Lois électorales et inégalités de représentation en France 1936-1960*, Paris, Armand Collin, 1960.

¹⁷ Pierre MARTIN, *Les systèmes électoraux et les modes de scrutin*, Paris, Montchrestien, 1997, 2^e édition, p. 44.

de leur caractère 'artificiel'. D'autres ont été autorisés en dépit de leur forme saugrenue parce qu'ils cherchaient à effacer les traces d'un passé lourd de discriminations raciales. Eu égard à leur justification, certains juristes nomment pareilles circonscriptions *Affirmative gerrymander*, soulignant leur parenté avec l'*affirmative action* également appelée *discrimination positive*. L'exemple le plus troublant de Gerrymander racial est celui de la 12^{ème} circonscription de la Caroline du Nord. Cette circonscription s'étendait sur plus de 250 km mais sa profondeur avoisinait souvent les cent mètres! Telle une autoroute, elle reliait plusieurs 'poches' dispersées de noirs-américains.

B. Listes avariées et votes à défi

Le temps et le législateur ne sont pas les seuls à corrompre le découpage ou même à détourner la procédure. Il existe deux autres types de découpage pervers dont l'action est d'autant plus pernicieuse qu'elle est dissimulée. La première se cache derrière une activité prétendument administrative et procédurale : l'inscription sur liste électorale. La seconde se dissimule derrière l'abstention en assimilant le silence des électeurs à un choix. Nous examinerons successivement ces deux adversaires sournois du découpage électoral.

L'inscription sur liste électorale est souvent présentée comme une procédure strictement administrative. A ce titre, elle possède une place secondaire dans l'étude du droit électoral. Pourtant, son influence est décisive. Il ne faut pas oublier que, concrètement, un registre des électeurs matérialise un collège électoral. Les règles 'procédurales' d'inscription aux registres déterminent donc la composition des collèges électoraux. En ce sens, le mode d'établissement des listes électorales peut constituer un type de découpage pervers. Nous parlerons dans pareils cas de *listes électorales avariées*. Ceci a lieu lorsque les électeurs rattachés à une localité ne correspondent pas à sa population résidente. Ce décalage peut être frauduleux. Mais il se produit aussi en raison de l'absence de révision périodique des listes ou à la suite de l'inscription automatique des électeurs. La première source de viciation des listes est sans aucun doute l'absence de révision périodique des listes électorales. En effet, une fois inscrit sur une liste, l'électeur demeure rattaché à cette localité en dépit du tout changement ultérieur de domicile ou de résidence, et cela jusqu'au jour où il s'inscrira sur une autre liste électorale. La deuxième source de viciation est l'inscription automatique des individus ayant atteint la majorité civique sur la même liste électorale que leurs parents sans vérification de la localisation de leur domicile ou résidence. La seconde source aggrave la première puisqu'elle peut creuser un décalage déjà existant entre la population

résidante et la population inscrite en reproduisant l'effet de la première viciation d'une génération à une autre.

Le dernier type de découpage perversi se dissimule encore plus que le précédent puisque ses effets ne sont pas facilement détectables. Alors même qu'il écarte des urnes une partie des électeurs, cela n'est pas véritablement visible puisque cette population est assimilée aux abstentionnistes. A la différence des autres types de découpage perversi, celui-ci n'a pas d'effets directs sur le collège électoral. Toutefois, il l'affecte de manière indirecte. Au lieu de redéfinir le corps électoral au moyen du droit, les autorités politiques agissent de manière à ne pas faciliter le processus électoral, voire même de le compliquer. Elles organisent par-là un *vote à défi*. La possibilité du vote est fonction de la ténacité de l'électeur. Ces 'défis' sont souvent de nature non juridique. On a vu certains régimes rendre ardu l'accès aux bureaux de vote ou encore compliquer la distribution de cartes d'électeurs... Dans un pays dont une partie importante des nationaux est expatriée, l'absence de centres de vote dans les consulats ou l'inexistence d'un système de procuration électorale dans les localités de rattachement rétrécit occasionnellement de manière considérable certains collèges électoraux. Ce rétrécissement peut influencer sur les résultats électoraux.

3

Le contentieux du découpage

A travers l'étude de quatre types de découpage perversi nous avons exposé les risques que comporte cette opération fort délicate. Un découpage ne peut jamais satisfaire tout le monde. Sa contestation naît du fait qu'il influe sur la construction de majorités, et par conséquent sur les résultats électoraux. La course électorale commence avec le découpage électoral. Quoi de plus normal alors que son caractère conflictuel !

Or, cette source aussi riche de conflit est fondamentale en toute démocratie. Elle ne saurait être laissée sans contrôle. Nous examinerons d'abord toutes les modalités de contrôle et, plus particulièrement, celle qui a internationalement prouvé son efficacité en matière électorale : le contrôle juridictionnel. Ceci nous amènera à passer en revue son évolution et par suite ses solutions.

A. Le contrôle du découpage

Le découpage électoral est un acte tellement lourd de conséquence que sa soumission à un contrôle devrait s'imposer de toute évidence. Le problème qui se pose est de savoir qui doit assumer cette charge laborieuse. Quel pouvoir au sein de l'Etat est le mieux placé pour examiner la justesse ou la convenance du fractionnement du corps électoral ? D'entrée, on pense aux trois pouvoirs de l'Etat, à savoir l'exécutif, le législatif et le judiciaire, mais aussi aux électeurs qui dans une démocratie sont la source de tous les pouvoirs. Toutefois, on remarque vite que le contrôle n'est pas de même nature dans tous les cas. Il est à certaines occasions politique et à d'autres juridictionnel.

Des deux formes de contrôle, celui qui est politique est certainement le plus vaste. Il doit ce caractère à la pluralité des organes susceptibles de l'exercer. Tout d'abord, il y a le parlement, soit l'auteur du découpage. En principe, il peut contrôler son propre travail, mais comme il est à la fois juge et partie, ce contrôle risque de n'être que formel. Suite à son renouvellement, le parlement pourrait revoir le découpage. Mais cela ne signifie pas nécessairement le rendre plus juste. Si le parlement ne peut de manière effective contrôler son propre travail, cette fonction doit être remplie par un autre organe. Le gouvernement, ou le pouvoir exécutif en général, peut s'en charger. Dans un régime parlementaire, cela suit la logique institutionnelle, tout au moins en théorie. Concrètement, la coïncidence d'une même majorité au parlement et au gouvernement fausse le jeu institutionnel et annule toute volonté de contrôle. En son absence, il ne reste que les électeurs et les partis politiques pour surveiller le découpage. Mais à la différence des organes étatiques, ces derniers n'exercent leur contrôle que de manière indirecte et médiatisée. Ce qui réduit considérablement leur efficacité.

Le contrôle politique du découpage électoral est préconisé par ceux qui estiment que le découpage obéit surtout à des considérations politiques. Cependant, ce genre de contrôle n'est pas du tout satisfaisant. Il ne semble bien fonctionner qu'au Royaume-Uni où une commission politiquement neutre procède au redécoupage périodique des circonscriptions sous l'examen minutieux à la fois du parti majoritaire et du parti d'opposition, mais aussi des électeurs. Ailleurs, le choix d'un autre mode de contrôle semble plus judicieux.

En dépit du caractère politique du découpage, on ne peut nier sa dimension juridique. Même s'il obéit à des considérations politiques et partisans, seule la loi le concrétise. Or, en suivant la logique de la hiérarchie des normes, cette loi doit respecter les normes supérieures. Au cas où un contrôle serait prévu, il conviendrait donc bien à un organe juridictionnel.

Le contrôle juridictionnel se distingue du contrôle politique par une plus grande neutralité politique. D'abord, les juges qui l'effectuent ne sont pas des hommes politiques. Ils ne sont donc pas directement intéressés par les résultats électoraux. Ensuite, ils ne jugent que par rapport à des normes juridiques, et plus spécifiquement constitutionnelles. L'organe qui est investi du contrôle juridictionnel diffère d'un pays à un autre. En schématisant un peu, il est possible de parler de deux modèles distincts : le modèle européen dans lequel une cour spécialisée remplit la fonction de contrôle (généralement appelé Tribunal, Cour ou Conseil constitutionnel) et le modèle américain dans lequel les juridictions ordinaires qui incarnent le pouvoir judiciaire remplissent cette tâche. Nous étudierons ces deux modèles à partir de la jurisprudence de pays jugés représentatifs, les Etats-Unis et la France.

B. Les solutions jurisprudentielles

Les démocraties occidentales possèdent depuis le milieu du XX^{ème} siècle un véritable droit du découpage électoral élaboré par voie jurisprudentielle. La Cour suprême américaine a initié ce mouvement dès 1962. Avec les décisions *Baker c. Carr* (1962), *Wesberry c. Sanders* (1964) et *Reynolds c. Sims* (1964) elle a affirmé trois points. Elle établit sa compétence en matière de découpage en reconnaissant la nature juridique de la division en circonscriptions. Elle consacre le principe d'égalité dans la représentation (*one person, one vote, one value*¹⁸). Et elle insista sur la nécessité d'un redécoupage périodique des circonscriptions électorales dans le but de les réajuster à l'évolution démographique.

À partir des décisions *Gaffney c. Cummings* (1973), *White c. Regester* (1973) et *Karcher c. Gaddett* (1983), la Cour suprême a défendu la thèse de l'égalité mathématique entre circonscriptions, tout en permettant une variation de l'ordre de 10% entre la plus habitée et la moins habitée. Cette règle admet quelques dérogations à condition qu'elles soient justifiées par un objectif légitime¹⁹ ou une politique rationnelle²⁰.

Depuis 1980 (*Mobile c. Bolden*), la question de la discrimination ethnique et raciale taraude la Cour suprême. Au départ, le requérant devait prouver l'intention discriminatoire du découpage. Mais à partir de *Thornburg c. Gingles* (1986), la Cour obéit à une sorte de présomption de discrimination qu'elle institua au profit des groupes minoritaires qui n'étaient pas organisés au sein d'une circonscription dans laquelle ils constitueraient une majorité. Cette

¹⁸ Chaque bulletin de vote doit posséder le même pouvoir électoral.

¹⁹ Réparation de préjugés raciaux passés.

²⁰ Respect des subdivisions administratives (*Voinovich c. Quilter*, 1993)

présomption opère à chaque fois qu'un groupe partageant les mêmes préférences partisans tout en étant suffisamment large et géographiquement compacte voyait sa représentation contrecarrée par la mobilisation d'un groupe majoritaire. Cette jurisprudence renforce le contrôle de découpage à l'aide de critères géographiques élucidés par la décision *Davis c. Bandemer* (1986) condamnant pour la première fois le Gerrymandering partisan.

La France a connu un tout autre parcours juridictionnel et jurisprudentiel en matière de découpage électoral. Il est à la fois plus récent et plus rapide qu'outre-Atlantique. En effet, il se résume en cinq décisions relatives à trois affaires résolues en moins de trois ans.

Le Conseil constitutionnel s'est engagé pour la première fois dans ce genre de contrôle à l'occasion du découpage de la Nouvelle-Calédonie, territoire d'outre-mer (196 DC du 8 août 1985, 197 DC du 23 août 1985). A cette occasion, il initia un contrôle restreint du découpage électoral tout en consacrant le principe d'égalité de suffrage, égalité 'essentiellement' démographique. Une année plus tard, il confirma et approfondit ces règles en les appliquant au nouveau découpage de la France métropolitaine et d'outre-mer (208 DC du 1^{er}-2 juillet 1986, 218 DC du 18 novembre 1986)²¹. Quelques mois plus tard, il étendit sa jurisprudence aux élections municipales (227 DC du 7 juillet 1987)²².

Cette jurisprudence se distingue de celle de la Cour suprême sur plusieurs points. En effet, le Conseil constitutionnel ne surveille pas l'application du principe d'égalité politique. Il ne contrôle que l'égalité démographique. En outre, il l'assortit de deux exceptions : la représentation de deux députés minimum par département et l'existence 'd'impératifs d'intérêt général'. Cette dernière exception est d'autant plus libérale que le Conseil n'exerce qu'un contrôle restreint sur le découpage, n'appréciant pas les questions d'opportunité. En cela, la position de Conseil Constitutionnel français est proche de celle de son homologue libanais qui dans sa décision du 7 août 1996 (4-96 DC) a annulé le découpage inégalitaire des circonscriptions électorales tout en précisant que le principe d'égalité démographique n'est pas absolu. Le législateur peut y déroger en raison d'impératifs d'intérêt général ou de circonstances exceptionnelles²³.

²¹ Louis FAVOREU, Loïc PHILIP, *Les grandes décisions du Conseil constitutionnel*, Paris, Dalloz, 8^e édition, pp. 665-686.

²² André ROUX et Philippe TERNEYRE, « Principe d'égalité et droit de suffrage en France », *Annuaire International de Justice Constitutionnelle*, vol V, 1989, pp. 249-293.

²³ Pierre GANNAGE, « Le Conseil constitutionnel libanais », *Les constitutions des pays arabes*, Bruxelles, Bruylant, 1999, 259-272.

Nous avons choisi de passer en revue la jurisprudence de ces trois pays parce qu'elle représente la tendance actuelle mondiale en matière de contrôle du découpage des circonscriptions électorales. Par leurs décisions, les juridictions constitutionnelles ont, à partir de normes constitutionnelles, établi un véritable droit du découpage électoral.

4

Le droit du découpage

Le principe d'égalité proclamé haut et fort par les constitutions américaine et française du XVIII^{ème} siècle s'est progressivement imposé comme pierre angulaire du droit électoral. Au départ, ceci s'est fait par l'extension du pouvoir de suffrage. De censitaire, le suffrage est devenu 'universel' masculin pour enfin inclure les femmes. En outre, la majorité électorale a graduellement baissée. Aujourd'hui, le décalage entre majorité civile et majorité électorale est généralement perçu comme discriminatoire. Enfin, les étrangers résidants sont de plus en plus fréquemment intégrés au corps électoral que ce soit pour les élections locales, nationales ou supranationales. Si l'on ajoute à cela la généralisation du domicile comme critère de rattachement d'un individu à un territoire, on perçoit que le droit électoral actuel tend à faire correspondre d'une part le corps électoral et la population d'un pays, et d'autre part la division de ce corps et la répartition géographique de la population. Par application du principe d'égalité de suffrage, la géographie électorale se rapproche donc de la démographie réelle d'un Etat. Ce principe investit le droit du découpage électoral et commande certaines règles de délimitation territoriale des circonscriptions.

A. Le principe d'égalité du suffrage

L'égalité du suffrage se décline en droit électoral de deux manières différentes. Elle est à la fois démographique et politique.

L'égalité démographique est le premier principe consacré par les juridictions constitutionnelles à travers le monde en matière de découpage électoral. Comme l'a affirmé un juge de la Cour suprême américaine dans la décision *Reynolds c. Sims* (1964), « *Legislators represent people not trees or acres* ». Une fois ce principe démographique dégagé, les juridictions de contrôle pouvaient le combiner avec le principe d'égalité en droit des citoyens tel qu'il est consacré par leur constitution. De cette combinaison naquit le principe de

l'égalité démographique qui engendra plusieurs règles de découpage. On peut citer d'abord celle de sa révision périodique. En effet, pour que l'égalité démographique perdure, un réajustement des circonscriptions s'impose en fonction d'un recensement renouvelé de la population. Ensuite, on pense au principe de l'égalité dans la représentation. Elle n'est vraie qu'à condition que le poids électoral des sièges à pourvoir soit partout le même. Si les circonscriptions sont uninominales, leurs populations doivent en principe être égales. Or comme l'égalité mathématique entre circonscriptions est en pratique impossible, les juridictions constitutionnelles admettent la possibilité d'une légère marge de variation entre elles. La situation est différente pour les circonscriptions qui regroupent plusieurs sièges. D'abord, tous les sièges doivent posséder un même quotient électoral. Ensuite, la variation du nombre de sièges d'une circonscription à une autre doit être justifiée. Un écart important est inadmissible en dehors d'un système fédéral ou fortement régionalisé.

La deuxième forme que revêt le principe d'égalité en droit électoral est celui de l'égalité politique. Elle correspond à la notion de neutralité ou d'impartialité du découpage. Le découpage des circonscriptions ne doit avantager aucun groupe au dépend d'un autre, d'où la condamnation des Gerrymanders. Au niveau des candidats, le principe d'égalité démographique équivaut à l'égalité des chances. Au niveau des groupes politiques, il signifie le droit d'être représenté. Cette représentation est facile à assurer dans les systèmes proportionnels. Si le mode de scrutin est majoritaire, la représentation dépend essentiellement du découpage électoral. Quel genre de groupes doit être pris en compte lors de ce découpage ? On pense d'abord aux groupes politiques et idéologiques, mais qu'en est-il des groupes culturels, des groupes ethniques ?

Pour assurer l'égalité politique des groupes sociaux, la règle du respect des solidarités a été instituée. En somme, la division électorale doit respecter les solidarités sociales, économiques et culturelles qui existent à l'intérieur d'une communauté humaine souvent organisée dans le cadre d'une collectivité territoriale. Mais ceci n'est qu'une présomption, puisqu'un ensemble humain géographiquement éclaté peut être solidaire. L'inverse est tout aussi vrai. Par ailleurs, la coïncidence des différentes solidarités n'est pas obligatoire. Un groupe A économiquement solidaire avec un groupe B pourrait être culturellement ou politiquement proche d'un groupe C.

Un grand nombre de pays ne reconnaît pas de groupes culturels en son sein. Cette cécité à la différence dérive souvent d'une volonté d'uniformisation culturelle. Elle ne réduit pas nécessairement les discriminations. Au contraire, en choisissant d'ignorer la différence elle perpétue fréquemment une sorte de statu

quo entre les groupes lorsqu'elle n'accroît pas la marginalisation des groupes minoritaires. Mécontents de ce résultat, des juristes et politiciens américains ont inventé les circonscriptions appelées *majority/minority*. Afin de combattre la discrimination ethnique et ses effets, des groupes ethniques minoritaires et géographiquement éclatés, étaient regroupés dans des circonscriptions où ils devenaient majoritaires. Ceci conduisait à la délimitation de circonscriptions aux formes insolites²⁴. Le législateur faisait violence à la géographie en dessinant des unités territoriales à l'aide d'un critère 'personnel'. En poursuivant une politique de 'discrimination positive', il violait toutes les règles de délimitation territoriale²⁵.

B. Les règles de délimitation territoriale

Dans le souci de prémunir la procédure de découpage de tout détournement, les juridictions de contrôle ont établi des règles de délimitation territoriale. Celles-ci sont au nombre de trois : continuité territoriale, compacité géographique et respect des subdivisions administratives. Au départ, ces règles étaient perçues comme les critères de régularités d'une délimitation territoriale. En somme, si une circonscription s'y conformait, la division était supposée politiquement neutre. Inversement, la violation de ces règles la condamnait en tant que Gerrymander. Il est à noter que ces règles ne sont pas absolues. La continuité territoriale peut devenir impossible dans le cas du regroupement d'îles peu peuplées... De même, la condition de compacité géographique est parfois contredite par la géographie elle-même. Ces situations sont fréquentes dans des régions montagneuses. En ce qui concerne le respect de la subdivision administrative, elle se justifie par son caractère supposé neutre. Les subdivisions administratives sont généralement dessinées avec un souci d'efficacité. Sensées faciliter la gestion locale, elles ne devraient pas obéir à d'autres considérations politiques. Par ailleurs, chaque subdivision correspond généralement à un siège territorial de solidarité. Enfin, son choix comme unité territoriale fondamentale introduit une base commune à toutes les circonscriptions et limite le caractère

²⁴ En raison de leur forme, on appelait *Oreillette* la 4^e circonscription de Chicago (1992), et *Zigzag* la 4^e circonscription de la Louisiane (1992)...

²⁵ Au Liban, on justifia le découpage du Mont Liban pour les élections législatives de 2000 par le respect de la représentativité des Druzes qui dans une grande circonscription auraient été minoritaires. En revanche, c'est au nom de la mixité qu'on défendit la singulière division du Liban Nord qui interdisait aux Maronites de constituer une majorité nécessaire pour une représentation effective. Nous passons du principe de la discrimination positive à celui de la discrimination aléatoire.

arbitraire de la division géographique. En France, l'unité de base est le canton pour les élections législatives²⁶. Aux Etats-Unis, c'est le *county*... Certains pays choisissent de renforcer cet encadrement administratif en soumettant les opérations de découpage territorial au respect d'une deuxième unité administrative. La France, par exemple, dessine des circonscriptions à l'intérieur des départements. inaccoutumé

Récemment, certaines juridictions ont constaté que le respect de ces règles ne constituait aucune garantie de la neutralité du découpage. Par conséquent, elles ont choisi d'élargir leur contrôle sur les opérations de découpage. De restreint, il est devenu normal. Désormais, les cours américaines, par exemple, examinent l'opportunité du découpage. Dans cette optique, les trois règles précitées cessent d'être des critères de régularité pour devenir de simples indices d'irrégularité au cas où elles ne seraient pas observées. Bien sûr, ceci ne vaut que pour celles dont l'origine n'est pas légale ou constitutionnelle. Si d'origine jurisprudentielle, chaque règle violée n'est qu'un indice de détournement de procédure. Elle ne présume rien. Elle ne fait qu'inviter la juridiction compétente à vérifier la neutralité du découpage ou l'existence d'une quelconque discrimination. Cette démarche va dans le sens du renforcement d'un contrôle juridictionnel du découpage à partir de normes juridiques et non de simples règles techniques. Plus substantielle et plus souple, ce contrôle oblige le législateur à obéir aux normes constitutionnelles et de n'y déroger que limitativement et pour des impératifs politiques préalablement élucidés.

Est-ce pour autant que l'ingénierie cessera ? Sans doute pas. Mais encadrée par le droit, par des normes constitutionnelles, ses marges de manœuvres se réduisent déjà. Pour que cette tendance se consolide, la justice constitutionnelle doit suivre son cours. Il est admis que le découpage électoral réinvente la géographie, mais pour être démocratique, il doit d'abord respecter la démographie et la multiplicité des communautés humaines établies sur un territoire national.

²⁶ Sauf pour Paris, Lyon, Marseille et les cas énumérés dans l'article 5 de la loi du 11 juillet 1986.

6

La géographie électorale: Principes de base du découpage

*Benjamin Saintamon**

L'élection est un rituel important de la vie politique par lequel s'accomplit l'identité citoyenne et la respiration démocratique d'un pays lorsque le peuple souverain désigne son ou ses représentant(s).

Si aujourd'hui le droit de suffrage est majoritairement consacré et défendu, le principe d'égalité du suffrage, pilier d'une représentation véritablement démocratique, n'est pas toujours efficacement garanti.

Ce principe revêt à la fois une dimension quantitative (« one man, one vote ») et une dimension qualitative (« one value »), chaque citoyen devant bénéficier d'un poids similaire à celui des autres durant le processus électoral sous peine de devenir un citoyen de second rang. Cette seconde dimension, qualitative et territoriale, est bien souvent dévoyée par manque de vigilance ou sous l'action de la malignité humaine, remettant en cause la légitimité symbolique de l'élection.

Une des préoccupations de la géographie électorale est d'éviter tous ces déboires afin de permettre la réunion des conditions d'une représentation politique démocratique. Pour cela une attention toute particulière au processus-clé de découpage électoral est nécessaire, impliquant le respect de certains principes et une vigilance accrue vis-à-vis de la sphère politique.

*. Etudiant en science politique à l'Université d'Aix-en-Provence, assistant et stagiaire auprès du Pr. Antoine Messarra à la Fondation libanaise pour la paix civile permanente et au programme "Observatoire de la démocratie au Liban".

1

Les principes entrant en jeu dans le découpage électoral

Peu d'élections se déroulent à l'échelle du territoire en tant qu'unique circonscription. Aussi se pose généralement le problème du découpage électoral, c'est-à-dire la technique par laquelle le territoire national (ou une partie de celui-ci) est divisé en circonscriptions électorales dans lesquelles les électeurs sont repartis pour exercer leur droit de vote.

L'enjeu démocratique de ce découpage est particulièrement important dans la mesure où il s'agit d'assurer une certaine équité dans la représentation au nom du principe fondamental d'égalité du suffrage.

1. Le principe d'équilibre démographique: La délimitation des circonscriptions électorales doit être effectuée en respectant le principe d'égalité de représentation des populations dans chacune des circonscriptions. Celles-ci doivent en effet intégrer une quantité identique d'habitants et chaque élu émaner d'une population équivalente, pour ne pas qu'une catégorie de citoyens soit mieux représentée qu'une autre. Avant de procéder au découpage en lui-même, il est donc nécessaire de déterminer l'indice de représentativité, c'est à dire le quotient du nombre de sièges à pourvoir par celui des individus concernés, chaque circonscription devant approcher autant que possible de ce quotient.

Toutefois, cette notion d'équilibre démographique, si fondamentale pour une égale représentation des populations, ne saurait être en pratique synonyme de stricte proportionnalité.

Des écarts de représentation sont en effet admissibles pour tenir compte d'impératifs d'intérêt général, (comme la prise en compte de réalités naturelles constituant certains ensembles géographiques, des solidarités qui les unissent ou encore la nécessité d'assurer un lien étroit entre élu et électeur ...) tant qu'ils restent exceptionnels et maintenus dans des limites compatibles avec le principe d'égalité.

2. Le principe de continuité territoriale : Chaque circonscription doit être d'un même tenant, cela pour des raisons techniques et pour

simplifier la carte électorale. Cependant il est possible de déroger à ce principe lorsqu'un territoire comprend des parties insulaires ou enclavées.

3. *L'impératif d'actualisation du découpage électoral* : En raison des variations naturelles de la population et des migrations au sein du territoire, tout découpage électoral est frappé à terme d'obsolescence, selon l'inertie des découpeurs.

Plusieurs exemples historiques viennent illustrer cette tendance comme les fameux « rotten Burroughs » d'Angleterre au début du XIX^e siècle (du fait de découpages électoraux datant du XVII^e siècle, certains « bourgs de poches » fournissaient autant de représentants à la chambre des Communes que de grandes villes comme Manchester ou Leeds)

Pour éviter de telles injustices, des adaptations périodiques sont nécessaires, modifiant le nombre et les limites des circonscriptions.

L'instance chargée du redécoupage doit s'appuyer sur les derniers recensements, la répartition géographique des populations et la topographie (les bureaux de vote devant être repartis de manière à garantir une égalité d'accès dans chaque circonscription)

Toutefois ces principes ne sont pas suffisants pour conjurer toute possibilité d'inégalité et la justice démographique n'est pas synonyme de justice politique.

En effet, l'autorité politique compétente peut tout en respectant ces quelques principes, orienter en sa faveur les redécoupages par le procédé obscur du « Gerrymandering».

2

Le Gerrymandering, découpage électoral dévoyé à des fins politiques

Il s'agit d'un procédé de découpage électoral tirant son appellation d'un gouverneur du Massachusetts, Elbridge Gerry , qui s'était illustré par un mode complexe et sophistiqué de délimitation de circonscription , afin de maximiser les chances de son parti. Il découpa si bien les circonscriptions pour l'élection sénatoriale de 1910 que ses amis

emportèrent 29 sièges avec 50164 suffrages exprimés contre seulement 11 sièges aux adversaires qui avaient pourtant obtenu 51766 voix.

Ce néologisme vient en fait de la contraction de Gerry et de « salamander » car les circonscriptions obtenues présentaient de curieuses formes, rappelant celle de la salamandre.

Ce sobriquet est aujourd'hui utilisé pour désigner toute opération de découpage ne respectant aucune considération autre que celle de l'opportunité politique, au risque d'aboutir à des délimitations artificielles et tourmentées.

1. Le Gerrymandering en pratique : Si l'absence de redécoupage relève parfois d'un calcul politique, le redécoupage en lui-même peut être l'occasion de manœuvres déloyales bien que légales.

Il suffit en effet à l'autorité compétente de s'appuyer sur une connaissance détaillée des élections précédentes pour orienter dans son intérêt le découpage électoral.

Les techniques le plus souvent utilisées consistent à faire en sorte de gagner partout avec une marge minimum (51%) ou bien de faire gagner l'adversaire politique avec un score maximum mais dans un espace réduit pour qu'il « gaspille » ses voix. La stabilité des comportements électoraux rendant ce type de calcul tout à fait raisonnable.

2. Un exemple concret : Soit deux circonscriptions I et II respectivement pourvues de 50000 et 80000 électeurs et deux partis politique A et B en compétition électorale.

Dans la circonscription I , 30000 électeurs votent pour A et 20000 pour B .

Dans la circonscription II, 20000 électeurs votent pour A et 50000 pour B.

Par ailleurs, on sait que dans la circonscription II, les électeurs de B sont majoritaires dans les bureaux de vote et que leur force est écrasante dans certains villages ou quartiers.

En détachant de II une partie de son territoire où vivent 20000 électeurs dont 17000 votent pour B et seulement 3000 pour A, on permet au parti B d'enlever les sièges de I , sans pour autant perdre ceux de II .

3

Comment garantir l'objectivité du découpage électoral ?

Le gerrymandering peut nuire fortement à l'équité de la représentation et peut entraîner de graves déphasages entre le pays légal et le pays réel. Afin d'éviter que le découpage électoral ne devienne un « charcutage électoral » au gré des échéances et de la conjoncture politique, un principe d'équilibre politique est requis pour que l'impartialité et l'objectivité restent de rigueur .

Dans cette optique, diverses solutions ont été retenues par les Démocraties modernes pour conjurer ces intrusions de l'arbitraire dans le processus électoral.

1. Le principe d'équilibre politique : Il s'agit ici moins de l'égalité entre les électeurs que de l'égalité de chance entre les candidats et forces politiques en compétition dans la bataille électorale.

Cet équilibre implique que l'on veille à ce que l'électeur ne soit grugé ou en partie dépouillé de sa liberté de choix, par un aménagement approprié des circonscriptions électorales.

2. Le contrôle par une haute juridiction : Il est dangereux de laisser aux compétiteurs le soin de tracer les contours de l'aire de jeu , au risque de les voir en malmener la règle . Bien que des trois composantes du découpage électoral (démographie, géographie, politique) la Troisième soit la plus rétive à un encadrement juridique, plusieurs Etats ont choisi d'octroyer à une haute juridiction le pouvoir de contrôler ces opérations, d'en approfondir le cadre juridique et même de les annuler en cas « d'erreur manifeste d'appréciation ».

Ainsi en est-il en France où le Conseil d'Etat contrôle les découpages effectués par décret tandis que le Conseil constitutionnel se charge de ceux effectués par loi .

3. La prise en charge du découpage par une autorité indépendant et neutre : La charge des opérations périodiques de découpage peut être

confiée à une commission indépendante et neutre, solution adoptée notamment en Allemagne et au Royaume-Uni.

Par ailleurs, lors des élections majeures, les bulletins de vote ne sont pas dépouillés dans les bureaux de vote, mais aux bureaux centraux des « boundaries », afin que l'éventuelle connaissance des résultats à un niveau plus fin que celui de la circonscription ne puisse servir à de futurs redécoupages orientés.

Bibliographie

Ardant (P), *Institutions politiques et Droit constitutionnel*, Paris, LGDJ, 2000.

Ponceiri (R), *Le découpage électoral*, Paris, Economica, 1988.

Perrineau (P), Reynié (O), *Dictionnaire du vote*, Paris, PUF, 2001.

Martin (P), *Les systèmes électoraux et les modes de scrutins*, Paris, Montchrétien, 1994.

Favoreu (L), Phillip (L), *Les grandes décisions du Conseil constitutionnel*, Dalloz, 1999 pp. 694-713 (dec 86-208 et 86-218 relatives à l'égalité de représentation dans les élections politiques).

Principe d'égalité et droit de suffrage, Actes de la VIème Table ronde internationale de justice constitutionnelle, Aix-en-Provence, in *Annuaire International de justice constitutionnelle*, 1991, pp. 195-329.

7

La cartographie: Un outil d'analyse du paysage électoral

Rita Zaarour et Jocelyne Adjizian-Gerard

Dans le cadre du projet de recherche sur la géographie électorale et, plus particulièrement, pour une approche critique du paysage électoral libanais, la carte, outil de description, d'analyse des processus spatiaux et d'aide à la décision, trouve tout son intérêt.

1

La cartographie : outil de description et d'analyse

La carte, outil de description, permet une approche synoptique du paysage électoral libanais. Elle offre une vue globale, immédiate de la réalité de la géographie électorale, à un moment donné, sur l'ensemble du territoire.

La superposition cartographique des différents découpages territoriaux (en vue d'élections) qui se sont succédé dans le temps contribue à la reconstitution de l'évolution temporelle du paysage électoral. Par conséquent, il est possible de décrire les mutations spatiales et les variations des forces prédominantes à différentes dates.

De par son rôle d'aide à la description du paysage politique abordé dans sa double dimension spatio-temporelle, la carte devient un outil d'analyse. Elle facilite la compréhension de l'évolution du phénomène électoral dans sa composante spatiale. Par conséquent, la cartographie met en évidence des structures territoriales, telles que :

- des champs de force ou de faiblesse (Bon, Cheylan; 1988) qui révèlent la diffusion, la régression ou la stabilité d'un courant politique.

- des dynamiques dans l'espace et dans le temps qui peuvent être appréhendées selon deux échelles :
- **globale** pour une meilleure connaissance des fluctuations majeures des courants politiques ,
- **locale** pour dégager des phénomènes de conquêtes territoriales, de transfert et de glissement de pôle politique.

Par ailleurs, l'approche cartographique et la superposition d'informations permettent d'extraire des cas d'étude représentatifs du contexte libanais. Ces échantillons, pertinents car dégagés après analyse, peuvent faire l'objet de recherche approfondie.

2

La cartographie: un outil d'aide à la décision

Des élections plus démocratiques devraient répondre à une interrogation de base : Le scrutin est-il conforme aux structures sociales, économiques et culturelles des découpages territoriaux actuels?

Afin d'y répondre, la cartographie joue un rôle primordial dans l'élaboration de deux types de documents:

- Les cartes thématiques à partir de données brutes, telles que : le nombre d'électeurs selon leur lieu de résidence et lieu d'origine, le niveau éducatif, l'appartenance religieuse, la démographie ...
- Les cartes thématiques issues des données traitées. L'analyse des résultats présentés sous forme spatialisée contribue à dégager des problématiques géographiques, territoriales, appropriées et telles qu'elles se posent réellement au Liban.

Cette approche, par conséquent, apparaît comme une étape essentielle pour la proposition d'un découpage électoral pertinent.

3

Les problèmes cartographiques

L'élaboration de documents cartographiques efficaces est tributaire des variables adoptées et des différentes échelles spatiales choisies.

1. *Le choix des variables* : Il dépend des objectifs qui doivent être précisés avant toute étude. Les données, de préférence fiables, devraient correspondre au découpage spatial de l'étude. Le choix de ce dernier dépend de la disponibilité des données, surtout échelle fine.

2. *Le choix de l'échelle* : Il serait souhaitable de travailler dans la mesure du possible, à l'échelle de l'unité spatiale élémentaire du paysage électoral (Circonscriptions foncières ou quartiers dans le cas des villes). Ce choix est conditionné par le fait, que dans la démarche cartographique, il est plus facile d'agréger que de désagréger une information.

3. *La collaboration entre partenaires de différentes disciplines* : La qualité des résultats obtenus et l'analyse qui en découle dépend de la collaboration étroite entre spécialistes du domaine électoral (politologues, juristes...) et géographes. Cette réflexion commune fournit une aide au géographe dans sa démarche à savoir, traiter les données les plus pertinentes et les transcrire dans un document cartographique.

Les connaissances du géographe, son analyse seront un apport fondamental dans le domaine de la géographie électorale, c'est-à-dire appréhender cette recherche sous son aspect spatial.

L'approche cartographique thématique, la superposition d'informations, la pluridisciplinarité forment une démarche innovante au Liban et dans laquelle la contribution des différentes compétences ne peut qu'aboutir à la proposition d'un découpage électoral optimal, plus respectueux de la réalité sociale et politique.

الجغرافية الانتخابية والبيئة السكانية في لبنان: تاريخية القضاء
انطوان غصين

الباب الثاني

Deuxième partie

مناطق وسكان وطوائف: قواعد لميثاق انتخابي

Régions, démographie et communautés:

Les fondements d'un pacte électoral

الجغرافية الانتخابية في لبنان ازاء التوزيع الطائفي

فاديا كيوان

يعتز أنصار النظرية التوافقية بأن النظام اللبناني المبني على ديمقراطية المشاركة او الديمقراطية التوافقية يعمد الى التوزيع النسبي للمقاعد النيابية انطلاقاً من التركيبة الطائفية للنسيج الاجتماعي اللبناني. واعتماد التوزيع النسبي طائفيًا يهدف في الأصل الى ضمان مشاركة مختلف الفئات من المواطنين اللبنانيين في الحياة السياسية وتاليًا في صناعة القرارات العامة التي تعني شؤونهم جميعًا وتقرر مصيرهم ومستقبلهم جميعًا.

قاعدة النسبية التي يتحدث عنها اتفاق الطائف وكذلك الدستور اللبناني (المادة 42 منه) تترجم بالحصص الموزعة على الطوائف وعلى مختلف المناطق. وبالنظر الى الطابع الرمزي للنسبة اكثر منه اعتماد مقاييس حسابية بسيطة لقياس حجم الطوائف والمناطق، فان قاعدة النسبية هذه تفتح بابًا واسعًا للاجتهد في مجال الجغرافية الانتخابية أي في كل ما يتصل بحجم الدوائر وحجم الطوائف في مختلف الدوائر.

من هذا المنطلق يكتسب النقاش حول حجم الدوائر الانتخابية اهمية خاصة. ومن الطبيعي والحال هذا ان النسيج الاجتماعي اللبناني هو طائفي وان هذه التركيبة تنسحب بشكل واسع على نسيج الاحزاب والقوى السياسية الرئيسية، ان يتساءل المراقب عن صيغة او حجم الدائرة التي باستطاعتها ان تضمن في آن مشاركة مختلف الفئات في الحياة السياسية وصدق التمثيل، اي تلك التي تستطيع ان تحقق مشاركة سائر التوجهات والحساسيات الموجودة في الرأي العام اللبناني وان تضمن بالفعل تمثيلها جميعها أو أغلبيتها وليس استعمالها وتجييرها.

السؤال المشروع في هذا السياق هو الآتي: طالما ان النظام التوافقي اللبناني يقوم على التمثيل النسبي الطائفي والمناطقى وان وثيقة الوفاق الوطني وكذلك الدستور قد نصا على ذلك فإلى أي مدى تساهم الجغرافية الانتخابية في ترجمة هذا التمثيل الى واقع والى حقيقة؟

1

حجم الدوائر وواقع النسيج الاجتماعي اللبناني

يدور سجال واسع في لبنان منذ ما بعد اتفاق الطائف وبسببه الى حد ما حول حجم الدوائر الانتخابية. وتجدر الاشارة الى ان اتفاق الطائف قد حدد قاعدة لاجراء الانتخابات النيابية هي "المحافظة" على ان يعاد النظر في التقسيم الاداري اي في خريطة المحافظات. فالواقع ان تقسيم الدوائر الانتخابية اعتمد في مرحلة ما قبل الحرب التقسيم الاداري الى اقصية ضمن المحافظات الخمس. وكانت الدائرة الانتخابية هي القضاء الاداري.

لكن زمن ما بعد الحرب شهد تصاعد كلام حق يراد به باطل مفاده ان ضرورة الانصهار الوطني تقضي بتوسيع الدوائر الانتخابية بهدف جمع اللبنانيين على اختلاف انتماءاتهم الطائفية في بوتقة واحدة. وضرورة "الانصهار" نفسها تأسست على المنطق القائل بأن "الطائفية البغيضة" هي سبب الحرب اللبنانية ومن الضروري صهر اللبنانيين وتجاوز الطائفية في التمثيل السياسي من اجل تمتين الوحدة الوطنية.

وساد اتجاه في القوانين الانتخابية التي أقرت بعد الطائف الى اعتماد الدوائر الكبرى - المحافظة - من دون او قبل اعادة النظر بتقسيم الدوائر الادارية.

بالطبع يتّم هذا التوجه عن نهج يعقوبي يعمل على "الصهر" القسري او المبتزل الى حد ما، لكن اغرب ما في الأمر ان تقسيم الدوائر الانتخابية لم يكن هو نفسه في كل قانون انتخابي بعد الطائف ولم يعتمد نفس القاعدة اي اما القضاء واما "المحافظة الادارية" في كل المناطق. فكان يعتمد هذه وتلك وحالة ثالثة بينهما هي ان يتم جمع عدة اقصية ضمن المحافظة الواحدة لكن يتم في نفس الوقت تقسيم المحافظة الى عدة دوائر انتخابية فيما تجمع كل الاقصية في محافظة اخرى وتعتبر دائرة انتخابية واحدة.

ازاء هذا التناقض حتى على مستوى القانون الواحد وازاء التمييز السافر وغير المبرر في ما بين المواطنين، اصبح السؤال حول صدقية التمثيل النسبي للمواطنين بحسب انتماءاتهم الطائفية سؤالاً مشروعاً بل أساسياً.

كذلك اصبح من الضروري ان نتساءل الى اي حد تتسجم القوانين الانتخابية هذه مع فلسفة النظام التوافقي اللبناني أي مع الدستور ومع اتفاق الوفاق الوطني في آن. ومن الطبيعي التساؤل حول دستورية أي قانون انتخابي ومشروعته اذا لم يكن يحقق بالفعل التمثيل النسبي وصدق التمثيل لكل الفئات التي يقر بها النظام اللبناني.

2

التمثيل النسبي للطوائف في لبنان هو خدعة

ماذا يقصد المشتري اللبناني بالتمثيل النسبي طائفيًا او التمثيل النسبي الطائفي؟ يقصد ان يعبر التمثيل النيابي ما أمكن عن مختلف الحساسيات والتوجهات. وفي هذه الحال يكون التمثيل صادقاً. لكن التركيبة الاجتماعية اللبنانية متنوعة جدًا فهناك اعتراف بوجود ثمانية عشر طائفة، يقر القانون العام اللبناني بمشروعية أحكامها الروحية أو الشرعية (المادة 9 من الدستور). وتذكر قوانين الانتخاب أغلبية هذه الطوائف في التوزيع النسبي للمقاعد لكن التوزيع النسبي هو اعتباري طائفيًا ومناطقياً: فطائفيًا يقر أنصار التوافقية بان النسبة هي نسبة وليس قياس حسابي وهناك تعمد الى تعزيز تمثيل الاقليات وحصر وخفض تمثيل الاكثريات *sureprésentation des minorités et sousreprésentations des majorités*.

لكن في النهاية تتراكم التوزيعات الاعتبارية من التوزيع الطائفي الى التوزيع المناطقي فيكون هناك احيانًا مقعد نيابي لـ 4000 مواطن (مثل المقعد الماروني في طرابلس) ويقابله في نفس الدائرة مقعد نيابي لكل 20,000 الف مواطن من طائفة أخرى (كل مقعد سني في طرابلس) فيما يكون هناك مقعد نيابي لما يزيد عن 25 الف مواطن ماروني في منطقة اخرى (مثل جبيل). كيف تتوزع المقاعد الطائفية على المناطق وما هي قاعدة هذه النسبة الطائفية/

المناطقية في آن؟

تتوسع كما رأينا دائرة الاستتساب حتى يخال للمراقب ان التمثيل النسبي هو حجة أو خدعة بل أداة لتفصيل مقاعد نيابية على قياس مواقع نفوذ ترغب السلطة في تعزيزها وتحقيق مشاركتها في السلطة دون سواها.

3

النسيج المختلط والمتداخل طائفيًا يجعل الدوائر الكبرى والوسطى والصغرى دائرة/ قضاء اداري في نفس المرتبة

أكانت الدائرة الانتخابية هي "الصغرى" بالمفهوم اللبناني المتداول أي المتطابقة مع القضاء الاداري او كانت هي "الوسطى" حيث يتم جمع عدة اقصية في محافظة ولكن ليس كل اقصية المحافظة الادارية او كانت هي الكبرى اي الدائرة الانتخابية المطابقة للمحافظة الادارية، اي في الحالات الثلاث يتبين ان الاغلبية الساحقة للدوائر مختلطة جدًا طائفيًا، واختلاطها غير متوازن بمعنى ان في كل منها وإياها كان حجمها كما ذكرنا هناك دائمًا أغلبية في طائفة معينة وأقليات من الطوائف الاخرى. وهنا بضع دوائر/ اقصية هي ذات لون طائفي صرف (قضاء زغرتا، بشري، البترون، كسرون، النبطية).

ماذا يحصل في الحالة السائدة في أغلبية الدوائر (صغرى، وسطى وكبرى)؟ يحصل ان الاغلبية الطائفية في كل منها تقرر مصير سائر المقاعد النيابية في الدائرة. فالكتل الناجبة في لبنان شئنا أم أبينا هي كتل طائفية التركيب والكتل الناجبة المهيمنة عددًا في كل دائرة تتحكم بنتائج الانتخابات. ويتبين من معاينة النتائج في عدة دوائر من أحجام مختلفة (صغرى وكبرى) ان الكتل الناجبة الطائفية الأكثر عددًا لها تأثير حاسم حتى وان انقسمت داخل الطائفة الواحدة. فمثلاً الطائفة السنية تقرر مصير انتخابات بيروت اذا كانت بيروت دائرة انتخابية واحدة حتى وان انقسمت الطائفة السنية الى عدة اتجاهات سياسية وتوزعت على عدة لوائح كما حصل في انتخابات عام 2000. وجاء ذلك مع ان بيروت قسمت الى ثلاث دوائر وسقطت المقولة الشهيرة للدور الحاسم للكتلة الناجبة الأرمنية فقد بينت النتائج الانتخابية في بيروت في العام 2000 انه ومع الانقسام الحاصل ومع الاستقطاب الذي كان حاصلًا بين الرئيسين الحريري والحص ومع ان الخط الثنائي التقليدي الذي يعتمد عليه حزب الطاشناق هو في الوقوف الى جانب الحكم وبالتالي

دخول الحزب في تحالف مع لائحة الرئيس الحص الذي كان في حينه رئيس حكومة، فقد سقطوا معاً أي ان الكتلة الناخبة الأرمنية العائدة لحزب الطاشناق لم تستطع ان تؤثر ذلك التأثير القادر على تعديل نتائج الانتخابات. وظهر جلياً ان التوجه الاكثري للكتلة السنية هو الذي حسم أمر كل المقاعد الانتخابية في تلك الدائرة. فالكتلة الناخبة الاكثرية والتي هي من لون طائفي واحد حددت بشكل واسع مصير المرشحين المنتمين الى مختلف الطوائف الاخرى. ويتبين الاختلال في موضوع التمثيل النسبي اذا ما نظرنا الى الارقام والنسب: وهي كالاتي: عدد المقاعد النيابية في محافظة بيروت 19 مقعداً.

توزيع المقاعد بحسب النسبية على الطوائف					
إجمالي	سني	شيعي	درزي	ماروني	كاثوليكي
19	6	2	1	1	2
ارثوذكس	انجيلي	أرمن كاثوليك	أرمن ارثوذكس		
أقليات					
2	1	1	3		
نسب التوزيع الطائفي للناخبين					
سني	شيعية	دروز	موارنة	كاثوليك ومختلف	
%38	%13	%2	%8	%12	
ارثوذكس	ارمن				
%13	%16				

(المصدر: لوحة 15 - 66) نسبة الناخبين حسب الطوائف من مجموع الناخبين في بيروت، الانتخابات الاولى بعد الحرب، فريد الخازن وبول سالم²⁷.

²⁷. المركز اللبناني للدراسات، بيروت، 1993.

نسب المقاعد	النسب	إجمالي 343462	
%31,5	%37,5	38	128790 سني
%15,8	%12,3	13	42287 شيعة
%5	%1,2	2	4083 دروز
%21	%16,4	16	56259 أرمن
%10,5	%11,7	13	40252 أرثوذكس
%5	%7,5	8	25782 موارنة
%15,8	%13,4	12	46009 كاثوليك ومختلف

يتبين من النسب الواردة أعلاه ان هناك استتسأبًا في توزيع عدد المقاعد بين الطوائف وان الحجم السكاني لكل طائفة لا يتطابق مع نسبة المقاعد المخصصة لها. ويتبين ان قاعدة تضخيم تمثيل الاقليات وتخفيض تمثيل الاكثريات غير مطبق بدقة فهناك تخفيض عند السنّة وتضخيم عند الشيعة وتخفيض عند الارثوذكس وعند الموارنة ومن ثم تضخيم عند الكاثوليك المختلف وتضخيم عند الأرمن 16,4% - 21% من المقاعد.

كيف ان نسبة الشيعة خضعت لتضخيم من 12,3% الى 15,8% من المقاعد فيما نسبة 11,7% من الارثوذكس خضعت لتخفيض الى 10,5% من نسبة المقاعد. هذا التوزيع هو أشبه بالتلاعب منه بالتوزيع النسبي.

من جهة أخرى وبالنظر الى التوجه الطائفي الذي ما زال يطبع سلوك الكتل الناخبة واغلب الظن في الحالات التي تكون فيها الطائفة تشكل أكثرية عددية، يتجه المواطنون الى موقف طائفي او عصبوي - ميني على تضامن بين افراد الطائفة الواحدة. كذلك وبوجود كتلة ناخبة مهيمنة عددياً يظهر استقطاب طبيعي في الدائرة الانتخابية ضمن الطائفة التي تشكل اكثرية. وخلافاً للاعتقاد السائد فان الاختلاط الطائفي في حضور اكثرية طائفية لا يدفع دائماً الاكثرية الى التفكك والى التوجه نحو عقد تحالفات مع الكتل الناخبة التي تمثل اقلية في الدائرة الانتخابية نفسها. حتى ان تجربة الانتخابات الاخيرة في لبنان بينت ان الكتل الناخبة الطائفية

التي تشكل اكثرية في عدة دوائر تتعلق على نفسها اكثر وتزِيل سائر التناقضات في ما بين الفرقاء الاساسيين لديها بهدف ضمان نجاحها كطائفة في التحكم بنتائج الانتخابات في الدائرة المعنية. في هذا السياق يمكن اتخاذ التحالف الشيعي-الشيعي في محافظة الجنوب كنموذج عن التوجه الذي تعتمده الاكثرية الطائفية المهيمنة. كذلك يمكن فهم الحملة الانتخابية التي جاءت بالفوز الكاسح للائحة الرئيس الحريري في بيروت. ففي هذه الحالة تحديداً كان الهاجس الذي اوثق عرى التضامن هو هاجس "مكانة الطائفة" وعلى اساس المحافظة على هذه المكانة للطائفة ظهر التضامن الواسع الطائفي البيروتي.

العبرة مما تقدم ان وجود تنوع طائفي ليس بحد ذاته عبرة عن انفتاح وتعاون سياسي يخترق الطوائف فلا بد من ارجحية طائفية وفي هذه الحال تتحكم الكتلة الناجبة الكبرى بنتائج سائر المرشحين. فما معنى ان تقرر كتلة النواب السنة او القطب السني رئيس اللائحة في بيروت اسماء المرشحين المسيحيين وان يضمن لهم النجاح في الانتخابات؟ هذا ما يحصل في وجود تدخل طائفي وفي غياب صراع برامج حقيقي وفي غياب مؤسسات حزبية جامعة. ان الاستقطاب الشخصي لا يمكن ان يكون الا طائفيًا واذا ما تطور شيئاً ما ترافق وشبكة علاقات قائمة على المحسوبية. ومن الصعب للزعامة الشخصية ان تتجاوز الحلقة الطائفية الضيقة وان تكتسب بعداً تمثيليًا وطنيًا.

4

الدوائر الصغرى لا تخرج عن قاعدة الاستنساب والتلاعب باصوات الاقليات

هل ان الدوائر الصغرى تخفف من ضغط الكتل الناجبة ذات اللون الطائفي الواحد والمهيمنة عدديًا؟ ان التجربة الحاصلة لا تدل على تبدل في نسبة ضغط الاكثرية العددية ذات اللون الطائفي والتوجه الواحد. ويبقى السؤال مشروعًا حول صدقية التوزيع النسبي للمقاعد على عدة طوائف او بكلام آخر وجود مقاعد نيابية لكتل ناجبة تشكل اقليات من ألوان طائفية أخرى. ان حالة جبيل شاهد على ذلك فالكتلة الناجبة المهيمنة هي مارونية 50,000 ناخب تقريباً من اصل 75000 ناخب اجمالي وهناك مقعد شيعي لعشرة آلاف ناخب شيعي. صحيح ان فلسفة

الدوائر المختلطة تهدف الى ان يتشارك الناخبون في اختيار النواب من مختلف الطوائف في الدائرة الواحدة. ولكن ما معنى وما قيمة الخيار الذي تقوم به كتلة ناخبة اقلية في مواجهة كتلة ناخبة اكثرية؟ بالطبع فان الناخبين الموارنة يحسمون امر المقعد الشيعي. وتكون رئاسة اللائحة حكماً لماروني. وحتى عندما ذُوبت بلاد جبيل في دائرة وسطى في انتخابات عام 2000، فان الاغلبية المارونية الساحقة هي التي قررت مصير المقعد الشيعي (مقعد شيعي من اصل 8 مقاعد والباقي مقاعد مارونية) ما هي صدقية التمثيل في هكذا نظام؟ وما هو المعنى الحقيقي للتمثيل النسبي الطائفي؟ هل انه يعني ان يعود للاغليات الطائفية ان تختار نواب عن الطوائف الاخرى الموجودة معها في دائرة واحدة ولكن حجمها العددي ضعيف؟ ناهيك عن الاستتساب في عدد المقاعد وفي نسبة الناخبين الى المقاعد في ما بين الطوائف وفي الطائفة الواحدة.

في كسروان 5 مقاعد موارنة لـ 75000 ناخب وفي جبيل مقعدين لـ 50000 ناخب أي لكل 15000 ناخب ماروني في كسروان ولكل 25000 ناخب ماروني في جبيل. وفي جبيل نفسها مقعد لكل 25000 ماروني ومقعد لـ 1000 شيعي يختاره الناخبون الموارنة. أما في جبيل - في حال الدائرة الصغرى - واما في جبيل وكسروان في حال الدائرة الوسطى.

نحن نعرف ان نية المشرع في الاصل هي تعزيز العيش المشترك والانصهار الوطني لكن الانتخابات العامة تهدف اولاً وقبل كل شيء الى صدق التمثيل فأى صدق هو صدق هذا التمثيل؟ وما هي فحوى التمثيل النسبي الطائفي؟

الواقع ان كل أحجام الدوائر تتحول الى مأزق لأن هناك واقعاً سوسولوجياً لا يمكن تجاوزه بسهولة وتلك هي المشكلة:

1. ان تواجد اكثرية طائفية ما في دائرة ما يعزز تعصبها بدل انفتاحها.
2. ان السلوك الانتخابي في لبنان لم يتأطر بعد بشكل كاف في أطر مؤسساتية وهو ما زال شخصانياً وعائلياً وبالتالي محكوم بالخلفية الطائفية في غياب برامج سياسية عقلانية وجدية تكون هي محور النقاش السياسي العام وتكون الإطار الذي تتمفصل حوله المواقف الفردية والجماعية.

ما لاحظناه في حالة المقعد الشيعي في بلاد جبيل ينسحب على حالة المقعد الماروني في جزين. ولكن المقايضة او البازار الذي تلجأ اليه القوى السياسية - وهذا أمر مشروع - لا يمت بأي صلة الى التوجهات الحقيقية للمواطنين في المنطقة المعنية. فما علاقة موارنة جزين وشيعة جبيل بالمقايضة التي قد تحصل بين "حزب الله" وحزب الكتلة الوطنية؟ علماً ان هكذا مقايضة لم تحصل حتى الآن لكن الانتخابات المقبلة مرشحة لهكذا نوع من المقايضات "الفوقية" التي قد لا تعبّر عن التوجهات الحقيقية للمواطنين المحليين.

ولا بد ان يدفع بنا هذا المشهد - المأزق الى البحث عن سبل أخرى لتحقيق صدق التمثيل دونما المساس بقاعدة العيش المشترك.

وفي هذا السياق نحن نعتبر ان المشكلة ليست كامنة في النظام الانتخابي او في حجم الدوائر بل في الذهنية الاجتماعية السائدة وفي السلوك العام. ولكن يمكن للنظام الانتخابي ان يضع اسساً ومدخلاً للتغيير على مستوى السلوك وبالتالي على مستوى الذهنيات.

في هذا السياق، ما هي الصيغة الفضلى التي تحقق صدق التمثيل وتحمل اللبنانيين تدريجياً - طبيعياً وليس قسرياً - على العمل معاً في المجال السياسي دونما محاولة تلاعب بارادات بعضهم بعضاً ومن دون هيمنة فريق على آخر أو تضامن عسبوي طائفي من أي فريق؟

5

نظام الدورتين والانتقال من الفردية الى المواطنة

طالما انه كلما اتسعت الدائرة تنوعت طائفيًا وظهر فيها هيمنة فريق طائفي على الآخرين وطالما ان الفريق الطائفي يكتل طائفيًا اكثر كلما كبر وكلما تواجه او تداخل مع فرقاء آخرين. فنقترح ان تكون الدائرة الفردية هي القاعدة لدورة انتخابية أولى على ان يتم تقسيم الدوائر انطلاقاً من معيار واحد أحد يكون أول جامع مشترك وصيغة مساواة بين اللبنانيين: أي معيار معدل واحد للناخبين في 128 دائرة انتخابية. فيتم تقسيم مجموع الناخبين على المقاعد الـ 128 ومن ثم يتم ترسيم حدود الدوائر الانتخابية الفردية بشكل يحترم ما أمكن النسيج الاجتماعي

التاريخي والجغرافية الانتخابية السابقة وذلك بهدف عدم إحداث تقسيمات مبتذلة في الجسم الاجتماعي.

يمكن تحديد معيار الدورة الاولى بحد أدنى من الأصوات يجب ان يحصل عليها أي مرشح من مجمل الناخبين (20% مثلا أو اقل أو اكثر) او اعتماد معيار اختيار المرشحين الثلاث أو الاربع الاول للدورة الثانية.

ويجب ان تأتي الدورة الثانية لتخفف من النزاعات السلبية التي قد ترافق الدورة الاولى:

- شرنمة الرأي العام وتقنيته.
- الصفاء الطائفي او اللون الواحد.
- هيمنة النزعة المحلية.

فإذا كانت الدورة الثانية للانتخابات تقوم على أساس لبنان دائرة انتخابية واحدة اتجه المرشحون الفائزون بالدورة الاولى الى عقد تحالفات واسعة لضمان نجاحهم في الدورة الثانية. كذلك يظهر في الدورة الثانية دور الأحزاب والتيارات السياسية والزعامات الوطنية والأقطاب حيث ان هؤلاء هم نوي افضل المواقع للمفاوضة ولعقد التحالفات.

لكن الدورة الاولى على قاعدة الدائرة الفردية تكون قد أجرت تصفية بين المرشحين عبر العودة المباشرة للرأي العام المحلي ومن دون تدخل الأقطاب والأحزاب مما يلجم الى حد ما دور هؤلاء ويقوم توازنًا في العلاقة بينهم وبين سائر المرشحين الأفراد.

وفي إطار وطني، يستطيع كل المرشحين اعداد برامج سياسية مشتركة ووضع رؤية وطنية تشمل سائر القضايا وليس فقط القضايا الجزئية او الفئوية او المحلية. وعلى مستوى الناخبين تدفع الدورة الثانية الى توسيع آفاق الناخبين وتفتح أمامهم نقاشات وطنية وحوارات حول مسائل عامة ومشاركة. ويشترك المواطنون، جميع المواطنين، بالافتراع للعدد نفسه من المرشحين اي يشارك كل المواطنين في انتخاب كل النواب.

في هذه الحال يضيق هامش المنافسة ويتحول الى ثنائية او ثلاثية اي الى مواجهة بين لائحيتين او ثلاث على مستوى البلاد بكاملها.

من أهم حسنات هذا النظام الانتخابي الثنائي: الدورة الاولى الفردية ومن ثم الدورة الثانية الوطنية انه يحقق مساواة تامة في ما بين المواطنين الناخبين ويشترك الجميع في اختيار مجلس النواب بكامله ويعطي فرص حقيقية لكل المرشحين ويمتحن "تمثليتهم" المحلية ومن ثم يمتحن تحالفاتهم على مستوى مختلف فئات المجتمع. ويبقى هذا النظام على دور للزعامات ولأحزاب ولكن يخضعهم هم ايضاً للرأي العام ولامتحان التعبير عن التوجهات الحقيقية للناس بدل الخيارات الفوقية.

ويمكن لهذا النظام الانتخابي ان يتم تنفيذه في إطار التمثيل الطائفي كما يمكن ان ينفذ في إطار لا طائفي دون ان يتغير شيئاً.

ان هذا الاقتراح مبني على فرضية تنطلق من المفاجأة التي خلقتها الدوائر الانتخابية كلما كبرت واتسعت وهي ان الكتلة الناخبة الطائفية تصبح اكثر طائفية كلما شعرت بانها ذات نفوذ وانه يجري عندها تجاهل اتجاهات الرأي خارج هذه الاكثرية فتصبح هذه الاتجاهات ملحقة او مهمشة او يجري التلاعب بها. والفرضية هي انه كلما صغرت الدوائر الانتخابية وكلما صغرت لونها الطائفي كلما تفككت بفعل صراع النفوذ والمنافسة بين الاقربين على القيادة. وفي هذا الأمر تخف حدة الطابع الطائفي للجماعة كلما تعرضت لهزات داخلية بسبب الصراع على السلطة وعلى القيادة ودفع بها ذلك الى البحث عن حلفاء خارج صفوفها لحسم الصراع الداخلي على النفوذ.

علينا ان نمتحن في المرحلة المقبلة فرضية انه كلما كبر حجم جماعة كلما سادها التعصب والانغلاق وكلما صغر حجمها كلما تفككت عصبيتها وانفتحت على الآخرين.

هناك متغيرات عدة تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات يجب ان تؤخذ في الحسبان في أية دراسة لاتجاهات الرأي ولتطور درجة التعصب.

من جهة أخرى لا بد لنا من التنويه بأهمية الجغرافية الانتخابية لجهة أنها ميدان من علم السياسة يعتمد على الأرقام واللوائح واللوحات والجداول والخرائط وبالتالي يسمح بدراسة السلوك السياسي الانتخابي بشكل علمي ومتعمق.

وبالطبع نعرف ان علم الاجتماع الانتخابي ما زال فتنياً في لبنان لأن الحرب أخرت المسيرة الديمقراطية فيه ولأن سنوات ما بعد الحرب ما زالت مربكة بسبب الضغط ولكن إرباك الممارسة السياسية في لبنان يدعو الى التفكير ملياً والى إجراء الأبحاث والدراسات لتجذير التقاليد الديمقراطية وتكثيف الأدبيات العلمية حول الانتخابات العامة.

الاهداف الدستورية في الجغرافية الانتخابية اللبنانية المتغيرة

واصف الحركة

الجغرافية الانتخابية في لبنان تغيرت وتبدلت من قانون الى آخر قبل الاستقلال وبعده. وصغرت الدوائر الانتخابية وكبرت وفقاً للاهواء السياسية والحسابات الشخصية دون ان تأخذ دائماً بالاعتبار مراعاة الاهداف الدستورية أو شروط التمثيل الديمقراطي، مما يحدو بنا ان نشبه الجغرافية الانتخابية اللبنانية في اختلاف تقاطعها وتصوراتها بلعبة اللغز puzzle في اختلاف قطعها وصورها. لكن الفارق ان هذا اللغز لعبة الصغار، وذاك الآخر لعبة الكبار. حسينا ان نلقي نظرة على التغيرات في الجغرافية الانتخابية اللبنانية لنذكر اسرارها واهدافها .

1

التغيرات الجغرافية

نستعرض بإيجاز هذه التغييرات منذ إعلان لبنان الكبير حتى اليوم .

1. **جغرافية 1922:** حدد المفوض السامي بموجب القرار رقم 1307 تاريخ 1922/3/8 عدد النواب بثلاثين وجرى تقطيع لبنان انتخابياً الى الوية قريبة للمحافظة (لواء لبنان الشمالي ولواء جبل لبنان ولواء لبنان الجنوبي ولواء البقاع) باستثناء مدينتين مستقلتين ادارياً (بيروت وطرابلس)، وبالتالي يكون عدد الدوائر الانتخابية ستة . وجرت الانتخابات على دورتين بحيث ينتخب أولاً المندوبون الذين ينتخبون بعد أسبوع النواب.

استمر العمل بالقرار المذكور حتى سنة 1934 حيث صدر القرار رقم 2 الذي الغى الانتخاب على درجتين واعتمد مبدأ الانتخاب المباشر على درجة واحدة. ويلاحظ في تلك الفترة الترابط الوثيق بين الدائرة الادارية والدائرة الانتخابية الذي استمر لسنوات قبل ان يتعرض لمبضع التغيير (تصغيراً أو تكبيراً) منذ عام 1951 وصاعداً .

2. جغرافية 1951: في 10 آب 1950، قبل سنة من موعد الانتخابات النيابية، اصدر الرئيس بشارة الخوري أول قانون انتخاب في عهد الاستقلال رفع عدد النواب الى 77 وجعل المحافظات الخمس 9 دوائر انتخابية، بحيث بقيت بيروت والجنوب والبقاع 3 دوائر انتخابية كالسابق، وقسمت محافظة الشمال الى 3 دوائر (طرابلس، عكار، زغرتا - الكورة - البترون). وقسمت محافظة جبل لبنان 3 دوائر انتخابية (كسروان، بعبدا - المتن، الشوف - عاليه). وكان الهدف من تقسيم المحافظات المذكورة الى دوائر صغيرة تشتيت الخصوم من الكتل السياسية المعارضة.

3. جغرافية 1953: حل الرئيس كميل شمعون المجلس النيابي عام 1952 بعد اقل من سنة على انتخابه، واصدر المرسومين الاشتراعيين رقم 6 و 7 لعام 1952 اللذين عدلاً عدد النواب من 77 الى 44. وقسمت المحافظات الخمس الى 33 دائرة انتخابية (22 دائرة فردية بمعدل نائب واحد لكل دائرة، 11 دائرة لكل منها نائبان). وقضى هذا التقسيم على الترابط بين المحافظة الادارية والمحافظة الانتخابية في محاولة ايضاً لتشتيت الائتلافات الانتخابية المعارضة .

4. جغرافية 1957: في محاولة لتجديد رئاسته، سعى الرئيس شمعون الى تعديل قانون الانتخاب بحيث رفع عدد النواب من 44 الى 66 وخفض عدد الدوائر من 33 الى 27، فجعلت بيروت دائرتان وخفضت محافظة جبل لبنان دائرة فجعلت ثمانية بدلاً من تسع اذ ضمت دائرة

الفتوح الى كسروان، وبقيت محافظة الجنوب سبع دوائر مع تغيير في توزيع بعض المناطق اذ فصلت مغدوشة عن جزين وضمت الى دائرة الزهراني التي سميت دائرة صيدا، لكن المجتمع الاهلي استمر بتسميتها دائرة الزهراني حتى انتخابات عام 1992. كما خفضت محافظة البقاع من اربع دوائر الى ثلاث، ودوائر محافظة الشمال من ثمانية الى سبع بعد ان جعلت طرابلس دائرة واحدة بدل دائرتين . ومن المسلم به، ان هذه التغييرات كانت ترمي الى اسقاط بعض الخصوم في انتخابات 1957 التي اشعلت لاحقاً احداث 1958 .

5. جغرافية 1960: في عهد الرئيس فؤاد شهاب تعدل قانون الانتخاب بحيث ارتفع عدد النواب من 66 الى 99 وتكرس الانفصال بين المحافظة الادارية والمحافظة الانتخابية بحيث قسمت البلاد ادارياً الى 26 قضاء واعتمد كل قضاء دائرة انتخابية واحدة. فجعلت بيروت ثلاث دوائر بدلا من اثنتين، وخفضت محافظة جبل لبنان من ثمانية دوائر الى ست حسب الاقضية. وبقيت محافظة الجنوب والبقاع والشمال موزعة دائرها الانتخابية على اقصيتها. ومن البديهي القول، ان هدف هذه التقسيمات كان عدم توسيع جغرافية الدائرة الانتخابية لتغطي المحافظات مثلاً تقادياً لتكتلات انتخابية وتجمعات حزبية تعزز قوى المعارضة . وقد جرت آخر انتخابات على اساس هذا القانون عام 1972 . ومن ثم مدد المجلس النيابي لنفسه حتى عام 1992 بسبب الاحداث .

6. جغرافية 1992: اقر قانون الانتخاب صيف 1992 مخالفاً المبادئ التي تضمنها ميثاق الطائف مما دعى فئة واسعة من اللبنانيين لمقاطعة الانتخاب. وبالفعل، خالف القانون المذكور الدستور بعد ان الغى مبدأ المساواة بين المواطنين في الانتخابات، اذ جعل المحافظة دائرة انتخابية واحدة في بيروت والشمال والجنوب وتجاهل محافظة النبطية وجعل محافظة البقاع 3 دوائر دامجاً قضاءي بعلبك - الهرمل من جهة ودائرتي زحلة والبقاع الغربي من جهة أخرى . واعتمد القضاء دائرة انتخابية واحدة في محافظة جبل لبنان رغم ان ميثاق الطائف ينص على إجراء الانتخابات على اساس المحافظة . وبالتالي، تكون الجغرافية الانتخابية لعام 1992 فصلت

الدوائر على قياس بعض المرشحين أو الناقلين ضمناً لفوزهم، مع التتويه بانه رفع عدد النواب من 99 الى 128. وتجدر الاشارة الى انه تم عام 1991 في عهد الرئيس الياس الهراوي تعيين 40 نائباً عملاً بالمادة 24 فقرة أخيرة من الدستور بحيث اضحى العدد في المرحلة الانتقالية بعد الطائف 108 قبل ان يصبح في انتخابات 1992 العدد 128 نائباً .

7. جغرافية 1996: ابقى قانون انتخاب 1996 عدد النواب 128 وجعل المحافظة دائرة انتخابية في بيروت والشمال والبقاع، ودمج محافظتي الجنوب والنبطية في دائرة واحدة واستثنى محافظة جبل لبنان فضل الانتخاب فيها على اساس الاقضية الستة (الشوف، عاليه، المتن الجنوبي، المتن الشمالي، كسروان، جبيل). ومن الواضح ان هذا التقسيم الجغرافي يرمي الى التحكم بنتائج الانتخابات في جبل لبنان وضم ان انتخاب بعض الزعامات في الحكم التي قد يمنع بقاء محافظة جبل لبنان كدائرة واحدة من اعادة انتخابهم في حينه (الوزير وليد جنبلاط والوزير ميشال المر على وجه التحديد).

8. جغرافية 2000 : اما القانون الحالي رقم 171 تاريخ 200/1/6 فأبقى على عدد النواب 128 وجعل محافظة بيروت 3 دوائر تضم احياء مختلفة ، ومحافظة جبل لبنان 4 دوائر تضم الأولى قضاءي جبيل وكسروان، الثانية قضاء المتن، الثالثة قضاءي بعبدا وعالية، الرابعة الشوف . محافظة الشمال تضم دائرتين، الأولى اقصية ومناطق عكار والضنية وبشري، الثانية اقصية ومناطق طرابلس والمنية وزغرتا والبترون والكورة . ومحافظة الجنوب تضم دائرتين، الأولى اقصية ومناطق صيدا والزهراني وصور وبننت جبيل، والثانية اقصية مرجعيون وحاصبيا والنبطية وجزين . محافظة البقاع تضم ثلاث دوائر، الأولى قضاءي بعلبك والهمل، الثانية قضاء زحلة، الثالثة قضاءي البقاع الغربي وراشيا. ويلاحظ ان مختلف الدوائر في المحافظات اما تضم احياء كبيروت ، واما مناطق واقضية واما اقصية صرف .

وتخدم هذه التقسيمات والتغييرات في القوانين المختلفة التوجهات السياسية المحلية والاقليمية للحكم القائم، مما جعلها متقلبة متغيرة مع تقلب وتغيير العهود المتتالية. ويلاحظ ان

التعديلات في قوانين الانتخاب تعبر باستمرار عن التغييرات في السياسات الداخلية الواقعة بدورها تحت تأثير التغييرات السياسية الاقليمية والدولية، كما هو الحال على سبيل المثال لا الحصر الموقف من احداث 11 ايلول في نيويورك. كما تجدر الاشارة الى ان التغيير يطاول عادة المحافظات ذات النّقل الديموغرافي المؤثر في نتائج الانتخابات ويعكس موازين القوى السياسية وتحالفاتها المرحلية على الطريقة اللبنانية، متجاهلة مؤقتاً خصوماتها التقليدية سواء كانت اقطاعية أو طائفية أو حزبية في سبيل تحقيق فوزها في الانتخابات النيابية. لكن، هل يبقى مقص السياسيين عاملاً في تصغير وتكبير خريطة الدوائر الانتخابية وفق مصالح واهواء مرحلية ام يتطلعون بعد الاحداث التي المت بلبنان والعالم على حد سواء الى تحقيق الاهداف الدستورية في أي تغيير يطال الجغرافية الانتخابية حاضراً ومستقبلاً؟ هذا السؤال يحملنا الى القاء نظرة على الميثاق الوطني والدستور اللبناني لتلمس هذه الاهداف الدستورية والتخلي في سبيل بناء دولة القانون والمؤسسات من جهة ووضع قانون انتخاب خارج القيد الجغرافي أو الطائفي من جهة أخرى عن الاهداف اللادستورية التي ظلّت الجغرافية الانتخابية المتغيرة وقوانين الانتخاب المتتالية في لبنان .

2

الاهداف الدستورية

حددت هذه الاهداف وثيقتان ، الأولى وثيقة الوفاق الوطني التي اقرها النواب في مدينة الطائف في 1989/10/22 وصدّقها مجلس النواب في القليعات بتاريخ 1989/11/15، الثانية القانون الدستوري الذي اقره مجلس النواب في بيروت بتاريخ 1990/9/21 وهو يشمل المبادئ التي تضمنتها الوثيقة الأولى.

1. وثيقة الوفاق الوطني : حددت هذه الوثيقة المبادئ العامة (الديمقراطية، الحريات، العدالة الاجتماعية والمساواة ، الخ)، والاصلاحات السياسية (الدائرة الانتخابية هي

المحافظة، توزيع المقاعد النيابية مؤقتاً على اساس طائفي ومستقبلاً على اساس وطني، الخ)، ورسمت الاهداف الدستورية لقانون الانتخابات النيابية في إطار الاصلاحات الأخرى كالتالي :

"ج. قانون الانتخابات النيابية : "تجري الانتخابات النيابية وفقاً لقانون انتخاب جديد على اساس المحافظة، يراعي القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين وتؤمن صحة التمثيل السياسي لشتى فئات الشعب واجياله وفعالية ذلك التمثيل ، بعد اعادة النظر في التقسيم الاداري في اطار وحدة الارض والشعب والمؤسسات ."

ان هذا النص رسم الخطوط العريضة للجغرافية الادارية (اعادة النظر في التقسيم الاداري) والجغرافية الانتخابية (على اساس المحافظة) كما رسم الاهداف الدستورية الاساسية من إجراء الانتخابات النيابية في اطار الجغرافية الانتخابية المذكورة:

أ. ضمان العيش المشترك ،

ب. تأمين صحة التمثيل السياسي،

ج. تأمين فعالية ذلك التمثيل ،

د. وحدة الارض والشعب والمؤسسات .

لكن للأسف ابقى قانون الانتخاب لعام 1992 و1996 و2000 الدوائر الانتخابية اسيرة جغرافية امراء الطوائف والمذاهب ولم يرق بها الى مفهوم الوطن الواحد الذي تسعى اليه وثيقة الوفاق الوطني، مما سهل استمرار التلاعب بالجغرافية الانتخابية بعيداً عن الاهداف الوفاقية أو الدستورية المرسومة. واذا ما كان يضرب بعضهم المثل في الغرب ببراعة البريدج جيري E.GERRY في تقطيع الدوائر الانتخابية مشبهاً اياها بالسلامندر SALAMANDER أي عروس الشتاء المشتقة عنها عبارة GERRY – MANDER ، فان واضعي خرائط الجغرافية الانتخابية المتغيرة في لبنان عبر القوانين المتتالية لا يقلون براعة عن حاكم ولاية ماساتشوتس الذي طبقها منذ عام 1812 لمنح اصدقائه أكثرية ساحقة من مقاعد مجلس شيوخ الولاية . لكن

الفرق الوحيد ان السياسيين في لبنان لم يحبذوا عروس الشتاء بل عروس الصيف حيث كانت مواسم الانتخاب تتم غالباً في فصل الصيف .

2. الدستور اللبناني : تضمن الدستور المبادئ والاهداف التي حددتها وثيقة الوفاق الوطني. لذلك نقتصر البحث على القول ان الدستور يلحظ هدفين احدهما قريب وآخر بعيد . الهدف القريب هو تحقيق العيش المشترك بجعل المحافظة دائرة انتخابية وتوزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين ونسبياً بين طوائف كل من الفئتين من جهة وبين المناطق من جهة أخرى (المادة 24). والهدف البعيد هو وضع قانون انتخاب خارج القيد الطائفي (المادة 24) وانتخاب أول مجلس نواب على اساس وطني لا طائفي (المادة 22)، حيث يتم عندئذ استحداث مجلس للشيوخ تتمثل فيه جميع العائلات الروحية .

لكن هذه الاهداف الدستورية، القريبة منها أو البعيدة، تتعرض للخلل مع كل تغيير في الجغرافية الانتخابية. وبالفعل ، ان تقييد حق الترشيح بالقيد الطائفي واطلاق حق الاقتراع بدون قيد طائفي يخل بمبدأ المساواة امام القانون بين مواطن مرشح ومواطن ناخب (المادتان 3 و4 من القانون رقم 2000/171 على سبيل المثال). كما ان تغيير الجغرافية الانتخابية لتأمين فوز بعض المقربين الى الحكم وابعاد المعارضين عن سدة النيابة يأتي بنواب " رديدة" وليس بنواب " قوالين " (استعارة من الشعر الزجلي)، مما يجعل رقابة المجلس النيابي على أعمال الحكومة تكاد تكون معدومة . كما ان رقابة الشعب على أعمال النواب تكاد تنعدم بفعل التغيير الضارب في الجغرافية الانتخابية لان الهيئة الناخبة تتغير مع كل تغيير في الجغرافية الانتخابية بحيث تصبح بعد حين الهيئة التي انتخبت مجلساً قديماً ليست بالضرورة الهيئة ذاتها التي تنتخب مجلساً جديداً . وبالتالي، يطال التغيير حقيقة اتجاهات الشعب وارادته ويؤثر على قراره كمصدر السلطات وصاحب السيادة على حد تعبير الدستور .

بالنتيجة، اذا كانت الجغرافية الانتخابية المتغيرة تشوه الاهداف الدستورية التي حددتها كل من وثيقة الوفاق الوطني والدستور اللبناني لتبقيه اسير القيد الطائفي، فان طيف الديمقراطية يظل ارض لبنان وطيف الحرية يرفرف في سمائه. واذا كنا نتطلع الى انتخاب على اساس وطني وصولاً الى مجلس نيابي وطني لا طائفي والى الدائرة الواحدة التي تلغي الجغرافية

الانتخابية المتغيرة وتكرس الاهداف الدستورية في الوطن الواحد والعيش المشترك، فيجب ان نتذكر ان مجلس النواب اللبناني المنتخب على اساس طائفي اثبت في خضم الاحداث انه يمثل الامة جمعاء وانه صرح وطني ديمقراطي. واذا كان من حكمة نستخلصها من تاريخنا الانتخابي فهي القول المأثور للرئيس رياض الصلح بعد انجاز الاستقلال عام 1943 :

" شر يتفق عليه اللبنانيون افضل من خير يختلفون فيه " .

الميثاق الانتخابي اللبناني: صحة تمثيل المناطق والطوائف والتيارات
السياسية خبرات واحصاءات 1992، 1996، 2000
عصام سليمان

ان قانون الانتخابات النيابية يأتي في المرتبة الثانية بعد الدستور، من حيث أهميته وتأثيره المباشر في الحياة السياسية وفي عمل المؤسسات الدستورية، وبخاصة في الانظمة البرلمانية، لأن مجلس النواب في هذه الانظمة يشرع ويراقب الحكومة ويحاسبها، لكونها مسؤولة أمامه، وتنتخب رئيس الجمهورية.

وفي لبنان، من المفترض ان يلعب مجلس النواب دوراً أكبر من الدور المعطى له في الأنظمة البرلمانية، فإضافة الى مهامه التقليدية، عليه ان يشكل مؤسسة للحوار، قادرة على استيعاب التناقضات وضبطها وايجاد الحلول لها، فيلعب المجلس دور صمام الامان في مجتمعنا اللبناني.

هذه المهمات الكبرى المفترض ان يقوم بها مجلس النواب، تقتضي البحث الجدي في وضع ميثاق انتخابي، يرتكز على المبادئ الاساسية التي نص عليها الدستور، ووثيقة الوفاق الوطني، ويأخذ بالاعتبار معطيات المجتمع اللبناني، والتجارب الانتخابية التي مررنا فيها، وضرورة تطوير تجربتنا الديمقراطية كركيزة اساسية للعيش المشترك، وترسيخ الوحدة الوطنية، وتطوير لبنان في المجالات كافة.

لقد نص الدستور في مقدمته ان لبنان جمهورية ديمقراطية برلمانية، تقوم على احترام الحريات العامة... وعلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين، وان الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة يمارسها عبر المؤسسات الدستورية.

وهذا يعني ان السلطة يجب ان تنبثق من الشعب. وبما ان مجلس النواب في نظامنا البرلماني يشكل مباشرة مصدر السلطة الاجرائية، ويمارس في الوقت نفسه السلطة الاشتراعية، فمن المفترض ان يعبر الشعب عن ارادته من خلال مجلس النواب.

لقد نص الدستور في المادة 27 "ان عضو مجلس النواب يمثل الأمة جمعاء". ان المقصود بذلك هي الوكالة النيابية الجماعية التي تختلف عن الوكالة المدنية الفردية، وهي ترتبط بنظرية السيادة الوطنية. فالقول بأن النائب يمثل الأمة جمعاء يعود الى الأساس الحقوقي التي تقوم عليه الوكالة النيابية التي لا ترتبط بقيد أو شرط، وهي وكالة غير إكراهية mandat non impératif، فالنائب يمارس مهامه النيابية بحرية ويعمل من أجل الامة جمعاء. وقد نصت على ذلك المادة 27 نفسها من الدستور، فجاء فيها أنه "لا يجوز ان تربط وكالته (النائب) بقيد أو شرط من قبل منتخبه".

أما من الناحية الواقعية، فالنائب لا يمكنه ان يمثل الأمة جمعاء، لأن ليس لجميع الأفراد والجماعات التي تتكون منهم الأمة، مهما كانت متجانسة، نفس المصالح والمويل والتوجهات. والنائب نفسه ينتمي الى بيئة اجتماعية وسياسية محددة ولا يمكنه ان يدعي تمثيل كل الفئات والجماعات التي تكون الأمة أو الشعب. فالذي يمثل الأمة، من الناحية الواقعية، هو مجلس النواب مجتمعاً وليس النائب. ولا يمكن التذرع بنص المادة 27 لوضع قانون انتخاب كيفية اتفق، انما يجب وضع قانون انتخاب يؤدي الى تمثيل اوسع شرائح المجتمع، ليأتي المجلس ممثلاً للشعب.

ان التمثيل النيابي الصحيح هو معيار شرعية السلطة، وقد ربط الدستور، في مقدمته، شرعية السلطة بميثاق العيش المشترك، فجاء فيه أن "لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك".

ما المقصود بميثاق العيش المشترك؟

يتلخص ميثاق العيش المشترك بتفاهم اللبنانيين، المنتمين الى مختلف الطوائف، على المبادئ والقواعد التي تحكم حياتهم المشتركة، والنظام السياسي التي تقوم عليه الدولة. ومن المفترض ان تأتي السياسات التي تضعها السلطة متطابقة مع ميثاق العيش المشترك أو على الأقل غير متناقضة معه، كي لا تفقد السلطة شرعيتها، وأهم السياسات التي تضعها السلطة هي

السياسة المعبر عنها بقانون الانتخابات النيابية، لأن لهذا القانون دور أساسي في تكوين السلطة نفسها، وبالتالي ما سيصدر عنها من سياسات وقرارات يرتبط بها مصير الشعب، ومصير العيش المشترك نفسه.

لذلك يجب ان يرتكز قانون الانتخابات النيابية على المبادئ والقواعد التي تشكل ميثاق العيش المشترك.

لقد نصت المادة 24 من الدستور على توزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين، ونسبياً بين طوائف كل من الفئتين، ونسبياً بين المناطق.

هل يعني توزيع المقاعد على الطوائف والمناطق تمثيل الطوائف والمناطق في مجلس النواب أم يعني مجرد توافق على توزيع هذه المقاعد؟

لقد اعتمد الدستور في آن معاً توزيع المقاعد النيابي، وفق ما جاء في المادة 24 منه، ومبدأ تمثيل النائب للأمة جمعاء وليس للدائرة التي انتخب عنها أو الذين اقترحوا له، وقد طبق ذلك من خلال الهيئة الناخبة الواحدة Collège electoral unique. مما يعني ان النائب يجمع الى صفته التمثيلية للأمة تمثيل الطائفة والمنطقة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو الآتي:

هل الطائفة والمنطقة يشكلان كياناً منسجماً تماماً لا تمايز بين المنتمين اليه، أم يتشكلان من أفراد وفئات وجماعات متميزة عن بعضها البعض؟

دون ان نغوص في دراسة التركيبة المجتمعية للطائفة والمنطقة، ومن المفيد الغوص فيها، وقد تناولها العديد من الباحثين، وخلصوا الى استنتاج نوافقهم عليه، وهو ان الطائفة والمنطقة يتشكلان من أفراد وفئات وجماعات ليس لها نفس المصالح الخاصة والميول السياسية، والذي يجمعها هو رابط الانتماء الى مذهب ديني معين، أو رابط الانتماء الى حيز جغرافي محدد. ففي الطائفة والمنطقة توجد انتماءات اجتماعية وسياسية مختلفة، تعبر عن نفسها عند الضرورة، وفي بعض الأحيان يخترق الانتماء السياسي، أي الانتماء الى حزب أو تيار سياسي، يخترق الطوائف والمناطق.

وبما ان الدستور نص على ان لبنان جمهورية ديمقراطية، وبما ان الديمقراطية تعني، فيما تعني، تمثيل الشعب تمثيلاً صحيحاً.

وبما ان الدستور نص على توزيع المقاعد النيابية بين الطوائف والمناطق في إطار المناصفة. وبما ان الطائفة والمنطقة تتشكلان من أفراد وفئات تنتمي الى تيارات سياسية تتخطى احيانا حدود الطائفة وحدود المنطقة.

لذلك لا بد من وضع قانون انتخابات نيابية يحقق تمثيلاً صحيحاً للمناطق والطوائف والتيارات السياسية. والقول بالتمثيل الصحيح لا يعني التمثيل الصحيح بالمطلق، فذلك غير قابل للتحقيق في أية دولة من الدول، إنما يعني تحقيق أكبر قدر ممكن من صحة التمثيل، أي تمثيل أوسع شرائح المجتمع في مجلس النواب. فالديمقراطية، ومن حيث التطبيق لا يمكن ان تتحقق في المطلق، فكل شيء في عالم السياسة نسبي، ولكن لا يجوز ان نتدرج بذلك لكي ننزل الى المستوى الأدنى في النسبية، إنما ينبغي دائماً العمل من أجل بلوغ الحد الأعلى.

1

شروط التمثيل الصحيح

في ضوء التجارب الانتخابية في الدول العريقة في الديمقراطية، وفي ضوء التجربة اللبنانية، نرى ان التمثيل الصحيح في الانتخابات النيابية يرتبط بالأمور التالية:

1. حجم الدوائر الانتخابية: لحجم الدوائر الانتخابية، ورسم حدودها الجغرافية، دور أساسي في صحة التمثيل، غير ان هذا العامل يرتبط مباشرة بنظام الاقتراع المعتمد في قانون الانتخابات، كما يرتبط ايضا بالتركيبية المجتمعية ومدى تجانسها، وتوزع القوى السياسية ومدى تماسكها. فكلما ازدادت التركيبية المجتمعية تعقيداً كلما ازدادت الحاجة الى اختيار الدائرة الانتخابية الانسب. وكلما اتسع حجم الدائرة الانتخابية كلما تقلصت امكانية تحقيق تمثيل صحيح في نظام اقتراع اكثر، فتصبح الحاجة ماسة على اعتماد النظام النسبي، او باتكار نظام آخر مركب، او نظام اكثر مقيد كأن يعطى الناخب حق التصويت لعدد من المرشحين يساوي نسبة معينة فقط من عدد المقاعد المخصصة للدائرة.

من ناحية ثانية، يفترض التمثيل الصحيح مراعاة المعطيات الجغرافية والتاريخية في رسم الدوائر الانتخابية الى المعطيات الاجتماعية والسياسية والديموغرافية.

2. نظام الاقتراع: يرتبط، كما سبق وأشرنا، بحجم الدائرة الانتخابية ودرجة تعقيد تركيبها المجتمعية والسياسية، فنظام الاقتراع الأكثرى لا يحقق تمثيلاً صحيحاً إلا في الدوائر الصغرى، بينما التمثيل النسبي يحقق تمثيلاً صحيحاً في الدوائر الكبرى ولا يصلح للدوائر الصغرى. وإلى جانب النظام الأكثرى والنظام النسبي يمكن اعتماد أنواع من النظام المركب، أو اعتماد النظام الأكثرى المقيد، تبعاً للمعطيات ومن أجل تحقيق أكبر قد ممكن من التمثيل الصحيح.

3. تكافؤ الفرص: لا ديمقراطية في غياب تكافؤ الفرص، وقد نص الدستور اللبناني على المساواة في الحقوق، والالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية الراحية لهذه الحقوق، وهذه الأمور كلها تقتض تحقيق تكافؤ في الفرص بين المرشحين، من طريق تحديد سقف الإنفاق على الحملة الانتخابية، وتنظيم الإعلام والإعلان الانتخابيين شرط أن لا يمس ذلك بحرية الإعلام. وهذا نظراً لما للمال والإعلام والإعلان من أثر على الناخبين وبالتالي على صحة التمثيل.

4. أمور إجرائية: هذه الأمور تتعلق بسير العمليات الانتخابية وسرية الاقتراع وحرية الناخبين وإعلان النتائج، ولها أثر كبير على صحة التمثيل.

2

التجارب الانتخابية في دورات 1992 و 1996 و 2000

من المعروف انه لم تعتمد نفس المعايير في تحديد الدوائر الانتخابية، في الانتخابات النيابية التي جرت في الأعوام 1992 و 1996 و 2000، ولم تعتمد أيضاً نفس المعايير في

الترشيح للانتخابات، فتعارضت النصوص القانونية التي جرت على اساسها الانتخابات مع نصوص الدستور والمبادئ التي نص عليها. وقد جرى الطعن في دستورية قانون الانتخابات عام 1996 فأبطل المجلس الدستوري المواد المطعون بدستوريتها، ومن بينها المواد المتعلقة بالدوائر الانتخابية، وجرى على عجل وضع نصوص قانونية جديدة، قبل موعد المرحلة الاولى من الانتخابات ببضعة ايام، وجاءت بدورها متعارضة مع الدستور، ولكن لم يجر الطعن بدستوريتها. أما في العام 2000 فلم يوقع على الطعن بدستورية قانون الانتخاب سوى ثلاثة نواب، فجرت الانتخابات كالعادة، في جمهورية ما بعد اتفاق الطائف، على أساس قانون مخالف للدستور ومتعارض مع ما نصت عليه وثيقة الوفاق الوطني التي اعتبرت بمثابة ميثاق جديد بين اللبنانيين، وقد نصت هذه الوثيقة على ما يأتي:

"تجري الانتخابات النيابية وفقاً لقانون انتخاب جديد على اساس المحافظة، يراعي القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين وتؤمن صحة التمثيل السياسي لشتى فئات الشعب وأجياله وفعالية ذلك التمثيل، بعد اعادة النظر في التقسيم الاداري في إطار وحدة الأرض والشعب والمؤسسات".

لقد أكدت وثيقة الوفاق الوطني على اعتماد معيار واحد في تحديد الدوائر الانتخابية، فقالت بالمحافظة بعد اعادة النظر في التقسيم الاداري في اطار وحدة الأرض والشعب والمؤسسات. وربطت الدوائر الانتخابية بضرورة مراعاة القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين، وتؤمن صحة التمثيل لشتى فئات الشعب واجياله وفعالية ذلك التمثيل. وإذا اخذنا هذه المعايير التي أكدت الوثيقة على ضرورة اعتمادها في قانون انتخابات نيابية جديدة، وسلطنا الضوء على ما جرى في الانتخابات النيابية، في الدورات الثلاث التي جرت بعد اقرار وثيقة الوفاق الوطني وتعديل الدستور بموجبها، نرى الأمور التالية:

1. لم تعتمد المحافظة كدائرة انتخابية في جميع الدوائر، ولم يجر حتى الآن تقسيم اداري جديد تتحدد بموجبها المحافظات الجديدة.

2. لم تراعى النصوص القانونية، التي جرت على اساسها الانتخابات المتتالية، القواعد التي تضمن العيش المشترك، فلم يأت قانون الانتخابات نتيجة توافق وطني، ولم تؤخذ بالاعتبار

ملاحظات المعترضين عليه، ومن بينهم من يمثل فئات من المجتمع اللبناني تعتبر شريكاً أساسياً في الوطن ولا يمكن القول بالعيش المشترك رغم ارادة السواد الأعظم منها. ولم يأت ايضاً قانون الانتخاب متطابقاً مع ما نصت عليه وثيقة الوفاق الوطني، التي اعتبرت وثيقة معبرة عن ارادة العيش المشترك بين اللبنانيين. فرضت النصوص التي جرت على اساسها الانتخابات كأمر واقع، وكان من نتيجة ذلك مقاطعة انتخابات 1992 من قبل فريق من اللبنانيين، والعزوف عند عدم المشاركة بكثافة في انتخابات 1996، والى حد ما في انتخابات 2000.

3. لم تحقق الانتخابات تمثيلاً صحيحاً لمختلف شرائح المجتمع اللبناني. فتحديد الدوائر وفق مقاسات معينة، وتشكيل اللوائح وفض التحالفات، وتدخل مراكز النفوذ وأصحاب الثروات الكبرى في تركيب اللوائح، وشراء مقاعد فيها أحياناً، أدت جميعها الى حسم نتائج الانتخابات قبل اجراء العمليات الانتخابية، اي بمعزل عن ارادة الناخبين، وذلك في عدد كبير من الدوائر الانتخابية.

4. عدم مراعاة التركيبة الديموغرافية في تحديد الدوائر الانتخابية، وعدم الأخذ بالاعتبار سلوك السواد الاعظم عن الناخبين والتمحور داخل الدوائر الانتخابية، أدت الى احتكار تمثيل بعض الطوائف في هذه الدوائر من قبل زعماء طوائف أخرى، ما تعارض مع صحة التمثيل الذي يفترض انتخاب مرشحين عن الطوائف يتمتعون بتأييد لا بأس به في طوائفهم. وهذا يتعارض جذرياً مع ميثاق العيش المشترك، فإذا ما القينا نظرة على نتائج انتخابات بيروت للعام 2000 لمقاعد الارمن الارثوذكس على سبيل المثال، نرى ان المرشح الفائز في الدائرة الثانية لم ينل سوى 21،7% من المقترعين الأرمن الارثوذكس بينما نال منافسه الراسب 5،75% من المقترعين من الطائفة نفسها، أما الفائزين عن نفس الطائفة في الدائرة الثالثة فقد نال أحدهما 23،5% من المقترعين الأرمن الارثوذكس، ونال الآخر 23،4%، بينما نال أحد المرشحين الراسبين 2،74% ونال الآخر 72،1% من المقترعين الأرمن الارثوذكس، والشيء نفسه ينطبق على الفائز عن مقعد الارمن الكاثوليك²⁸. فالقاعدة الناخبة

²⁸. كمال فغالي، الانتخابات النيابية اللبنانية 2000 (مؤشرات ونتائج)، بيروت، مختارات، 2001، ص 272،

السنية التي شكلت في الدائرة الاولى في بيروت 66,4% من مجموع المقترعين و 55,77% في الدائرة الثانية و 55,3% في الدائرة الثالثة، وتكتل حوالي 80% منها حول الرئيس رفيق الحريري، كما بينت نتائج انتخابات 2000، ما جعله يتحكم، ان لم نقل يحتكر، تمثيل معظم الطوائف في بيروت بما فيها الطوائف الارمنية التي تمتلك قاعدة ناخبة شكلت في انتخابات 2000 ما يعادل 10,36% من المقترعين²⁹ وهي نسبة لا بأس بها.

5. ضعف نسبة المشاركة في الانتخابات، فقد بلغت في بيروت، على سبيل المثال، 16,24% في انتخابات 1996، و 32,6% في انتخابات 1996، و 35,64% في انتخابات 2000 وهي نسبة ضئيلة على الرغم من تحسنها.

ويبدو الخلل في الانتخابات واضحًا اذا ما قارنا نسب المشاركة في الاقتراع لدى الطوائف، فيبدو الفارق كبيرًا جدًا بين طائفة وأخرى، ففي بيروت تراوح في انتخابات 1992 ما بين 29,84% لدى السنة و 1,59% لدى الموارنة، اما في انتخابات 1996 فقد تراوح ما بين 42,48% لدى الشيعة و 40,28% لدى السنة و 16,71% لدى الموارنة. وفي انتخابات العام 2000 تراوحت نسبة المشاركة ما بين 59,15% لدى السنة و 19,16% لدى الموارنة وتدننت الى 15,03% لدى الكاثوليك³⁰.

ان انخفاض نسبة المشاركة عامة ناتج الى حد ما عن عدم اقتناع بالمشاركة في الانتخابات لأن لا جدوى، برأي المستنكفين، من المشاركة كون النتائج معروفة سلفًا. أما التفاوت الكبير في نسبة المشاركة بين الطوائف فيدل على عدم رضى فريق من اللبنانيين على الطريقة التي تجري فيها الانتخابات، وهذا يتعارض مع مبادئ ميثاق العيش المشترك الذي اعتبره الدستور ركنًا من اركان شرعية السلطة.

²⁹. عدد المقترعين في بيروت في انتخابات 2000 بلغ 141730 مقترعًا، وقد بلغ عدد المقترعين الأرم من 13572 في حين بلغ عدد المقترعين السنة 84280.

³⁰. عدد الناخبين الموارنة المسجلين في لوائح الناخبين بلغ 23496 في دوائر بيروت الثلاث. وقد بلغ عدد الناخبين الكاثوليك المسجلين فيها 16243 (استنتجت الأرقام من المرجع المذكور سابقًا).

6. اعتماد النظام الأكثرية في إطار الدوائر الكبرى ترك نسبة كبيرة من المشاركين في الانتخابات دون تمثيل، هذا اذا تركنا جانبًا المستكفين عن المشاركة وهم حكمًا غير ممثلين ايضا. وفي بعض الدوائر تجاوزت هذه النسبة الـ 50% نظرًا لكثرة المرشحين، وحتى في محافظة بيروت، التي قسمت الى ثلاث دوائر انتخابية في العام 2000، وعلى الرغم من محور المعركة في الدوائر الثلاث حول رفيق الحريري، فإذا ما أخذنا بالاعتبار عدد المقترعين للمرشحين الذين لم يحالفهم الحظ، نرى ان المقترعين الذين لم يمثلوا بلغت نسبتهم 37,05% في الدائرة الاولى، و 43,36% في الدائرة الثانية و 41,92% في الدائرة الثالثة³¹. وهذا يعني ان 40,77% من المشاركين في الاقتراع في محافظة بيروت بقوا دون تمثيل.

7. تعاضم دول المال في الانتخابات، والتأثير مباشر على الناخبين من خلال الرشوة والمكينات الانتخابية التي استقطبت أعدادًا كبيرة للعمل فيها مقابل أجر هو بمثابة رشوة مبطنة، وقد مارست هذه الماكينات الانتخابية ضغطًا كبيرًا على الناخبين من خلال الأموال التي وضعت بتصرفها ووسائل التهيب والترغيب. وقد ترافق ذلك مع دور الإعلام والإعلان في الحملات الانتخابية وهو أيضًا خاضعًا لعنصر المال، وبخاصة أن بعض المرشحين والمتحكمين في الانتخابات في بعض الدوائر، يمتلكون وسائل إعلام مرئي ومسموع، وبعض الممولين المرشحين للانتخابات استخدموا بعض القنوات التلفزيونية في حملاتهم الانتخابية، اضافة الى الفوضى في مجال الاعلان الانتخابي الذي خضع مباشرة للمال في غياب أي تنظيم وأية قيود.

هذه الأمور جميعها قضت على تكافؤ الفرص بين المرشحين وتحكمت في مسار المعارك الانتخابية وفي نتائجها.

³¹. نالت لوائح رفيق الحريري 62,95% من المقترعين في الدائرة الاولى، و 56,64% في الدائرة الثانية، و 58,08% في الدائرة الثالثة.

8. بروز العصبية المذهبية كعنصر فاعل في الانتخابات وتساعد دورها من دورة انتخابية الى دوة انتخابية أخرى، وبخاصة في بعض الدوائر³². وقد أثر ذلك سلبيًا على صحة التمثيل في الدوائر الكبرى غير المتوازنة ديموغرافيًا من الناحية المذهبية، وبخاصة تلك التي يبلغ فيها الخلل الديموغرافي حدًا كبيرًا، فقد فاز مرشحون عن مقاعد لطوائف معينة بأصوات المقترعين من الطوائف الاخرى، دون أن يكون لبعضهم أية حيثية سياسية. وقد أكدت الانتخابات، في إطار الدوائر الكبرى وفي ظل العصبية المستشرية، ان لا جدوى منها في مجال تكوين قوى سياسية منظمة تضم افرادًا متنوعي الانتماءات الطائفية كخطوة على طريق تحقيق الاندماج الوطني وترسيخ الوحدة الوطنية، فالوصول الى هذه النتائج في اطار الدوائر الانتخابية الكبرى يتطلب توافر شروط عدة ورسم سياسات مؤاتية لذلك من قبل السلطة، ويبدو ان السلطة غائبة تمامًا عن إدراك او تتجاهله لغاية في نفسها.

3

استنتاج

ان المصلحة الوطنية العليا تقتضي وضع قانون انتخابات نيابية جديد، يحقق اكبر قدر من صحة تمثيل الطوائف والمناطق والتيارات السياسية، في إطار تطوير تجربة لبنان الديمقراطية، وتوطيد العيش المشترك، وترسيخ الوحدة الوطنية، وتعزيز دور مجلس النواب. ان قانون الانتخابات الجديد ينبغي ان يعبر عن المبادئ التي نص عليها الدستور ونصت عليها ايضا وثيقة الوفاق الوطني، وان يأتي نتيجة توافق وطني، شرط ان لا يأتي هذا التوافق على حساب الديمقراطية وبالتالي على حساب المصلحة الوطنية العليا.

³². برزت العصبية المذهبية في سلوك المقترعين بشكل خاص في انتخابات بيروت البلدية لعام 1998، فبسبب عدم توزيع المقاعد في المجلس البلدي على الطوائف برز مستوى النزعة التعصبية لدى الناخبين من خلال تحديد خياراتهم. لمزيد من المعلومات يراجع البحث الذي نشرناه في "الانتخابات البلدية في لبنان 1998 مخاض الديمقراطية في بني المجتمعات المحلية"، المركز اللبناني للدراسات، 1999، ص 221-262.

في ضوء التجربة، والعبر منها، ينبغي ان يعتمد قانون الانتخاب الجديد الأمور الأساسية الآتية:
اعتماد أحد الخيارات الآتية:

- أ. دوائر كبرى (المحافظات أو غيرها في ظل معيار واحد) في إطار نظام نسبي، أو نظام أكثرى مقيد يعطى فيه الناخب حق التصويت لأربعة مرشحين فقط، اثنين عن المقاعد المخصصة للمسيحيين، واثنين عن المقاعد المخصصة للمسلمين.
- ب. دوائر صغرى لا يزيد عدد المقاعد في الدائرة على ثلاثة في نظام أكثرى.
- ج. دوائر مركبة مشكلة من دوائر صغرى في نظام أكثرى ودوائر كبرى (المحافظات الحالية، أو لبنان دائرة واحدة) في نظام نسبي.

2. بالنسبة لتكافؤ الفرص:

تحديد سقف الإنفاق على الحماية الانتخابية، في إطار آلية قابلة للتطبيق ولضبط الإنفاق، على غرار ما يجري في الدول المتقدمة في تجربتها الديمقراطية، وفي بعض الدول العربية.

تنظيم الإعلام والاعلان الانتخابيين بما يؤدي الى تنوير الرأي العام وإفساح المجال أمامه للاطلاع على برامج المرشحين واللوائح، دون ان يؤدي التنظيم الى النيل من حرية الإعلام، وهذا ما هو قائم في دول أكثر حرصاً على حرية الإعلام من لبنان كفرنسا مثلاً. إبطال نيابة من يتجاوز سقف الإنفاق، او يخرق تنظيم الاعلام والاعلان الانتخابيين، بقرار من المجلس الدستوري.

3. بالنسبة للأمور الاجرائية المتعلقة بالعمليات الانتخابية:

تطوير النصوص القانونية التي تضمن نزاهة الانتخابات وحرية الناخبين، وتطوير الآليات المستخدمة في فرز الأصوات وإعلان النتائج، وضمان حياد السلطة من طريق إنشاء مجلس وطني للإشراف على الانتخابات.

يتعرف اللبنانيون الى هويتهم الجامعة في مرآة واحدة هي الدولة. فهي التي تجسد المشترك بين الجماعات والمجموعات التي ضمها كيان سياسي تكاد تتساوى في مكوناته الميراث التاريخية مع الظروف السياسية الطارئة التي اوجدته. لبنان في التاريخ هو حلقة وسيطة حديثة العهد (نشأ العام 1920) بين تاريخ امبراطوريات اخرها الامبراطورية العثمانية، وتاريخ جماعات طائفية ومذهبية واقاليم. كانت الدولة فيه شبكة مؤسسات تتوسط تمثيل الجماعات وتقوم على تدبير التوتر فيما بينه وتتشكل اصلاً من معادلات يتداخل فيها السياسي بالموقع الجغرافي، والعنصر الاقتصادي بالعنصرين الاجتماعي والثقافي، كما يتداخل المحلي بالبعد الاقليمي والخارجي. وهذا الاخير مزيج من المرجعية الدينية والسياسية.

ومنذ نزعت هذه المجموعات اللبنانية الى تكوين متحد فيها بينها، خارج هيمنة السلطة المركزية العثمانية، جعلت مرجع هذا المتحد غلبة لعناصر متنوعة، لكنها تتضافر جميعاً لتكون ذا لون طائفي. فكانت المؤسسات التي شكلت نواة الدولة اللبنانية مؤسسات تمثيل مركب يتداخل فيه المستوى الطائفي بالمستوى الاجتماعي، ويتقاعلان من دون ان يلغي احدهما الآخر. فعندما نشأت مجالس القائمقاميات في جبل لبنان، اثر حوادث الاربعينات من القرن التاسع عشر (1840-1845)، نص نظامها على ان يكون تمثيل الاقاليم والمقاطعات في الادارة معقوداً اما لاکثرية السكان الطائفية واما لاکثرية اصحاب الاملاك، وكان مصدر هذا النصاب ان القائمقامية الجنوبية في جبل لبنان يسيطر عليها النفوذ السياسي الدرزي، كما ظلت اكثرية الامكها للدروز، رغم تناقص عديد الدروز، وضعف الكثافة السكانية الدرزية في بعض المناطق بينما كانت القائمقامية المسيحية شبه صافية في تكوينه الطائفي.

حملت النقاشات البرلمانية للدستور عام 1926 تأكيداً لمطلب النص على وجوب التمثيل الطائفي والمناطقى العادلين، وكانت خلفية ذلك شعور اسلامي من سكان المقاطعات المضمومة الى جبل لبنان، انهم مبعدون عن مراكز الادارة، لا سيما وانهم قاطعوا دولة لبنان الكبير حتى العام 1927. فجاءت المادة 95 من الدستور استجابة ل ضمانات طلبها المسلمون بالمشاركة في الدولة ذات الطابع المسيحي الغالب. وكان العنصر المسيحي آنذاك يسيطر على الدولة الجديدة التي تشكلت من حول محور معروف هو جبل لبنان. وكانت للمسيحيين اسبقيات واضحة في ميادين التعليم والثقافة والادارة والاقتصاد. فضلاً عن ميزات اقتصادية عاشها الجبل اثناء عهد المتصرفية ولم تعرفها الملحقات التي ظلت في كنف الدولة العثمانية حتى الحرب الاولى (1918). وفي اعقاب دستور 1926، وعملياً في اعقاب الثورة السورية الكبرى 1925، حاول الانتداب استمالة الجماعات الاسلامية للمشاركة في الكيان والدولة وتجسدت تلك المبادرة بتكليف خير الدين الاحدب المسلم السني تشكيل الحكومة عام 1927. وبدأت الحياة الدستورية منذ ذلك الوقت تنهض على ممارسة القاعدة الطائفية وعلى اعراف لهذه الممارسة في الحفاظ على التوازنات الطائفية.

طبعت الحياة النيابية في عهد الانتداب الاتجاهات الرئيسية التالية: مجالس نيابية مزيج من الانتخاب والتعيين، وثنائية تمثيل مجلسي (شيوخ ونواب) وتقيد بتوازن طائفي بغلبة مسيحية عدداً وتراتباً وظيفياً، واعتماد نظام انتخابي على دورتين، وكانت المحافظة هي الدائرة الانتخابية. وكان التقسيم الاداري - الانتخابي على اساس المحافظات الخمس (بيروت، جبل لبنان، لبنان الجنوبي، لبنان الشمالي، البقاع) هو الصورة الاقرب لواقع المقاطعات او الاقاليم اللبنانية تاريخياً. فكانت بيروت والاقضية الاربعة (والمقاطعات الساحلية الاخرى) والبقاع، وهي اقاليم تتمتع بحد من كثافة التاريخ المشترك، الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعائلي، الذي لعب دوراً رئيسياً في الحياة الوطنية فضلاً عن الوجود الاثني والمذهبي. فالجبل هو منطقة التساكن الدرزي الماروني مع غلبة متصاعدة للموارنة حتى تاريخ الحرب الاهلية الاخيرة وانحسار هذا الانتشار الماروني بالتهجير 1983. وبيروت هي مركز سني يختلط بجاليات طائفية ومذهبية وافدة من المناطق ومن الداخل السوري وخاصة الرومية المسيحية. والجنوب هو موطن الكثافة السكانية للشيعنة المتأولة، والبقاع هو مركز انتشار شيعي (البقاع الشمالي) وكاثوليكي (زحلة)

تاريخي والشمال هو مركز كثافة سنية ساحلية (طرابلس والمنية) وداخلية (عكار) مع وجود ماروني جبلي (زغرتا وجوارها) فضلاً عن مجموعات طائفية ومذهبية أخرى متنوعة برزت احداها مؤخرًا على صعيد الحياة السياسية هي الطائفة العلوية.

عشية الاستقلال 1943 كانت الحياة السياسية اللبنانية يتجاذبها تياران رئيسيان هما: تيار الكتلة الوطنية الموالية للسياسة الفرنسية عمومًا بزعامه اميل اده. وتيار الكتلة الدستورية المعارضة لسياسات الفرنسيين عمليًا منذ العام 1943، وهي على صلة وثيقة بعدد من الحكومات العربية خصوصًا مصر وبالكتلة الوطنية في سوريا. وتشكلت الكتلتان من رجالات ينتمون الى جميع المناطق والطوائف، وتقترب الكتلة الوطنية من تمثيل الأرسقراطية الجبلية المسيحية اللبنانية الترة، فيما الكتلة الدستورية اكثر تمثيلاً للبرجوازية الحديثة وهي الاكثر انفتاحًا على القيادات الاسلامية الممثلة لمدن الساحل ذات الترة العروبية. ولا شك في ان القوى السياسية آنذاك كانت تتمتع برصيد وطني. فكانت تنتمي الى نخب حديثة وصاعدة ومن اوساط مؤثرة اقتصاديًا في وائفها. وتتضوي هذه او تلك من الكتل في خط سياسي جامع هو موقع لبنان ودوره في التجاذب بين الشرق والغرب وبيت نزعتي اللبنانية والعروبية.

ومع اعلان دولة لبنان الكبير تشكلت في ايلول (سبتمبر) 1920 لجنة ادارية من 15 عضوًا بموجب القرار رقم 336، ثم من 17 عضوًا (7 مسلمون و10 مسيحيون) معينين من قبل المفوض السامي الفرنسي وفي 8 آذار (مارس) 1922 صدر القرار رقم 1304 بإنشاء المجلس التمثيلي المنتخب بالاقتراع المباشر وفي 10 آذار 1922 منتخبتين لمدة 4 سنوات على درجتين (انتخاب للمندوبين ثم للنواب) وظل معمولاً بهذا النظام حتى 1934 عضوًا، 16 من المسيحيين و14 من المسلمين، ومع دستور 1926/5/23 اصبح للبنان برلمان مؤلف من مجلسين (النواب والشيوخ)، وعدل الدستور في 1927/10/17 فألغى مجلس الشيوخ واضيف اعضاءه الى مجلس النواب ليصبح ثلث عدد النواب معينًا من قبل رئيس الجمهورية. وفي 1934/1/20 صدر من المفوض السامي القرار رقم 2 الذي انقص عدد النواب من 45 الى 25 وجعل انتخابهم بصورة مباشرة (18 نائبًا منتخبًا و7 معينين) وبعد تعليق الدستور عام 1932 اعيد العمل بالدستور في 1937/1/14 وكان عدد النواب 63، ومنهم 43 منتخبًا و21 بالتعيين وفي أيلول (سبتمبر) 1939 حل المجلس وعلق الدستور. وفي 1943/3/18 اصدر المفوض السامي القرار رقم 129

الذي اعاد العمل بالدستور والغي مبدأ التعيين، وتم اعتماد نسبة 5 الى 6 تمثيلاً طائفيًا للمسلمين والمسيحيين بالقرار رقم 312 تاريخ 1943/8/31 وما عرف فيما بعد بالرسائل المتبادلة او 6 و6 مكرر. وظلت هذه النسبة حتى اتفاق الطائف.

عهد الاستقلال

كان عدد النواب في مجلس 1943 هو 55 نائباً على اساس المحافظة في دورتين، على ان يفوز النائب بالاكثرية المطلقة في الدورة الاولى وبالاكثرية النسبية في الدورة الثانية وهيمنت على اجواء الانتخابات آنذاك معركة الاستقلال.

وجرت انتخابات 25 أيار 1947 في العهد الاستقلالي الاول في اجواء التجديد للرئيس بشارة الخوري. وفي 1950/8/10 صدر اول قانون انتخابي في عهد الاستقلال فألغى القرار رقم 2 الصادر عن المفوض السامي ورفع عدد النواب الى 77 وحافظ على النسبة الطائفية والمحافظة دائرة انتخابية عدا جبل لبنان ولبنان الشمالي اللذين قسما كل محافظة الى دائرتين. وجرت انتخابات 1951 على اساس هذا النظام في مواجهة بين الموالاتة للعهد والمعارضة، التي كانت آنذاك مزيجاً من المتعاونين مع الفرنسيين ضد سياسة العهد الجديد وعلاقاته العربية والانكليزية والمعارضين لبعض وجوه الفساد في الحكم. وفي 1952/11/4 صدر المرسوم الاشتراعي رقم 6 فخفض عدد النواب الى 44، وتخلّى عن نظام المحافظة كدائرة، وقسم لبنان الى 33 دائرة انتخابية، وهو القانون الذي ساهم في اقضاء اقطاب المعارضة عن المجلس، وادى فيما ادى الى احداث 1958، ذلك ان الدوائر قد فصلت على نحو يؤدي الى التحكم بنتائج الانتخابات واسقاط المعارضة.

وفي مطلع عهد الرئيس فؤاد شهاب الذي تلا احداث 1958 صدر القانون الانتخابي الجديد (1960/4/26) المعمول به حتى آخر انتخابات عام 1972، فقسم لبنان الى 26 دائرة (عملياً القضاء دائرة انتخابية) ورفع عدد النواب الى 99.

كان النظام الانتخابي لعام 1960 والمعمول به في دورات 1960 و1964 و1968 و1972، مقبولاً من جميع الطوائف اللبنانية. فمن خلال وجود 26 دائرة انتخابية كانت جميع

الطوائف تستطيع ان تستأثر بتمثيل سياسي يعبر عن نزعاتها الاساسية في دائرة او اكثر، بالنظر لتطابق هذه الدوائر مع تجمعات طائفة وازنة. وكانت هذه الدوائر تسمح بالتالي لجميع القوى والتيارات الطائفية ان تعبر عن نفسها في المجلس، بصرف النظر عن حجم هذا التمثيل (مثال على ذلك انتخابات 1968) حيث استطاع خلالها الحلف الثلاث الماروني (شمعون، اده، الجميل) ان يستأثر بتمثيل عدد اساسي من دوائر جبل لبنان ومن التمثيل المسيحي، ويعود الى المجلس النيابي بزخم سياسي معاكس لتوجهات العهدين الشهابيين (عهد فؤاد شهاب 1958-1964 وعهد شارل حلو 1964-1970).

بالمقابل كانت الدوائر الاخرى تعطي لجميع الطوائف وغالبًا لجميع الزعماء الاساسيين داخل الطائفة الواحدة حق التمثيل، ونشأت ثنائيات داخل الطوائف والمذاهب نفسها فأحدثت حالاً من الاستقرار السياسي الناتج عن شعور الجماعات الطائفية بالمشاركة، فلم يغيب عن المجلس اقطاب الموازنة (شمعون، اده، الجميل) ولا اقطاب السنة (كرامي، سلام) ولا الشيعة (الاسعد، حماده) ولا الدروز (ارسلان، جنبلاط) ولا الكاثوليك (سكاف وغيره...) الخ.

وقد تمثلت الاحزاب التالية في المجالس السابقة حتى 1972: الكتائب (بيار الجميل) والاحرار (كميل شمعون) والكتلة الوطنية (ريمون اده) والطاشناق والهاشناق (الارمنيان) والحزب التقدم الاشتراكي (كمال جنبلاط) وهناك زعماء كانت لهم احزاب لم تعلن يوماً عن تمثيلها النيابي مثل حزب التحرر العربي (رشيد كرامي) والحزب الديمقراطي الاشتراكي (كامل الاسعد). وغاب عن المجلس كل من الحزب السوري القومي الاجتماعي والشيوعي اللبناني والقوميين العرب، والبعث، والنجادة... الخ.

طبعاً لم يتوقف النقاش حول النظام الانتخابي الافضل للبنان من زاوية المصالح والاتجاهات السياسية. ولعل الحافز الرئيسي لتلك النقاشات والافكار التي طرحت يتصل بحاجة الاحزاب السياسية لتوسيع دائرة نفوذها. وتوظيف انتشارها السياسي في اوساط اجتماعية مختلفة ومناطقية متعددة، لذلك اتجه النقاش بشكل رئيسي ضد الطابع المناطقي العائلي لنظام الانتخاب وترافقت هذه النقاشات مع اعادة تشكل اجتماعي جديد للبنان اخذت المدن تستقطب فهي نصف سكان البلد. واخذت القطاعات المهنية والاجتماعية تلعب دوراً موحداً على حساب البنية التقليدية الطائفية والعائلية. كما برزت اتجاهات فكرية وعقائدية ذات استقطاب واسع لا سيما بعد انفجار

الصراع العربي الاسرائيلي ومضاعفاته عام 1967. ولعل المطلب الابرز لهذه القوى السياسية النامية هو مطلب تحويل لبنان دائرة انتخابية واحدة على قاعدة التمثيل النسبي، الامر الذي يستجيب لحاجات تمثيل تلك الجماعات الحزبية الناشطة.

وقبل الحرب والمضاعفات الطائفية والمذهبية كانت تلتقي جميع الاحزاب السياسية من اليمين الى اليسار على مطلب تحديث النظام الانتخابي. وكان مدار النقد الاساسي للنظام المعمول به انه يفتت الكتل السياسية ويعيد توزيعها على المناطق والطوائف خلافاً لحضورها الاجتماعي والسياسي في المدى الوطني، وان هذا النظام هو اقرب الى تمثيل الطوائف والعائلات والمناطق منه الى تمثيل مصالح اجتماعية وطنية موحدة، وانه كنظام اكثرية لا يتمتع بعدالة التمثيل اذ هو يحجب قوى اساسية عن المشاركة في الحياة النيابية.

النظام الانتخابي في اتفاق الطائف

اقر النواب اللبنانيون في اجتماعهم في مدينة الطائف السعودية في 22/10/1989، وثيقة وفاق وطني انهت الحرب الاهلية واقرت سلسلة اصلاحات في النظام اللبناني، وجاءت هذه الوثيقة حصيلة حوارات ونقاشات ومشاريع لبنانية عديدة ومن البداهة القول ان هذه الوثيقة هي تسوية تاريخية بين مجموعة القوى والمطالب ويقتضي بالتالي اعتبارها كلا واحداً غير قابل للتجزئة فكل بند فيها يجد مكملاً له في بند آخر وكل مؤسسة هنا لها ما يوازئها في مكان آخر من الوثيقة، ولعل اخطر ما تعرضت له هذه الوثيقة في التطبيق انها اخذت مجتزأة فضلاً عن التحرير الحاصل بفعل ميزان قوى سياسي جديد تبدل بعد اقرار هذه الوثيقة.

فنحن اذا اخذنا العناوين الكبرى لهذه الوثيقة، التي هي مشروع خطة لبناء الدولة في لبنان، فأنها تؤكد على مبادئ عامة اساسية صارت جزءاً مكوناً من دستور البلاد. وهي تسمو عليه بما هو قانون اساسي فلا يفسر بدونها ولا يعدل بدون الحفاظ على روحها، ومن دون ان نستعيد مقدمة الدستور كما اضيفت في القانون الدستوري رقم 18 تاريخ 21/9/1990 فان تلك المقدمة نصت على ان لبنان وطن نهائي سيد حر مستقل عربي الهوية والانتماء يلتزم المواثيق الدولية لا سيما ميثاق حقوق الانسان، ونظامه جمهوري ديمقراطي برلماني يحترم الحريات،

والشعب هو مصدر السلطات القائمة على الفصل والتوازن والتعاون، ونظامه الاقتصادي حر يكفل الانماء المتوازن للمناطق، وإلغاء الطائفية هدف وطني، ولا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك.

وتحت هذه العناوين نصت وثيقة الوفاق على اصلاحات اساسية في النظام نقلت السلطة التنفيذية الى مجلس الوزراء مجتمعاً كهيئة اتحاد وطني، وعززت صلاحيات ودور المجلس النيابي، واقرت مبدأ المناصفة في مجلس النواب بين المسلمين والمسيحيين، ووضعت آلية لتجاوز النظام الطائفي من خلال هيئة وطنية تخطط لهذا التجاوز، واستحدثت مجلساً للشيخ يؤمن التمثيل الطائفي في القضايا المصيرية كاتجاه مكمل لإلغاء طائفية التمثيل في المجلس النيابي. كما اقترت تشكيل مجلس اقتصادي اجتماعي يمثل القطاعات المهنية في البلاد. واستحدثت محكمة دستورية لمراقبة دستورية القوانين والبت في الطعون الانتخابية، وفي عنوان الاصلاح السياسي نصت على انه الى حين يضع مجلس النواب قانون انتخاب خارج القيد الطائفي توزع المقاعد النيابية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين ويكون عدد اعضاء المجلس 108 اعضاء.

صادق المجلس النيابي على وثيقة الطائفي في 1989/11/5 وافر قانوناً دستورياً بالاصلاحات والتعديلات واعد قانوناً للانتخاب صدر في 1991/5/23 بخمس مواد وقامت الحكومة بملء المقاعد الشاغرة (عدد 40) بالتعيين.

جاء في وثيقة الطائف حرفياً:

ج. قانون الانتخابات النيابية: تجري الانتخابات النيابية وفقاً لقانون انتخاب جديد على اساس المحافظة، يراعي القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين ويؤمن صحة التمثيل السياسي لشتى فئات الشعب واجياله وفعالية ذلك التمثيل، بعد اعادة النظر في التقسيم الاداري في اطار وحدة الارض والشعب والمؤسسات.

وقد اضيف الى المادة 24 من الدستور ما يلي:

والى ان يضع مجلس النواب قانون انتخاب خارج القيد الطائفي توزع المقاعد النيابية وفقاً للقواعد الآتية:

- أ. بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين.
 ب. نسبياً بين طوائف كل من الفئتين.
 ج. نسبياً بين المناطق.

وفي 1992/6/22، احيل مشروع قانون انتخاب الى مجلس النواب فأقره، بعد تعديل عليه في 1992/7/16 وفيه عدة تجاوزات على النص الوارد في وثيقة الطائف. فهو لم يرتكز الى تقسيم اداري جديد وهو قام على تمييز واضح بين الدوائر الانتخابية، ولم يتقيد بصحة التمثيل لفئات الشعب وقد استحدث مقاعد نيابية لاغراض سياسية غير منسجمة مع مبدأ التمثيل ومن ثم تجاوز الحالات الدستورية لحل المجلس، فوضع حدًا لولاية المجلس في منتصفها بالدعوة الى الانتخابات العامة كما عدل قانون 1960/4/26 لجهة المهل القانونية للانتخابات وعلق العمل بالبطاقة الانتخابية ومهل اعلان ومراقبة قوائم الشطب... الخ. والاهم من ذلك انه جاء مخالفاً لمبادئ الوفاق الوطني ولمبادئ التمثيل الصحيح والمساواة ومتجاوزاً لمقتضيات العيش المشترك.

انتخابات 1992 بمن حضر

فاجأ اعلان الحكومة عن رغبتها اجراء انتخابات نيابية عامة معظم اوساط الرأي العام باعتبار ان ولاية المجلس تنتهي في العام 1995. ومع ذلك يقول بعض اقطاب المجلس انه لم يستطيع معارضة اجراء انتخابات في ظل وجود اكثرية نيابية يمدد لها منذ العام 1972، ووجود عدد من النواب معينين وهناك طعن بشرعيتهم. وقد تشكلت معارضة كبيرة لقانون الانتخاب خارج المجلس النيابي. وما لبثت ان تحولت في جزء اساسي منها الى مقاطعة الانتخابات التي تجري على اساس قانون غير عادل وغير منسجم مع مبادئ الوفاق والدستور، ولاعتبارات سياسية منها عدم استكمال تطبيق الطائف في ميدان حل جميع الميليشيات، وسحب السلاح من جميع القوى الحزبية والمناطق، وعدم عودة المهجرين، وعدم تسهيل مشاركتهم في الانتخابات بإلغاء العمل

بالبطاقة الانتخابية ومن خلال تقسيم الدوائر على نحو يعطل صحة التمثيل السياسي الشعبي وفي ظل وجود قوى غير لبنانية تتولى الامن وبقاء الاحتلال الاسرائيلي على جزء اساسي من الجنوب والبقاع الغربي.

وجاءت الدعوة للانتخابات في ظروف اقتصادية واجتماعية ضاغطة تهدد البلاد بالانهيار الشامل، ووسط اجواء من الاستكفاف الشعبي عن المشاركة في الحياة العامة بالنظر الى هذه الظروف والى موجة الاعتراض على المعادلة السياسية للحكم الجديد بوصفه حكم قوى الحرب، من جهة، وبوصفه حكم غلبة طائفية من جهة ثانية، فقد حاولت القوى المسيحية ان تختبر وزنها في المعادلة الجديدة فاتخذت موقفًا معارضًا لاجراء الانتخابات وطالبت بتأجيلها والبحث بقانون انتخاب تشارك في صياغته وتأمين بعض المطالب على صعيد اجراء العمليات الانتخابية. لكن الحكومة تجاهلت هذه المعارضة وهذه المطالب واصرت على اجراء الانتخابات بمن حضر. فكانت الحصيلة عزوفًا كبيرًا عن المشاركة مسيحياً. وقد تمت الانتخابات على نحو من تظاهرة لقوى الامر الواقع التي سيطرت على النتائج، بعد ان سيطرت على اللعبة نفسها في تقسيم الدوائر وتريب التحالفات، وممارسة جميع انواع الضغوط للحؤول دون ظهور قوى جديدة على مسرح العملية الانتخابية. وفي اكثر من منطقة استمرت قوى الامر الواقع نفسها في ادارة العملية الانتخابية. (تأكيد ذلك بالطعون الانتخابية امام المجلس الدستوري وقرارات الابطال الصادرة عنه).

غابت عن مجلس 1992 قوى مسيحية تقليدية (الكتلة الوطنية - الوطنيون الاحرار - الكتائب) وقوى مسيحية حديثة (تيار العماد عون وقوى اسلامية تقليدية وتيار صائب سلام وكامل الاسعد وغيرهما) ودخلت قوى حديثة في مقدمتها الاحزاب الاصولية الشيعية (حزب الله) والسنية (الاحباش والجماعة الاسلامية) واحزاب الطوائف في الحرب (امل الشيعة، والحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي) ودخلت احزاب جديدة على التمثيل النيابي هي (القومي السوري والبعث والوعد) وقد كان من دواعي اجراء هذه الانتخابات على نحو ما جرت عليه مضاعفات حرب الخليج، وانفتاح مسار التسوية الاقليمية في المنطقة، وحاجة سورية الى تعزيز دورها ونفوذها السياسي في لبنان، وتكريس معادلة سياسية رسمية ملائمة، واحتواء العددي من الحركات

السياسي في اطار هذا المشروع، وتأكيد حد من حرية الحركة في الساحة اللبنانية باستقلال عن الضغوط الخارجية ولا سيما الاميركية منها.

طبعت الانتخابات عام 1992 مجمل المرحلة السياسية التي تلتها فشلت الحكومة من غير مراعاة للوافق الوطني كما من غير مراعاة اصلاً للقوى النيابية كما افرزتها الحكم ورؤساء المؤسسات الدستورية، وحصل انقطاع في الحوار السياسي بين القوى السياسية الاساسية في البلاد ولم تعد للمجلس النيابي سلطة فعلية في تقرير مصير الحكومة ومراقبتها ومحاسبتها. وزاد في تظهير هذه الصورة اتساع رقعة المعارضة الشعبية الاجتماعية بشكل خاص لسياسة الحكومة وبلوغ تلك المعارضة صفًا واسعًا من اعضاء المجلس النيابي دون القدرة على طرح الثقة بالحكومة او الحد من سياستها.

ومع اقتراب موعد الانتخابات العامة (15 آب - 15 تشرين الاول 1996) تجدد النقاش والصراع حول النظام الانتخابي في لبنان لكنه نقاش يحمل ارث الانتخابات السابقة ويفتح ملف النظام السياسي كله للبحث في ضوء اتفاق الطائف والممارسة السياسية على مدى ست سنوات من هذا الاتفاق.

وفي قانون 2000/171 تكررت تجربة 1992 و 1996 ووفق نفس العناوين حيث تضمن القانون عدة اشكال للدوائر الانتخابية كضم محافظتين او دائرة المحافظة او دائرة الاقضية او جمع عدة اقضية في دائرة واحدة. فكانت الجغرافيا الانتخابية تتحكم بجزء كبير من النتائج السياسية الانتخابية سلفًا.

من الواضح انه تنهض في لبنان عوائق كثيرة امام عدالة الجغرافيا الانتخابية. فالناخبون اللبنانيون ليسوا متساوين طائفيًا حيث المسلمون يشكلون 1,519,859 ناخبًا اي بنسبة 43,37 بالمئة من الناخبين ويمثل كل من هؤلاء واولئك 64 نائبًا بالمساواة (اي نصف العدد الاجمالي للمجلس 128).

وقياسًا على ذلك فان المعدل الوسطي للناخبين للنائب المسيحي هو 21,194 ناخبًا امام النائب المسلم فهو 25,486 ناخبًا.

وكذلك توزيع الطوائف على المناطق لا يمكن ان يؤمن العدالة الكاملة، في اية جغرافيا، فيظل وفق اي تقسيم انتخابي بشكل عام دوائر يتحكم فيها ناخب طائفي اساسي. لكن مع اتساع

حجم الدائرة تكبر ازمة العدالة بحيث يكون هذا الفريق الطائفي اكثر تأثيراً في عدة دوائر في حين مع تصغير الدوائر الانتخابية تزداد حظوظ التأثير لعدد اوسع في الطوائف في دوائر معينة. وفي كل الاحوال هذه عدالة نسبية بين الطوائف اكثر منها عدالة حقيقية وفعالية. الا ان من شأن هذه العدالة النسبية التي تمنح الجماعات الاساسية من الطوائف حق اختيار ممثليها ما يؤمن الشعور الغالب بالرضى عكس الدوائر الكبرى التي تستبعد او تهتمش الاكثريات ضمن الطوائف الصغرى. ولا علاج لهذه المشاكل الواقعية الا بسلسلة كاملة من الاجراءات التي تشجع على تطوير مفهوم التمثيل النيابي وذلك بجعله اكثر اقتراباً من التمثيل السياسي الوطني واكثر بعداً عن مفهوم التمثيل الطائفي المناطقي.

موقع النظام الانتخابي في النظام السياسي

من المتفق عليه في علم القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ان النظام الانتخابي هو الدستور الحي، او تجسيد الدستور، فالنظام الانتخابي هو الذي يشكل المؤسسات السياسية. ومن الطبيعي بالتالي ان يأخذ النظام الانتخابي هذا الحجم من النقاش السياسي ويكون لكل قوة سياسية مشروعها لهذا النظام بحيث يتحقق من خلاله اكبر حجم من المشاركة في التمثيل وبالتالي في السلطة السياسية.

ومن الملاحظ ان اتفاق الطائف بما كرسه من اتجاهات جاء نتيجة اختبار طويل للنظام السياسي وللنظام الانتخابي ونص على قواعد تشكل عناوين وفاقية بين اللبنانيين وما كان ممكناً فتح النقاش مجدداً حول النظام الانتخابي، وبهذا الشكل من التجاذب والتشنجات، لم تم الالتزام بالقواعد التي نص عليها الطائف. بهذا المعنى ان الطائف نظام متكامل وكلما حصل تجاوز في موضوع معين من المواضيع التي كرسها بنص صريح، نكون بازاء محاولة للانفلات من الوفاق الوطني والاحتكام الى موازين قوى سياسية ظرفية تؤثر سلباً على مجمل النظام السياسي بل على الوفاق نفسه.

ومن المعروف ان ليس هناك من نظام انتخابي امثل بل هناك عدة انظمة انتخابية تحقق اشكالا من الديمقراطية تؤدي وظيفتها في اطر بلد معين ولاعتبارات سياسية ووطنية

محددة. لهذا ليس مفيداً فتح نقاش اكايمي في موضوع قانون الانتخاب لان مثل هذا النقاش لم يحسم اصلاً في اي مكان من العالم، وكل نظام له من يدافع عنه وعن حسناته بالنسبة لصحة التمثيل علماً انه ليس من نظام على الاطلاق يستطيع في الديمقراطية التمثيلية ان يزعم لنفسه عدالة مطلقة على هذا الصعيد. ولا تفيد المقارنات في هذا المجال الا من باب تقريب بعض التصورات ونتائجها، وعلى الصعيد الدستوري وعلى صعيد قانون الانتخاب فلكل بلد ظروفه ومعطياته الوطنية وروحه الثقافية العامة وتراثه في ممارسة اشكال الحكم وليست المفاهيم الدستورية الا عناوين كبرى لهيكلية هذا النظام. من هنا نكتشف بسرعة ان كل صياغة مقترحة للنظام انتخابي في لبنان هي في نهاية المطاف تصب في خانة سياسية معينة ويمكن الكشف عن تناقضات لها بين ما تدعيه من اهداف وبين الواقع.

المشاريع المتداولة للنظام الانتخابي

ليس من جديد مقترح على هذا الصعيد خارج النقاش التاريخي المتداول منذ مطلع عهد الاستقلال، ولا سيما في فترة الستينات التي ازدهرت فيها الحياة السياسية ونشطت الاحزاب السياسية والعقائد والتيارات وبرزت قوى اجتماعية جديدة تطمح للعب دور مؤثر في الحياة السياسية.

والاقتراحات المتداولة تبدأ من الدائرة الفردية الى الدائرة المزدوجة، الى الدائرة المصغرة الى الدائرة الوسطى الى المحافظة الى لبنان دائرة انتخابية واحدة. كما ان طريقة الاقتراح تتراوح بين النظام الاكثري والنظام النسبي وتتراوح بين اللائحة المقفلة وللائحة المختارة والترشيح الفردي. وجميعها مشاريع تحتاج الى عرض لكل النظام الانتخابية لاستنفاد تلاوينها في التطبيق. فهناك انظمة بسيطة وهناك انظمة مركبة، كما هنا اقتراح على درجة واحدة وعلى درجتين الى ما هنالك من افكار.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل من معايير ومنطلقات واسس عامة يجري الاحتكام لها ام ان هذا الخيار او ذاك هو مجرد نزعة سياسية تملئها المصلحة السياسية الفئوية؟

والحقيقة هي ان اي قانون انتخاب في نظام جمهوري ديمقراطي برلماني يجب ان ينسجم مع روح هذا النظام ويكون وسيلة لتحقيقها.

ان النظام الانتخابي في الحال اللبنانية، وفي حالات اخرى ذات خصوصية، له بعض المميزات النابعة من تكوين لبنان الاجتماعي والسياسي وبالتحديد الديني والطائفي. ولم يعد نظامنا الاساسي ينطوي على مضمرة وضمنيات على هذا الصعيد، بل هو، نتيجة تجربة الحرب، وبعد التعديلات الدستورية، يكرس هذه الابعاد الخاصة في نصوص قانونية ملزمة وهذا ما يدعو النقاش في النظام الانتخابي الى ان ينطلق من ضرورات الوفاق الوطني، او يصبح نقاشاً صراعياً مفتوحاً على جميع الاحتمالات، وعندها يستعيد لغة الانقسام الوطني اصلاً.

فما هي هذه الضرورات اللبنانية؟ انه بمجرد الانطلاق من مبدأ النظام الطائفي، نظام المشاركة والعيش المشترك، نكون قد استبعدنا سلفاً اية فكرة تقوم على تجريد المواطنين اللبنانيين، وجعلهم مجرد افراد متساوين ولا يصح عند ذلك اعتماد اي قانون انتخاب يقوم، تحايلاً، على تحوير ارادة الجماعات الطائفية. ان مجرد الرغبة لدى هذه الفئة او تلك بان يكون النظام الانتخابي قائماً على مبدأ المواطنة الصرفة، لا يجعل من هذه الرغبة وهذه الارادة وطنية جامعة ولو انها تتطوي على نوايا حسنة ولو ان اللبنانيين يمكن ان يعرفوا ايضاً بصفتهم المواطنة هذه. من هنا كانت جميع النظم الانتخابية في لبنان تقوم على هذا التعايش بين مستويين مختلفين: هما مستوى المواطن الفرد ومستوى الجماعة. فالدستور يجعل (في المادة 27) النائب ممثلاً للامة جمعاء، ولا يجوز ان ترتبط وكالته باي قدي او شرط لكنه في نفس الوقت تبعاً للدستور وللقانون التطبيقي ممثل طائفة ومنطقة. وهذا ليس امراً مناقضاً للديمقراطية السياسية. فهناك نظم تقوم على تمثيل للجماعات القومية والاثنية، وهناك نظم تحفظ حقوق تمثيل لفئات اجتماعية معينة.

ومن المؤكد ان العديد من النظم الانتخابية الاكثر ديمقراطية تنطلق من تمثيل مناطق واقاليم ودوائر، كما ان بعضها يقوم على التمثيل الحزبي. والتمثيل الحزبي لا يكون في اي مكان مطابقاً لروح الشعب او الامة. بل هو يمثل اتجاهات سياسية فيها، ولان فكرة التمثيل اصلاً تقوم على مبدأ توسط الارادة الشعبية، بمختلف اتجاهاتها وتلاوينها، فلا يمكن ان تقوم على عدالة مطلقة، بل هي تقترب من فكرة العدالة بمقدار ما تقترب من التمثيل الحقيقي المتنوع من دون ان

تصادر ارادة الناس وتحولها وفق مقولات سياسية وذهنية مجردة لا وجود لها في الواقع. لهذا يبدو اكبر تزوير لارادة الناس، وبالتالي للديمقراطية، ان يقوم نظام انتخابي على افتراض انه لخبر الناس وبنوايا طيبة ولكن انطلاقاً من جعل هؤلاء الناس شيئاً آخر غير ما هم عليه وما يرغبون في التعبير عنه، ومثله ايضاً يقوم التزوير ومنافاة الديمقراطية التمثيلية كل نظام ينطلق من مبدأ الجماعات الطائفية مثلاً ليحشر جميع اللبنانيين في اطرها الضيقة قسراً، ويترك لها وحدها حق تقرير مصير المنتسبين اليها دون ارادة منهم واختيار، ويصبح هذا التناقض مأسوياً في بعض الاقتراحات الذي يعطي الطوائف حق اختيار مرشحها ومن ثم يسلب منها هذا الحق فوراً باقتراح مرحلة ثانية على مستوى غير طائفي.

من هنا يحتاج اي نظام انتخابي بداية الى اعادة تعريف اللبنانيين واقعيًا وحققيًا ليقترح لهم نظاماً صالحاً لتمثيلهم. ونحن نعتقد ان اتفاق الطائف انطلق من مقارنة واقعية هي الخبرة التاريخية، ومن معطيات قد تكون اقرب الى التوازنات والمعادلات. قال الطائف بنظام انتخابي يقوم على اساس المحافظة دائرة انتخابية، بعد التقسيم الاداري الذي يراعي العيش المشترك ويؤمن التمثيل الصحيح والفاعل للبنانيين بشتى فئاتهم. وهل تحتاج الى دليل بان تعديل التنظيم الاداري واعادة النظر بتقسيم المحافظات هو مطلب تاريخي قديم للعديد من الفئات اللبنانية؟

من هنا لحظ الطائف دائرة تتجاوز القضاء وتكون دون المحافظات الحالية، فاخذ بالدائرة الوسطى اساساً للنظام الانتخابي. شرط ان تكون متمتعة بحد معقول من التوازن بين الفئات الطائفية. ان فلسفة الطائف هذه اذا تم تجريدها عن المصالح السياسية لارباب السلطة والنافذين وبعض القوى السياسية، لا تتناقض في شيء مصالح المجموعات الطائفية والمذهبية، ولا تقفل التمثيل السياسي على هذه الجماعات وحدها، بل تفتح نسبياً لتشكيل قوى سياسية يمكن لها ان تعكس تمثيل فئات اجتماعية متنوعة من طوائف لبنانية متعددة.

والدائرة الوسطى تتجاوز نسبياً التمثيل القائم على العائلية السياسية، وتحافظ نسبياً على تمثيل اقرب للمجموعات الطائفية، وتتيح لها ان تكون تياراتها السياسية، وان تشارك في الحياة الوطنية بنفس الوقت الذي تسمح فيه لقوى حزبية حديثة، او لشخصيات وطنية، ان تلعب دورها في الحياة السياسية. هذا التنوع في مستويات التمثيل هو الاقرب لمستوى تطور الحياة السياسية اللبنانية واكثر عدالة. وهو معيار اساسي للتقدم خلافاً لكل نظرية تزعم ان الاحزاب، والاحزاب

وحدها، هي ركيزة الديمقراطية وركيزة عدالة التمثيل فليست الاحزاب تجمعات ملائكة بل هي تجمعات مصالح سياسية مثلها مثل اي جماعة اخرى.

لقد دلت كل الدراسات والابحاث والاحصاءات التي جرت مؤخراً على ما يلي:

1. ان لبنان دائرة انتخابية واحدة، اياً كانت الآلية الانتخابية، هو مشروع ينطوي على مصادرة لحق التمثيل تبدأ بالاكثريّة الطائفية، وتمر بتسلط بعض التكتلات السياسية والمالية، وتنتهي بتسليم قيادة التحالفات الى قوى خارج النظام الاساسي اصلاً. وهو امر لا يفيد المجموعات الطائفية كما لا يفيد اية قوى مدنية اخرى تحلم بالمشاركة في المعادلة السياسية الراهنة.

2. ان لبنان موزع على خمس دوائر انتخابية، هي المحافظات الحالية، يؤمن في اربع محافظات ودوائر غلبة اسلامية في التمثيل العام، ويعطي الطائفة المارونية غلبة في محافظة واحدة، لكنه يلغي تماماً تمثيل جماعة مذهبية اسلامية مستقلة (الدروز في الجبل) لها دور اساسي في تاريخ لبنان.

3. ان كل مشروع لنظام انتخابي مركب هو ادخال تمثيل نسبي على تمثيل نسبي قائم حالياً على اساس الطوائف، الا انه قد يساهم في توسيع المشاركة السياسية بين المجموعات السياسية ذات الطابع الطائفي والمجموعات السياسية الحديثة من تجمعات مهنية او تيارات او احزاب.

4. ان الدائرة الوسطى هي وحدها التي تحافظ على اعلى نسبة ممكنة من التمثيل مع ابتعاد نسبي عن التحكم العائلي والطائفي، وتحقق التوازن الطائفي داخل الدائرة نفسها وبين مجمل الدوائر، ولا تلغي امكان الحضور الفاعل لقوى سياسية حديثة حزبية ام غير حزبية.

5. ان النظام الحزبي ليس شيئاً منفصلاً عن واقع المجتمع واتجاهاته السياسية. والحديث عن تطوير الديمقراطية بواسطة الانظمة الحزبية لا يستقيم الا بوجود احزاب ذات برامج جادة قائمة على مصالح حقيقية مشتركة بين اللبنانيين خارج طوائفهم، والا تحولت الاحزاب الى واجهات عصرية لتكتلات سياسية طائفية. ولا تتشكل احزاب كهذه وفق الطلب، ولا يقوم نظام

على افتراض تشجيعها طالما انها لم تتبثق اصلاً، عن حياة وطنية صحيحة ومعافاة. ولا يلعب النظام انتخابي الا دورًا مساعدًا على هذا الصعيد.

من هنا نعتقد ان المشكلة الاساسية التي يواجهها اي نظام انتخابي في لبنان تكمن في الجغرافيا الانتخابية اي شكل الدوائر المقترحة. واذا نحن انطلقنا من تشخيص الحاجات الوطنية الراهنة واعطينا الاولوية لتقوية عناصر الوحدة الوطنية والعيش المشترك عبر توسيع نطاق المشاركة وصحة التمثيل فان النظام الاقرب لتحقيق العدالة هو نظام الدائرة المتوسطة التي تنقص عن حجم المحافظة الحالية وتزيد عن حجم القضاء الحالي اخذًا بالاعتبار التوزع والتنوع الطائفي ضمن الدائرة الواحدة قدر الامكان. لكن نظامًا كهذا يحتاج بالدرجة الاولى الى قدر كبير من التراهم في تقطيع هذه الدوائر بعيدًا عن المصالح الانتخابية لارباب السلطة. والحقيقة هي ان بعض المشاريع المقترحة سابقًا قد استطاعت تقسيم لبنان الى 9 الى 11 او 15 دائرة انتخابية متوازية ونحن ممن يعتقدون بعدالة هذا التقسيم وصحته وندعو الى تبنيه.

يبقى ان اللبنانيين يحتاجون الى مستوى آخر من التمثيل هو المستوى الوطني الواحدة الذي لم يختبروه ابداً من قبل. وهذا المستوى يسهم في تطوير الحياة السياسية فلا بأس من الاخذ بالاقتراح المزدوج او المركب بحيث يكون هناك جزء من التمثيل على مستوى وطني يسهم في بلورة وعي وطني واحد حول القضايا الوطنية الكبرى.

جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في لبنان اليوم

شوكت اشتي

ان مقولة العلاقة بين السياسة والجغرافيا قديمة في تاريخ الفكر الانساني. ففي حين ضخم فريق من المفكرين والفلاسفة والسياسيين تأثير البيئة الطبيعية على الاجتماع السياسي، مال البعض الى التخفيف من حدة الجغرافيا على التشكيل السياسي.

لقد اشار العديد من الفلاسفة اليونانيين الى تأثير العوامل البيئية - الطبيعية على السياسة، ولحظوا اهمية الهواء والماء والمكان والمناخ على الانسان وحرته وطباعه السياسية (هيروقراط، سقراط). واستمرت هذه النظرية مع تقدم الانسان وتطور حياته. فأصر البعض على القول بالحنمية الجغرافية (جان بودان، مونتسكيو، فردريك راتزل) واعتبروا الحياة الاجتماعية ومظاهرها انعكاسًا للعوامل البيئية - الطبيعية. بينما اشار البعض الآخر (فيدال دي لاباش، جون بريش) الى ما يمكن ان نسميه الامكانية الجغرافية التي تلحظ الجهد الانساني ودوره في تشكيل الاجتماع البشري.

ضمن هذا التجاذب فان النظرة الموضوعية هي التي تلحظ التأثير المتبادل للظواهر المختلفة والتفاعل فيما بينها. فالاجتماع السياسي الذي يقوم على ارض لها خصائص مناخية وتضاريس طبيعية وثروات وموقع محدد على الخريطة السياسية... الخ يتأثر بهذه العوامل، كما انه يؤثر فيها ويساهم في تعديلها وتغييرها وتحويلها لاستثمار خيراتها وتحقيق الاستمرارية.

ان مجال النقاش حول علاقة السياسة بالجغرافيا قد تبلور بشكله الاوضح والاكثر بروزاً في دراسة النظم السياسية وتشكل الدول، وهو الذي اندرج لاحقاً ضمن نطاق الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا).

غير ان متابعة جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في هذه المساهمة لا يندرج ضمن المفهوم الذي تحدده علاقة الجغرافيا بالسياسة عامة والاجتماع السياسي خاصة. وبالتالي لا تسعى لمقاربة الموضوع من هذه الزاوية بالتحديد.

كما انها لا تهدف الى البحث في تأثير المحيط الطبيعي - الجغرافي وعناصره المختلفة: من تقسيمات لسطح الارض وتضاريسها ومساحاتها المائية والجبلية والارضية، او المناخ وتأثيراته على الارض والسكان والحيوانات والنباتات... او للموارد الطبيعية وانواعها ومصادرها... الخ رغم اهمية هذه المقاربات. لان موضوع الدراسة ينحصر في رقعة جغرافية متماثلة، من حيث المبدأ، بمحيطها الطبيعي العام.

لذلك فان دراسة جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في لبنان تركز على الوصف التحليلي للتوزيع الحزبي - السياسي ومدى انتشاره في المناطق اللبنانية. فتغدو نوعاً من المعرفة الموضوعية بطبيعة الامتداد الجغرافي للاحزاب والقوى السياسية وحدوده فوق الارض اللبنانية وتفحص خصائصه والكشف عن اسبابه والعوامل المؤثرة فيه.

ان الاشكالية الاساسية التي يمكن ان تثيرها جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في لبنان تتمثل في الاسئلة الاولية التالية: كيف يمكن، ان توازن الاحزاب والقوى السياسية بين دعوتها الوطنية العامة وتمركزها الجغرافي - المكاني المحصور في مناطق دون اخرى؟

ان خطاب الاحزاب والقوى السياسية في لبنان يبدو، مبدئياً، على امتداد الوطن ومساحته، وبعضها يمتد الى خارج حدود الوطن وجغرافيته. غير ان تواجدها يكاد ان يكون محصوراً في المكان وفي مجموعات وفئات دون اخرى. فكيف تتوزع الاحزاب والقوى السياسية؟ ما هي مناطق تواجدها؟ ولماذا ترسخت في هذه المواقع - المناطق؟ ما علاقة البنية المجتمعية في جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية؟ ما علاقة الانقسام المجتمعي في التوزيع الجغرافي للاحزاب ومساحة انتشارها؟ ما هي العوامل التي فرضت الانحياز في بعض المناطق والتشكيلات الاجتماعية؟ هل يمكن لاحزاب وقوى سياسية لا تمتد على مساحة الوطن ان تكون احزاباً لكل الوطن؟

ان الفرضية التي تنطلق منها هذه المساهمة هي ان الأحزاب والقوى السياسي في لبنان متوقعة في اطر جغرافية محددة، تحكمها منطلقات هذه الأحزاب ومبادئها وبنيتها الداخلية من جهة، والبيئة الاجتماعية بتتويجاتها وصراعاتها وتشكيلاتها... الخ من جهة اخرى، الأمر الذي يجعلها غير قادرة على الامتداد جغرافيا. فتعيد تكرار خطابها وتجديد أزماتها الداخلية والمجتمعية. فتغدو السياسة محكومة بعوامل لا عقلانية قاعدتها الانقسام المجتمعي السائد ومحدداته المتنوعة.

1

الطبوغرافيا الأولى

عرفت جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية في لبنان قبل اتفاق الطائف ومسيرة السلم الأهلي عددًا من المحطات والمراحل. بحيث توسعت فيا رقعة انتشار بعض الاحزاب، او تقلصت تبعًا لامرين:

الاول: الوضعيات السياسية المجتمعية التي شهدها لبنان بعد الاستقلال.

الثاني: طبيعة الاحزاب والقوى السياسية، بحد ذاتها والمبادئ والافكار التي تدعو اليها.

هذا الامر ان جعل الاحزاب السياسية في لبنان تعكس، الى حد بعيد، طبيعة الانقسام المجتمعي على مساحة الوطن من جهة، وتعكس من جهة اخرى توق البعض للتقلت من حدود هذا الانقسام وافرازاته. وقد تجسدت هذه المقولة في التصنيف العام الذي اندرجت ضمنه الاحزاب والقوى السياسية، فحينه، بين احزاب طائفية (الكتائب، النجاده) واحزاب محافظة (الوطنيين الاحرار) واحزاب معتدلة (التقدمي الاشتراكي، الكتلة الوطنية) واحزاب علمانية (الشيوعي، السوري القومي الاجتماعي، البعث العربي الاشتراكي).

ويبدو ان جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في مرحلة ما قبل الحرب الاهلية (1975) كانت اكثر تنوعًا واتساعًا. فقد شهدت غالبية المناطق اللبنانية تواجدًا حزبيًا غير محكوم، بالضرورة، بلون طائفي او مذهبي محدد.

وبالرغم من الاحداث التي مر بها لبنان في العام 1958 حيث شهدت المناطق اقتتالاً داخلياً وانقساماً مجتمعيًا وصراعًا حزبيًا، فان مردود الاحداث لم يبلغ، عمليًا، الامتداد الجغرافي للحزاب، وتأثيرات في هذا الجانب بقيت محدودة في المكان والزمان وفي بعض المواقع والاماكن ولفترة محددة.

ويمكن تبيان المظاهر العامة والوضعيات الاساسية التي كانت عليه جغرافيا الاحزاب في مرحلة ما قبل 1975 على النحو التالي:

- الاحزاب التي يغلب عليها الطابع المسيحي، حافظت في صفوفها وبين قواعدها على تنوع طائفي ومذهبي ومناطقى وامتداد جغرافي واضح. بالرغم من انه بقي في حدود ضيقة، او بدا تأثيره ضعيفاً في حياة الحزب الداخلية، او في اماكن تواجده.

فحزب الكتائب استمر منتشرًا في العديد من المناطق اللبنانية. وحزب الكتلة الوطنية بقي حاضرًا بأشكال متعددة في المواقع. بل من حزب الوطنيين الاحرار الذي نشأ بعد العام 1958، وكان انعكاسًا لشخص رئيسه كميل شمعون وتأثيره، فانه لم يفقد انتشاره الجغرافي في العديد من المناطق التي غلب عليها الطابع الاسلامي العام والتي وقفت ضده في ثورة 1958. ولعل الكتل النيابية ومرشحي الاحزاب والنواب الحزبيين يدل على مدى التوسع او التواجد الحزبي وامتداده الجغرافي.

- الاحزاب ذات الطابع الاسلامي كانت، الى حد بعيد، على العكس من ذلك. فقد بقيت محدودة في الجغرافيا، ومقيدة في نوعية المنضوين الى صفوفها. فحزب النجادة مثلاً بدأ وهجه يخبو وتأثيره يتراجع. وبقي اكثر تعبيرًا عن المنطلقات التي نشأ على اساسها سواء في اماكن التواجد، او في "الخطاب" او في طبيعة الانتماء الى صفوفه. فقد حافظ على "تقاء" اسلامي عام وطائفي خاص، وغابت عن صفوفه الاشكال الاولية والبسيطة للتنوع.

اما الاحزاب الاسلامية الاخرى (بطابعها السني او الشيعي) فقد كانت "قليلة" العدد وهي اقرب للتجمعات والجمعيات المحصورة في المكان والاتجاه. كما ان طبيعة نشاطها يركز، من حيث المبدأ، على التعليم الديني والوعظ والأعمال الخيرية والتجاوز لهذا المنحى كان محدودًا (الجماعة الإسلامية) جدًا. ويستثنى حزب التحرير الإسلامي (المحظور) الذي كان مختلفًا في

الشكل، وطبيعة الدعوة والاتجاه ونوعية التنظيم وابعاده عن التشكيلات والتجمعات الإسلامية الأخرى. غير انه متجانس معها في الجغرافيا. بمعنى انحصاره في المكان وغياب التنوع من صفوفه.

وفي مطلق الأحوال يمكن القول بان التشكيلات والتجمعات والتيارات والقوى السياسية الإسلامية بدأت بالتبلور، عملياً، بعد هزيمة الخامس من حزيران 1967.

- الاحزاب غير الطائفية تبلورت في عدة نماذج منها ما عرف بالاحزاب التغييرية ومنها ما عرف بالاحزاب الاصلاحية.

فلقد حاصرت الحالة النخبوية - وليس الموانع المناطقيّة - الامتداد الجغرافي لبعض الاحزاب الاصلاحية (الحزب الديمقراطي). ويمكن في هذا المجال الاشارة (بحدود معينة) الى الحزب التقدمي الاشتراكي كنموذج لجغرافيا الاحزاب الاصلاحية قبل مرحلة الحرب الاهلية، وبالرغم من استناده الى قاعدته الطائفية غير انه اتسم بالتنوع الطائفي والمناطقى الواضحين.

اما الاحزاب التغييرية فقد شهدت حضوراً حزبياً بأشكال متعددة وبمستوى جدي وامتداد واضح. فبالرغم من رفضها للنظام السياسي "وسعيها"، او دعوتها لتغييره وبالرغم من تجاوز طروحات بعضها حدود الوطن وجغرافيته (السوري القومي الاجتماعي، البعث العربي الاشتراكي) فقد انتشرت في مختلف المناطق اللبنانية وان بنسب واحجام وتوزيعات مختلفة.

وغير ان جغرافية الاحزاب (التغييرية) تعرضت، من حيث المبدأ، لمجموعة من المعوقات لعل اهمها ما يلي.

1. طبيعة البنية المجتمعية اللبنانية وعمق التمركز الطائفي وسيادة نفوذ أصحاب الرساميل والإقطاع السياسي... الخ، الأمر الذي حصن العديد من المناطق وبعض الفئات الاجتماعية ضد الدعوات التغييرية والأفكار والمبادئ التي قامت عليها هذه الأحزاب مثل: فكرة الأمة العربية والوحدة العربية، او الأمة السورية ووحدة الهلال الخصيب، او الشيوعية والصراع الطبقي والاشتراكي (الشيوعي). بحيث ساهمت مضامين هذه الدعوات وأسلوب التبشير بها، الى جانب عوامل أخرى، في الحد من وجود الأطر التنظيمية التي تجسد هذه الاتجاهات في مناطق معينة، دون ان يغلي وجودها الفكري بالضرورة.

2. طبيعة النظام السياسي بحد ذاته وملاحقة السلطات المتعاقبة وموقفها من الأحزاب التغييرية غير الطائفية. فقد فرضت السلطات المتعاقبة "المنع القانوني" على نشاط هذه الأحزاب، وأدرجتها في خانة الأحزاب الممنوعة. فبحجة عدم الحصول على "الرخصة" التعبير الذي لم تنزل تصر عليه السلطات في لبنان حتى الان نشطت هذه الأحزاب بشكل سري، واعتمدت مقولة "التتظيم سري والعقيدة علنية"، الأمر الذي جعل الانتماء الى هذا الحزب او ذلك عملية تعرض صاحبها إلى تبعات خطيرة (السجن والملاحقة وعدم الدخول في الوظائف العامة... الخ)، مما اثر بشكل او بآخر على جغرافيتها.

ان توسع جغرافيا الاحزاب في مرحلة ما قبل 1975 وتتنوع مظاهرها وتعبيراتها لم تكن خالية من الاهتزازات على ارض الواقع. فقد نتجت نهاية هذه المرحلة باحتدام حدة الصراع على الجغرافيا - مناطق النفوذ، اذا جاز التعبير. بحيث شهدت العديد من المناطق اللبنانية، وخاصة التي يغلب عليها طابع طائفي او مذهبي واحد، صراعات حادة بين الاحزاب الطائفية والاختراقات الحزبية التي احدثتها الاحزاب اللاطائفية (الشيوعي، البعث) في العديد من المواقع. لقد اعتبرت الاحزاب الطائفية هذه المواقع الجغرافية حكراً لها، واعتبرت هذه الاختراقات تهديداً لوجودها المادي والمعنوي والتاريخي والطائفي او المذهبي... (المتن، كسروان، جبيل). كما شهدت العديد من المواقع والقرى التي اعتبرها الاقطاع السياسي ملكاً له صراعات مماثلة (الجنوب، البقاع، عكر، طرابلس، بيروت)، الامر الذي جعل الاتجاهات الفكرية والسياسية في الحيز الجغرافي الواحد اكثر تنوعاً، غير انها بالمقابل اكثر اضطراباً وتوترًا. فالارض بدت وكأنها تضيق بمن عليها. غير انه يمكن الاشارة في هذا الجانب الى امرين:

الاول: يتعلق بعوامل مساعدة على الانتشار الجغرافي للأحزاب اللاطائفية واهمها: تقادم الازمات المجتمعية والمعيشية والاقتصادية، وانكشاف ازمة النظام اللبناني بحد ذاته، وارتفاع مستوى التعليم (الدور الذي قامت به الجامعة اللبنانية خاصة) ومساحة الحرية وفسحة الديمقراطية التي عرفها لبنان. اضافة الى هبوب رياح التغيير عالمياً (احداث 1968)... الخ، الامر الذي جعل للتنافس الفكري والسياسي للأحزاب والقوى السياسية انعكاساته المباشرة على الجغرافيا.

الثاني: يتعلق بتأثير الامتدادات السياسية والفكرية وأثارها "في وعلى" جغرافية الاحزاب، ارضًا وبشرًا. بحيث ادى هذا التصادم الى رفع وتيرة الرفض وتوسع حركة الاعتراض في البلوكات الطائفية وتحسيناتها البشرية والفكرية التي لم تكن معتادة (والتي لا تسمح تركيبها بالاعتقاد) على هذا المستوى من النقد والنقاش والاحتجاج. فانتساع نطاق جغرافيا الافكار غير الطائفية وتشكيلاتها السياسية والتنظيمية وسع المناخ الرفضي وعمق الدعوات للتطوير والتحسين وتجاوز السائد او تغييره.

غير ان التعامل مع هذه الوضعية اختلف بحسب نوعية الاحزاب المعنية. فالاحزاب الطائفية بغالبيتها عملت على استعادة المبادرة فشحذت طاقاتها للانقضاض والدفاع عن المواقع المهددة. اما الاحزاب الاخرى والتغييرية منها بشكل خاص فقد استعجلت لقطف ثمار هذه التغييرات، جغرافيا وبشريًا.

وفي الحالتين فان التصادم الفكري والسياسي ساهم مع عوامل اخرى، داخلية وخارجية، في التهيئة لمرحلة الحرب الاهلية، واعادة رسم جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية بطريق مختلفة عما عرفه لبنان وعلى قاعدة العنف المتبادل والصراع الدموي على الارض.

2

عنف الجغرافيا

جسدت مرحلة الحرب الاهلية النموذجية الاوضح لجغرافيا الاحزاب والقوى السياسية التي تلت المرحلة السابقة. بمعنى المزيد من الانحسار والتراجع والتحصن في حيز جغرافي محدد جدًا ومرسوم بدقة.

فقدت توزعت الاحزاب والقوى السياسية على وحدات جغرافية واضحة الحدود والمعالم. فغدا المحيط الطبيعي بعناصره المادية والبشرية، المرتكز الاساس لحركة الاحزاب والقوى السياسية، اذا لم نقل لقيامها وانتشارها.

فالعناصر المادية بما تشمله من مساحات وموارد ومرتفعات... الخ ترسم جغرافيا المكان وجغرافيا الحزب. وهكذا تحصنت الاحزاب في حدود محيطها الطبيعي الخاص بها والتصقت به وانتعشت فيه ودافعت عنه كونه الحيز المعبر عن حضورها وقوة هذا الحضور.

اما العناصر البشرية في المحيط الطبيعي فهي تؤمن رفق الاحزاب بالعناصر اللازمة بشرط "صفاء نوعها" السكاني وتجانسه "المطلق". لهذا اصبحت السيطرة على الارض تقترض بالضرورة تصفية من عليها لتأمين هذا الصفاء. وبالتالي فان من يجد نفسه مختلف عن اللون الفاقع للمحيط عليه ان يبحث عن ارض بلونه.

لقد وفرت الجغرافيا "الامن" لهذا الحزب او ذاك وسمحت له بحرية متناهية ومنعتها عن غيره. فتحصن الحزب بالارض ومن عليها وصبغ قاطنيها بلونه، او صادرت الارض ومن عليها الحزب ووسمته بلونها الفاقع وطابعها "الاجتماعي" الخاص، الامر الذي جعل جغرافيا الاحزاب محصورة في حدود ضيقة على مستوى المكان وعلى مستوى السكان.

واذا كانت الكانتونات (الطائفية والمناطقية) التي تشكلت هي النموذج الاوضح عن جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في هذه المرحلة، فان جغرافيا بعض الاحزاب والقوى السياسية لم تتجاوز حدود الحي الواحد "وتعرجاته". وقد تدعم الحيز الجغرافي بأفائه الضيقة، عند العديد من الاحزاب والقوى، بخطاب على مساحة هذا الحيز وتضاريسه. فتساند "الخطاب" السياسي في الكثير من الاوقات مع الامتداد الجغرافي ليحدد طبيعة هذا الحزب ويرسم حدوده.

3

الحدود الجديدة

ان جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية في لبنان في مرحلة ما بعد الطائف تختلف في العديد من المظاهر عن المرحلتين السابقتين. فاستتباب الوضع الامني في الداخل اللبناني وتوقف المعارك العسكرية بين الاحزاب فتح الحدود الجغرافية بين المناطق دون ان يفتح بالضرورة، او بالقدر ذاته المجال الجغرافي للانتشار الحزبي.

لقد امن الهدوء الامني الفرصة لاعادة التدخل بين المناطق والسكان. غير ان جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية لم تزل مقيدة في امتدادها، ومتراجعة في انتشارها، وضيقة في مساحتها، ومحاطة بالموروث السياسي والفكري والمناطقية. ويمكن تبيان معالم هذه الجغرافيا في هذه المرحلة على مستويين: مستوى تطبيقي ومستوى نظري.

المستوى الاول يتلخص في النقاط التالي: توزيع الاعضاء الحزبيين مناطقياً، التمثيل النيابي، التمثيل الحزبي في المجالس البلدية. والمستوى الثاني يعبر عنه عملياً في الخطاب الحزبي عامة والبرامج الحزبية خاصة.

1. توزيع الاعضاء: ان محاولة رصد التوزيع الجغرافي لاعضاء الاحزاب والقوى السياسية يساعد على بلورة ارضية اساسية عن مدى الانتشار الحزبي ونوعيته. فكلما كان اعضاء الحزب خاصة ومناصريه عامة من مختلف المناطق والطوائف والمذاهب كلما كانت جغرافيا الاحزاب متسعة والتنوع قائماً. والعكس يبدو صحيحاً.

غير ان متابعة توزيع الاعضاء وعددهم (النسبة) يبدو من الصعوبة التحقق منه ميدانياً. فالاحزاب تتعامل مع "الرقم - العدد" ومضامينه وكيفية توزيعه ونسب التوزيع بسرية مطلقة وتعتبره من اسرار الحزب المقدسة. وتبقى "الاحصائيات" التي تطلقها بعض الاحزاب والقوى السياسية عن عدد محازبيها ذاتية، اذا لم نقل دعائية، وغير خاضعة لاعتبارات موضوعية، ولا تتوفر الامكانيات او التقنيات والوسائل الكفيلة بالتحقق منها.

اضافة الى غياب الرقم الاحصائي من الحياة الحزبية خاصة والسياسية عامة، فان نوعية المنتسبين وطبيعتهم وتوزيعهم الاجتماعي والمناطقى هي الاخرى ضبابية وخاضعة لذاتية الاحزاب والقوى السياسية. فالخطاب المقدم الذي يحاول ان يطل على كل الوطن من جهة، والنوعت التي تطلق على الذات الحزبية من جهة اخرى، تبدو عند هذه الاحزاب والقوى كمعطى ثابت يفترض من الآخرين التسليم وعدم التشكيك.

لذلك يكثر هذا الحزب او تلك القوى من التعابير والنوعت التي تحدد الماهية الخاصة وبالتالي الامتداد المناطقي. فتوهمنا الاحزاب والقوى من خلال الاوصاف الذاتية (حزب الطبقة العاملة، حزب الامة، حزب لبنان... الخ) بان الانتشار الجغرافي مؤمن ويمتد على امتداد الاسم. فيخلط البعض بين الرغبات والطموحات من جهة، والواقع المعيش والحقيقي من جهة اخرى، الامر الذي يجعل الاطلالة على توزيع المحازبين دونه العديد من المعوقات.

وبالرغم من صعوبة ضبط العدد الحزبي وتوزيعه الجغرافي، غير ان متابعة التجربة الحزبية تبين بجلاء مدى الانحسار الجغرافي في مناطق دون اخرى وفي اطر ديمغرافية معينة.

فالفرز السكاني الذي ولدته سلسلة الحروب الداخلية المؤلمة لم تزل آثاره واضحة في المجتمع، كما في بنية الاحزاب والقوى السياسية، الامر عمق الواقع الطائفي والمذهبي والمناطقى، سواء في الاحزاب التي كانت قبل الحرب او التي نشأت خلاله او بعده.

- الاحزاب ذات القاعدة المسيحية زادت في "مسيحياتها" وبقيت محصورة في قواعدها "الطائفية" وبعض مناطق تواجدها. فالوطنيين الاحرار تقلص وجودهم الى جزء من الجبل، والكتلة الوطنية انحسرت اكثر في منطقة جبيل، والكتائب تراجعت داخل الطائفة التي تدعي تمثيلها وازدادت انكماشاً، والقوات اللبنانية (المنحلة) لم تزل في بنيتها وقواعدها امتداداً لنشأتها، والتيار الوطني الحر (تيار عون) محصوراً في قواعده الطائفية ومطمئناً الى خطابه اللبناني، والاحزاب الارمنية "ارمنية" بامتياز... الخ.

- الاحزاب ذات القاعدة الاسلامية تبدو على الصورة الطائفية نفسها لكن بتوزيع جغرافي ومناطقى وديموغرافي مختلف. بحيث يتقاسم حزب الله وحركة امل الطائفة الشيعية ويتصارعان فيها وعليها. والحزب التقدمي الاشتراكي تقلص جغرافيا وتوقع في "درزيتة". والمرابطون والاحباش (جمعية المشاريع الخيرة الاسلامية) وحزب الاتحاد والاتحاد الاشتراكي العربي والجماعة الاسلامية وتيار المستقبل (تيار الحريري)... الخ محصورة جميعها في الاطار الاسلامي السني، وان اختلفت نسبة تمثيلها وحجمه ومدى تأثيره. فالبعض يتركز في بعض احياء بيروت (المرابطون، الاحباش) والبعض في جزء من البقاع (الاتحاد، والاتحاد الاشتراكي) والبعض في صيدا (التنظيم الشعبي الناصري، الجماعة الاسلامية) والبعض في بعض احياء طرابلس (حركة التوحيد) والبعض يمتد بشعبيته على مساحة الحضور السني (تيار المستقبل).

- الاحزاب والقوى التي نشأت بعد الحرب لم تتجاوز، عملياً، السائد ووضعتها ليس بأفضل حال. حيث يلاحظ تقليدية البعض في التشكيل رغم "التنوع" والامتداد الجغرافي على مستوى القيادة (الحزب الديمقراطي اللبناني)، وبعضها نخبوي في التشكيل، الامر الذي يسهل عليها "نظرياً" ابراز "التنوع الجغرافي" في بنيتها (المنبر الديمقراطي، التجدد الديمقراطي) وبعضها انطلق من حدود الطائفة وتحصن بها (قرنة شهبان)... الخ.

- الاحزاب غير الطائفية لم تزل، من حيث المبدأ، الاكثر تعبيراً عن "التنوع الجغرافي" في صفوفها (السوري القومي الاجتماعي، الشيوعي اللبناني، البعث العربي الاشتراكي). حيث تمتد على مساحة الوطن وتضم حزبيين من مختلف المناطق والطوائف. دون الدخول هنا في تفاصيل هذا الامتداد او في وضعيات هذه الاحزاب.

ان هذا التوصيف العام لتحديد جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية لا يغلي بعض التمايزات القائمة فيما بينها سواء على مستوى الامتداد الجغرافي والتوزيع المناطقي او على مستوى حجم هذا الامتداد ونوعيته. كما لا يصعب على المتابع ان يلحظ معالم هذا التوصيف وعمق حضوره في بنية الاحزاب والقوى السياسية بحد ذاتها. حيث الضمور والارتباك والنزف التنظيمي... الخ. من هنا يمكن الاستدلال، الى حد بعيد، على مدى خفوت "التمثيل الوطني" في الحياة السياسية من جهة، وانحباس الاحزاب والقوى السياسية في حدود ضيقة جداً طابعها طائفي من جهة ثانية، والتصرح التنظيمي من جهة ثالثة.

2. الانتخابات النيابية: يعبر هذا المعيار، الى حد بعيد، عن جغرافيا الاحزاب والقوى السياسية. لان طبيعة المعركة الانتخابية ومجرياتها تدل بشكل او بآخر عن مدى الانتشار الجغرافي ونوعيته وابعاده. فعملية الترشيح وطوائف المرشحين الحزبيين والدوائر التي ترشحوا فيها وعنها وعدد الفائزين وعدد الأصوات وتشكيل اللوائح... الخ تبين الكثير من جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية.

غير ان مقارنة جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية من المدخل الانتخابي تواجهها عدة عراقيل ابرزها ما يلي:

أ. ان الانتخابات النيابية لا تجري على أساس حزبي.
ب. ان عدد الأصوات التي ينالها مرشحي أحزاب والقوى السياسية تخضع للعديد من الاعتبارات غير السياسية او الحزبية.

ج. ان فوز مرشحي هذا الحزب وفشل مرشحي الحزب الاخر ليس له علاقة بانتشار هذا الحزب وقوة حضوره وتوسع جغرافيته. فقد دلت تجربة الانتخابات النيابية بعد الطائف

(1992-1996-2000) على ان هذه العملية تخضع لمقاييس واعتبارات إقليمية وتوازنات داخلية لا علاقة (في العديد من الحالات) للأحزاب والقوى السياسية بها، الا لجهة استخدام الاسم "كإفظة او كغطاء لخدم أغراض سياسية محددة.

د. ان اللوائح الانتخابية هي بغالبيتها (كما بينت انتخابات ما بعد الطائف) عملية مفبركة بمجملها، قاعدتها الثقل الطائفي او الضرورات الإقليمية او الاثنيين معًا.
هـ. ان المقاطعة التي اعتمدها بعض الأحزاب والقوى السياسية (الوطنيين الأحرار، المعارضة الكتائبية، قسم من القوات اللبنانية) خفف، بشكل او بأخر، من طبيعة التمثيل الحزبي وجغرافيته.

غير انه بالرغم من هذه المعوقات فان العملية الانتخابية تبقى معيارًا جديًا يمكن اعتماده لتحديد جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية. وعليه فان الإطار العام لهذا يبين ما يلي:

جغرافيا الطوائف: انحسرت العديد من الأحزاب في طوائفها. واذا كان هذا الأمر طبيعيًا بالنسبة للأحزاب ذات الطابع الطائفي، فانه غير طبيعي بالنسبة للأحزاب غير الطائفية. الأمر الذي يجعل الأزمة ليست محصورة في قانون الانتخابات النيابية (رغم مازق هذا القانون ومضمونه غير الديمقراطي) فقط، بل هي ايضًا في بنية الأحزاب والقوى وتركيباتها وطبيعتها. لذلك نلاحظ مصادر الطوائف للأحزاب، او ما يمكن ان نسميه "جغرافيا الطوائف". والأمثلة كثيرة ضمن هذا المسار. فحزب الله وحركة أمل (الشيعة)، التقدمي الاشتراكي وتيار ارسلان (الدروز)، الكتائب والكتلة الوطنية والقوات اللبنانية - المنحلة - والأحزاب الأرمنية... (المسيحيين)، التشكيلات الناصرية والإسلامية (الجماعة الإسلامية، الأحباش) وتيار المستقبل... (السنة).

غير ان الملفت للنظر في هذا الجانب هو تراجع جغرافيا بعض الأحزاب غير الطائفية الى حوض الطوائف وجغرافيتها (السوري القومي الاجتماعي) واعتمادها قاعدة التمثيل. ان مجمل هذه المظاهر وغيرها، تعيدنا الى التأكيد على محدودية الانتشار وقوة التأثير المجتمعي في جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية في لبنان.

وهم الجغرافيا: ان وصول بعض الحزبيين الى المجلس النيابي كممثلين عن منطلق مختلفة لا يعبر بالضرورة عن عمق الحضور الجغرافي في هذه المناطق. باعتبار ان توزيع

المقاعد النيابية والفوز بالنيابة يخضع لتأثيرات خارجية وعوامل داخلية لا تدل على توسع "الجغرافيا" وقوة الامتداد الحزبي. والنماذج التي بينتها مرحلة ما بعد الطائف عديدة: فنجاح حزب الكتائب في دائرة بعلبك الهرمل في انتخابات الألفين، فوز زاهر الخطيب (رابطة الشغيلة) في انتخابات 1992 و1996، عدم ترشح الحزب التقدمي الاشتراكي في البقاع الغربي وراشيا، ووصول نائب لحزب البعث العربي الاشتراكي في الجنوب- حاصبيا، ونجاح الحزب السوري القومي الاجتماعي في بيروت في دورتي 1992 و1996 وفي بعلبك الهرمل في انتخابات الألفين، ووصول نائب لحركة أمل في بيروت، ونائب لتجمع اللجان والروابط الشعبية في بيروت (1992، 1996، 2000) وللأحباش في بيروت (1992) وللجماعة الإسلامية (1992)، وفضل الحزب الشيوعي... الخ.

ان هذه النماذج، وغيرها، تبين بان النيابة لا تعكس الجغرافيا بقدر ما تموه الواقع وتكاد ان تلغيه في بعض الحالات، الامر الذي يجعل وهم الحضور او تضخيم الذات الحزبية هو الأساس. ويمكن تعميم حالة الوهم. او تضخيم الذات على مشاركة العديد من الأحزاب في السلطة التنفيذية عبر المشاركة في المجلس الوزاري. وفي الحالتين (النيابة والوزارة) تقودنا الأحزاب والقوى السياسية الى عمق أزمته من جهة، وتكشف عن انحسارها الجغرافي في الواقع من جهة أخرى، والمبالغة في تقدير الذات من جهة ثالثة.

3. **المجالس البلدية:** قد يكون هذا المعيار الاكثر تعبيرًا عن جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية. باعتبار الانتخابات البلدية تدخل الى القرى والبلدات والمدن اللبنانية كافة. فاذا كانت الانتخابات النيابية تعطي صورة عن "الخريطة" العامة لهذه الجغرافيا، فان الانتخابات البلدية يفترض ان تقدم تفاصيل الخريطة و"تضاريسها" الطبيعية وتدرجاتها الدقيقة.

غير ان تجربة الانتخابات البلدية التي جرت في العام 1998، او التي تم استكمالها في المناطق المحررة في العام 2001 تبين هبوط الحضور الحزبي وهامشيته. فنسبة الحزبيين الفائزين في المجالس البلدية (1998) كانت ضعيفة، الى حد بعيد. فعد رؤساء البلديات الحزبيين كان بحدود 93 رئيسًا من اصل 600 بلدية. اي ما نسبته 15%. وعدد اعضاء المجالس البلدية الحزبيين في انتخابات (1998) وصل الى حوالي 48 عضوًا بلديًا حزبيًا من اصل 311 عضوًا

في (18 بلدية موزعين على مختلف المناطق اللبنانية. اي ما نسبته 15،43% .) استمارة نفذت لمصلحة مركز الدراسات والأبحاث عن الشرق الأوسط المعاصر – (CERMOC).
 وإذا كان للانتخابات البلدية اعتباراتها وظروفها، الامر الذي قد يؤثر على مستوى الحضور الحزبي خاصة والسياسي عامة، غير انها كانت مؤشر على قدر كبير من الأهمية يبين مستوى الانتشار الحزبي ومحدوديته وضعف تأثيره وسطحية حضوره. فالانتخابات البلدية أعادت توضيح عمق التراجع الحزبي. بل يمكن القول نتيجة للتجربة البلدية ان جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية محاصرة بالعائلية والانتماءات الأولية، او ما يمكن ان نسميه، مجازاً، جغرافيا العائلات، كما حاصرتها جغرافيا الطوائف وقلصت إمداداتها.

4. **الخطاب الحزبي:** يخترق الخطاب الحزبي، نظرياً، مناطق التواجد الحزبي الضيقة ليمتد على مساحة الوطن برمته، الامر الذي يجعل الاحزاب والقوى السياسية في هذه النقطة، بالتحديد، تبدو وكأنها اكثر اتساعاً.

غير ان الخطاب على مساحة الوطن وجغرافيته يحتاج الى أبحاث خاصة لضبط حدود هذا الخطاب والتحقق من صدقيته ومتابع مواضيعه وقياس مردوبيته.

فالأحزاب والقوى السياسية تطرح نفسها في الأساس على مستوى الوطن، ولخدمة المجتمع بكل فئاته وكل مناطقه. وتبرر وجودها واستمراريتها انطلاقاً من هذه الزاوية. وبالتالي تقدم نفسها على احسن صورة وافضل شكل. لذلك من النادر ان نلاحظ في مبادئها الأساسية ومنطلقاتها السياسية اي صبغة فئوية او مناطقية او طائفية او مذهبية... الخ، الامر الذي تبدو فيها الأحزاب في هذا الجانب (النظري) على انها متصالحة مع مجتمعها ومتجانسة مع ذاتها ومنسجمة مع ظروفها.

ورغم اهمية ما تقول به الأحزاب والقوى السياسية في لبنان على مستوى الخطاب العام، وبالرغم من الإنجازات التي ساهمت في تحقيقها، غير ان الخطاب السياسي دونه الكثير من الارتباك والعديد من الإشكاليات لعل ابرز مظاهرها ما يلي:

1. القطع الحاصل بني الخطاب النظري والممارسة الحية والواقع المعيش، الأمر الذي يحول الخطاب عند غالبية الأحزاب والقوى السياسية الى نوع من تسجيل المواقف.
2. غياب مبدأ المحاسبة، من حيث المبدأ، سواء على المستوى الحزبي الخاص، او على المستوى المجتمعي العام، الامر الذي حول الخطاب الى ما يمكن ان نسميه "قل كلمتك وامش".
3. غياب البرامج الحزبية والبرامج الخاصة بالمناطق، الأمر الذي يجعل من الخطاب تكراراً لما سبق واقرب للخطابية.

من هنا فان خطاب الأحزاب والقوى السياسية لم يزل خاضعاً لضرورات اللحظة السياسية ومستلزماتها. وهذا ما يقلل من جديته وعمق فاعليته، وبالتالي هامشية تأثيره. إضافة لذلك فان سيادة منطق "المحاصصة" الطائفية و"الحزبية"، والخدمات الشخصية، وغياب الخطط والبرامج التنموية على المستوى الرسمي والوطني العام، وضعف دولة المؤسسات والقانون، واختلال التوازنات المجتمعية بعد الطائف... الخ جعل من غالبية الأحزاب والقوى السياسية المدافع الأول عن طوائفها والمطالب الدائم بما يسمى حقوقها. لذلك يغدو الخطاب شكلاً من أشكال الانقسام المجتمعي او تعبيراً عنه. اذا لم نقل مساعداً على استمراره بشكل او بآخر.

وعليه فان الخطاب الحزبي يعاد تقييده بتناقضات الواقع وتجاذباته الآنية فلا يستطيع عملياً وواقعياً ان يتخطى الفواصل او يراكم لتجاوزها.

ان جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية في لبنان في مرحلة ما بعد الطائف تبدو على قدر كبير من التأزم. وهي احدى مظاهر التعبير عن الأزمة الحزبية والمجتمعية في الوقت نفسه. فالتشكيلات السياسية على أنواعها تعاني من ارتجاجات عنيفة في بنياتها الداخلي. فالجانب الفكري يبدو مرتبكاً، والبناء التنظيمي يبدو متكلساً. بل يمكن القول ان فقدان غالبية الأحزاب والقوى السياسية لاستقلالها الذاتي وارتهاؤها لقوى داخلية وخارجية، وغياب النقد الذاتي والمراجعة المستمرة، وفقدان مصداقيتها، والتناقض بين الخطاب والممارسة... الخ عمق تراجعها

وزاد من انحسارها. لذلك يلاحظ خواء الحياة الحزبية لدرجة تبدو فيها الأحزاب وكأنها خارج ذاتها وبعيدة عن قضايا مجتمعا.

وقد تداخلت هذه الوضعية للأحزاب والقوى السياسية مع التردّي العام في المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومعيشياً. من هنا تبدو عملية الانضواء الى صفوف التشكيلات السياسية على أنواعها في أدنى مستوياتها. وإذا وجدت حركة في هذا الاتجاه فإنها تجري في دائرة مقفلة. لذلك تنتعش التشكيلات والخطابات السياسية التي تدغدغ "الغرائز" او تعبر عن الوضعيات الطائفية والمذهبية والمناطقية.

ان اتساع جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية وتجاوز المأزق السائد او التخفيف من حدته عملية معقدة ومسيرة طويلة. ويمكن ان تتعزز مع تعزز مسيرة السلم الأهلي وتعميق التفاعل الوطني، بكل ما يتطلبه على ارض الواقع، كما على المستوى الرسمي ومؤسساته، وتخفيف الاحتقان الموروث و"الموروث" من جيل لآخر عبر التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها. وتجديد الحياة الحزبية بما تفرضه عملية التجديد من شروط ومتطلبات.

لذلك فان التركيز على القضايا العمالانية التي ترسخ الحياة الديمقراطية وتعزز ممارستها في المجتمع "والمؤسسة" الحزبية من المداخل الأساسية لتجديد جغرافيا الأحزاب والقوى السياسية في لبنان. وهي مهمة وطنية - مجتمعية عامة، كما هي قضية حزبية - سياسية "خاصة".

ان الأحزاب والقوى السياسية تختزن في فكرها وتنظيمها وممارساتها صورة المجتمع وتشكيلاته، وصورة الوطن الذي نريده ونطمح اليه. من هنا تبدو "الجغرافيا" مسألة غير "مادية" بالمعنى الحصري للتعبير، لما تتضمنه من أبعاد ومدلولات. فهل ترتقي التشكيلات السياسية على أنواعها الى المستوى؟ وهل يمكن ان تقبل التحدي.

14

Adaptation du comportement électoral à la géographie électorale: (cas des électeurs musulmans Sunnites du quartier Baydoun à Achrafieh

Rania Safar

Du fait de la situation géographique du quartier Baydoun (à l'Est de la rue de Damas) et de l'appartenance confessionnelle de ses habitants (musulmans sunnites inscrits à Achrafieh), le lien entre géographie électorale et comportement électoral est parlant.

Les habitants de ce quartier ont connu (entre 1943 et 2000) deux recompositions majeures de leurs alliances politiques et ceci en raison de la modification de la géographie de la ville aux sorties des guerres civiles (de 1958 et 1975-1990).

En 1960, avec le découpage de Beyrouth en trois circonscriptions. Est, Ouest et Ain el-Mraissé, le quartier Baydoun s'est retrouvé dans Beyrouth I, avec huit sièges exclusivement chrétiens à pourvoir. Tout au long des élections de 1960, 1964, 1968 et 1972, des alliances ont été constituées avec les forces politiques chrétiennes: Pierre Gemayel, Fouad Boutros ou Michel Sassine (selon les familles au sein de l'électorat sunnite).

Une autre rupture est à signaler à partir des années 1990 avec l'adoption de la mohafazat de Beyrouth aux élections de 1992 et 1996 et l'intégration d'Achrafieh avec Mazraa aux élections en 2000. Le quartier s'est rapproché du Beyrouth Sunnite. Il votera massivement pour Rafic Hariri en 2000.

Sans négliger l'hypothèse d'une polarisation confessionnelle dans ce dernier cas, ces changements d'alliances ne peuvent être dissociés d'une logique clientélaire.

Le démarche de l'étude s'appuie sur trois principales entrées.

Il s'agit en premier lieu de montrer à quel point les attentes ou intérêts présumés de l'électorat sont liés à la nature du lien clientélaire:

attentes de services rendus en matière d'emploi, de facilités administratives, d'encadrement caritatif, d'argent liquide.

Il s'agit ensuite d'être attentive aux processus passés ou en cours à l'échelle nationale: redistribution du pouvoir à l'échelle nationale (force du candidat à un moment donné, rivalités entre candidates de même confession donc séduction de l'électorat par des services ou Khadamat comme par exemple la compétition entre Fouad Boutros et Michel Sassine...). Il est à noter aussi les repercussions du phénomène électoral sur le système de pouvoir au sein du quartier (qui est pluricéphale): luttes d'influence ou conflits sur la distribution des avantages.

الباب الثالث

Troisième partie

مواقف واستنتاجات

Attitudes et perspectives

رقابة المجلس الدستوري على تقسيم الدوائر الانتخابية جورج آصاف

ان رقابة المجلس الدستوري على جغرافية الانتخابات، رقابة مبنية على مبادئ دستورية عامة التي من شأنها وضع اطار قانوني ثابت قد يضمن صحة العملية الانتخابية كما يجب ان تكون في ظل النظام السياسي اللبناني التوافقي. ماذا عن صلاحية المجلس الدستوري في هذا المضمار وهو يصدر قرارات مبرمة لا تقبل اي طريق من طرق الطعن.

جاء في المادة 19 من الدستور: "ينشأ مجلس دستوري لرقابة القوانين والبت في النزاعات والطعون الناشئة عن الانتخابات الرئاسية والنيابية". وقد ورد ذلك تكراراً في قانون انشاء المجلس الدستوري رقم 250 تاريخ 93/7/14 في مادته الاولى، كما جاء ايضاً في المادة 18 والمادة 23 مع بعض التفاصيل. لن نتطرق الى مسألة الطعون في نتائج الانتخابات النيابية، فهذه غير متصلة مباشرة بجغرافيا الانتخابات بل سنبحث في موقف المجلس الدستوري على اثر الطعن في قانون الانتخابات النيابية لسنة 1996 لجهة التقسيمات الادارية فالقرار الذي صدر على اثره يشكل الاجتهاد الوحيد في لبنان حول هذا الموضوع. ان الطعن في كيفية تقسيم الدوائر الانتخابية يضع تحت المجهر مسألتان:

- الاولى تكمن في مدى احترام مبدأ المساواة بين المواطنين في الانتخابات.

- اما المسألة الثانية فهي تتصل بالمعايير التي يقتضي اتباعها في تقسيم الدوائر الانتخابية.

كل من هاتين المسألتين تناولها اجتهاد المحاكم الدستورية في الانظمة الديمقراطية منذ الستينات، حيث ان المحكمة العليا في الولايات المتحدة وبعد التريث على مدى سنوات عدة اعتبارًا في كل الولايات الى الدستور الفدرالي الذي يكرس مبدأ المساواة *Wesbury vs Sanders 17-2-64* وكذلك محكمة *Karlsruhe* الدستورية في الجمهورية الاتحادية الالمانية. اما في فرنسا فان المجلس الدستوري اصدر سنة 1986 قرارًا مبدئيًا يعتبر القاعدة في مسألة التقسيمات الادارية الانتخابية *No 86-218 DC* وقد كرس هذا القرار رقابة متكاملة على التقسيمات الادارية ان من ناحية التوافق مع النص وان من ناحية الملائمة مبنية على معايير وضوابط سوف نعود الى تفصيلها في اطار قرار المجلس الدستوري اللبناني رقم 4 تاريخ 96/8/7 الذي ابطل المادة 2 من قانون 1996/530 تاريخ 96/7/11.

ما هو الاطار التشريعي الذي قاد الى الطعن في القانون ومن ثم صدور القرار بإبطال المواد المخالفة للدستور؟

لقد اعتمد المشرع اللبناني في قانون الانتخابات النيابية لسنة 1960 دائرة انتخابية متوسطة الحجم بهدف مراعاة صحة التمثيل بأوجهه كافة مناطقيًا وطائفيًا ووطنياً. وتناولت وثيقة الوفاق الوطني (الذي صادق عليها مجلس النواب بتاريخ 89/11/5) اصلاح قانون الانتخابات فجاء تحت عنوان "الاصلاحات".

"تجري الانتخابات النيابية وفقًا لقانون انتخاب جديد على اساس المحافظة يراعي القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين وتؤمن صحة التمثيل السياسي لشتى فئات الشعب واجياله وفاعلية ذلك التمثيل بعد اعادة النظر في التقسيم الاداري في اطار وحدة الارض والشعب والمؤسسات".

رغم ذلك فان التعديل الذي لحق بالدستور سنة 1990 تطبيقًا لاتفاق الطائف لم يورد المحافظة كتقسيم اداري معتمد للانتخابات النيابية.

وفي عام 1992 عدل قانون الانتخابات بموجب قانون 92/154 وقد نص على ان المحافظة هي الدائرة الانتخابية الا انه الحق ذلك باستثناء بالنسبة لثلاث محافظات هي جبل لبنان والجنوب والبقاع.

ولم يكن مجلس النواب أنشأ المجلس الدستوري بعد ف سجل الناخب موقفه من هذا القانون مقاطعة للانتخابات.

ولم يتبدل الامر سنة 1996 حيث صدر قانون 96/530 ثلاث اسابيع ونيف قبل موعد الانتخابات، واعاد تقسيم الدوائر الانتخابية بما يضمن النتائج لمصلحة الفريق السياسي الذي تسلم زمام الامور بعد انتهاء الحرب.

وقد اضاف المشرع في هذا القانون ان الاستثناء (الثاني كرونولوجياً) من اعتماد قاعدة المحافظة كدائرة انتخابية هو لمرة واحدة هذا ما دفع عدداً من النواب الى التقدم بطعن في القانون امام المجلس الدستوري الذي ابطال بعض مواد القانون.

قضى المجلس الدستوري في القرار رقم 96/2 تاريخ 96/8/7 بمخالفة كل من المادتين 2 و 3 (كما قضى بمخالفة المادة 30 وهي تتعلق بشروط الترشيح) من القانون المطعون فيه لانهما تخلان بمبدأ المساواة امام القانون باعتمادهما معايير مختلفة في تقسيم الدوائر الانتخابية ولانهما لم يلحظا ان "ذلك على سبيل الاستثناء من القواعد العامة ولاسباب ظرفية يراها المشرع متصلة بالمصلحة العامة العليا، وان لم يأتي على تبريرها".

وكان ان اخذت الحكومة بما ورد في قرار المجلس الدستوري فأدرجت نصه في مشروع قانون بديل رقم 587 تاريخ 1996/8/13 وابقت على التقسيم الذي اعتمده فذكر انه،

"بصور استثنائية ولمرة واحدة ولاسباب ظرفية متصلة بالمصلحة العامة العليا تتألف الدوائر الانتخابية من دوائر مختلفة تقوم على اساس المحافظة في بعضها وعلى اساس دمج محافظتين في دائرة اخرى وتقسيم محافظة ثالثة الى عدة اقصية يمثل كل قضاء دائرة انتخابية منفردة".

فأدخل المجلس النيابي تعديلاً شكلياً على القانون وابقى على الاستثناء واعيد نشر القانون المعدل رقم 587 تاريخ 1996/8/12 قبل اربعة ايام من موعد الانتخابات رغم المخالفات الواضحة لاحكام الدستور وجرت الانتخابات على هذا الاساس.

ولم يعطه القانون اي ايضاح لا في النص ولا في الاسباب الموجبة على ما استند عليه من اسباب ظرفية تشكل المرتكز للتحقق من استحالة تطبيق مبدأ المساواة في الانتخاب وفي تقسيم الدوائر الانتخابية.

وبذلك فقد جدد المشرع سن قانون استثنائي دون الرجوع الى الاطار القانوني الملزم الذي قد يبرر هكذا تقسيم كما عاد سنة 2000 وللمرة الثالثة الى سن قانون رقم 171 تاريخ 2000/1/6 مبني على الاستثناء من قاعدة المحافظة فقسم العاصمة بيروت وجبل لبنان والشمال والجنوب والبقاع الى دوائر مختلفة الحجم والشكل وبغياب اي طعن في هذا القانون بقي قرار المجلس الدستوري رقم 96/4 المرجع الاجتهادي الوحيد.

3

ما هو المرتكز القانوني لقرار المجلس الدستوري رقم 96/4

اعتبر المجلس الدستوري ان المشرع يبقى مقيداً عند وضع قانون الانتخاب باحكام الدستور والمبادئ الدستورية العامة واعتمد على المادة السابعة منه وعلى الفقرة ج والفقرة د من مقدمة الدستور التي تلحظ كلها مبدأ مساواة المواطنين امام القانون.

واعتبر ان صدقية النظام التمثيلي لا تتوقف فقط على المساواة في حق التصويت بل ترتكز ايضاً على قاعدة تقسيم الدوائر الانتخابية تكون ضامنة للمساواة في التمثيل السياسي، اضافة الى ذلك فقد نصت المادة 24 من الدستور على توزيع المقاعد النيابية على اساس قواعد من شأنها تحقيق التوازن والعدالة بين الطوائف والمذاهب وايضاً بين المناطق، ضمناً لصحة التمثيل السياسي وحفاظاً على ميثاق العيش المشترك الذي يجمع بين اللبنانيين اي ضمناً للنظام السياسي التوافقي.

وخلص المجلس الدستوري الى ان عدم اعتماد معياراً واحداً في تقسيم الدوائر الانتخابية يفقد قواعد المادة 24 من الدستور معناها ومضمونها من جهة ويميز في المعاملة بين المواطنين ناخبين او مرشحين.

الا انه وبالمقابل،

- اعتبر ان القاعدة الديموغرافية في تقسمي الدوائر الانتخابية ليست قاعدة مطلقة اذ يبقى للمشرع ان يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات المصلحة العامة التي من شأنها التخفيف من قوة هذه القاعدة الاساسية كما يمكنه، بصورة ضيقة، الخروج عن تطبيق مبدأ المساواة مراعاة لاوزاع وظروف خاصة استثنائية.

- كما انه اعتبر ان اعتماد معايير مختلفة في تقسيم الدوائر الانتخابية دون لحظ ان ذلك يحصل على سبيل الاستثناء من القواعد العامة ولاسباب ظرفية متصلة بالمصلحة العامة العليا "وان لم يأت على تبريرها" يخل بمبدأ المساواة امام القانون، اي انه لا يجوز للمشرع ان يجعل من حالة مؤقتة واستثنائية ليس لها طابع الديمومة قاعدة عامة او ان يبني عليها قاعدة ثابتة دائمة.

وقد اخذ رجال القانون على قرار المجلس الدستوري (رقم 4 تاريخ 7 آب 1996) هذا تشجيعه لا بل حظه على اعادة اصدار قانون الانتخابات النيابية على وجه مماثل مع صياغة جديدة للمادة التي ابطل لذكر ان عدم اعتماد المحافظة كقاعدة للتقسيم الاداري هو على سبيل الاستثناء من القواعد العامة ولاسباب ظرفية متصلة بالمصلحة العامة العليا.

واعتر هؤلاء الفقهاء ان المجلس الدستوري وضع بصورة غير مبررة حدوداً لصلاحيته في الرقابة على التقسيمات الادارية للانتخابات من جهة ومن جهة اخرى تخطى صلاحياته بتوجيه السلطة التشريعية نحو اعادة صياغة النص غير الدستوري بحيث يصبح مقبولاً، فخرق مبدأ فصل السلطات.

2

اطار الرقابة الدستورية على تقسيم الدوائر الانتخابية:

في الحقيقة، ان رقابة المجلس الدستوري تشمل على السواء،

نا - رقابة توافق النص مع النصوص والقواعد الدستورية *Contrôle de conformité*.
 - وملائمة النص للظروف التي حتمت اعتماده *Contrôle de l'opportunité*.
 وهي مجموعة اعتبارات ذات طبيعة غير عادية (اي عابرة ومؤقتة) التي يجب التوقف عندها بسبب المصلحة العامة،

اكثر من ذلك فان تحقق الملائمة هو شرط قبول الاستثناء خلافاً لما جاء في قرار المجلس الدستوري بان يكتفي المشرع باعلان الطابع الاستثنائي للتقسيم المخالف لمبدأ المساواة وان لم يأت على تبريره.

على المجلس الدستوري اذا ان يتحقق من ان الاسباب الظرفية تبرر حقاً الاستثناء من القواعد العامة فيجب ان يكون لهذه الاسباب طابع الظروف الاستثنائية.
 ولهذا الظروف معايير وضعها الاجتهاد كوقوف السلطة امام استحالة مادية او قانونية تمنعها من تطبيق احكام الدستور ومبادئه وان تكون التدابير التي تتخذها متناسبة مع الهدف المطلوب تحقيقه وان يكون هذا الهدف مهماً لدرجة انه اذا لم يتحقق تتعطل المرافق العامة او المصلحة العامة،

كما ان وعند توافر الشروط التي تبرز خرق الحقوق الاساسية والحريات العامة يبقى المشرع ملزماً بالتوفيق بين السبب المتمثل بالظرف الاستثنائي والحريات اي ان حتى في حال الانحراف المبرر عن القواعد والنصوص الدستورية يبقى على المجلس الدستوري ان يراقب مدى الانحراف هذا وانه لا يتجاوز ما يلزم لكي لا تتعطل المصلحة العامة.

هذه المعايير لم يدخل في بحثها المجلس الدستوري اذ انه اجاب على المسائل التالية:

1. تحقق من ان نص القانون المطعون به انحراف عن قاعدة اعتماد المحافظة كدائرة

انتخابية.

2. اعتبر ان هذا الانحراف يخالف مبدأ المساواة المكرس في الدستور .
 3. قرار ان عدم ورود اشارة في النص المطعون به بان هذا الانحراف يشكل استثناء للقاعدة الدستورية من شأنه ان يؤدي الى ابطال النص لعدم دستوريته.
- الا انه تراجع عن الخوض في مسألة التحقق من ان المبررات لهذا الاستثناء موجودة فعلاً وبن انحراف عن القاعدة الدستورية ملائمًا لمواجهة الحالة الاستثنائية وايضًا وفي حال الملائمة اذا مدى الانحراف متناسب مع نسبة الاستثنائية.
- هذا ما فتح المجال امام المشرع سنة 2000 لتثبيت الاستثناء كقاعدة دائمة خرقًا للمبادئ الدستورية دون ان يرد ان طعن جديد بهذا الشأن الى المجلس الدستوري، فيبقى الوضع مجمدًا لسنة 2004.
- ومن البديهي انه لا يجوز انتظار تاريخ الانتخابات النيابية القادمة للتحرك نحو اعتماد قانون انتخابي عصري ومتوافق مع احكام الدستور ومتجانس مع النظام السياسي اللبناني.

16

Interviews et entretiens

Scarlett Haddad

Les expériences législatives des dernières années n'ont guère été encourageantes au Liban. Lois électorales et découpages des circonscriptions se sont essentiellement souciés de favoriser l'élection de certains candidats plutôt que d'une représentativité réelle. Il est vrai que les recensements démographiques ne facilitent pas non plus la tâche de ceux qui sont à la recherche d'une véritable démocratie, tant ils sont vieux, timorés ou tendancieux.

La recherche effectuée montre que selon les listes électorales, il y aurait eu dans la loi électorale de 2000, un souci évident d'aboutir à des circonscriptions regroupant des électeurs chrétiens et musulmans, dans des proportions relativement équilibrées. Mais dans la réalité, il s'est avéré que les chrétiens votent beaucoup moins que les musulmans. Selon Abdo Saad, politologue chiite, qui énormément travaillé sur le sujet (voir interview), la raison est à chercher dans le fait que les chrétiens ont été plus nombreux à émigrer mais leurs noms figurent toujours sur les listes d'état civil, sciemment ou non. Résultat, ils seraient beaucoup moins nombreux dans les diverses circonscriptions qu'on ne veut le dire et faussent donc les pronostics.

Mais il faut faire avec cette matière première incomplète et tenter malgré tout d'aboutir à un système aussi représentatif que possible.

Pour Boutros Harb, vétéran des élections et actuel député (voir interview), plus la circonscription est petite et plus la représentativité est assurée. Son groupe (Kornet Chewane) prépare d'ailleurs un projet oscillant entre la formule du casa et le principe d'un électeur un vote. Neemtallah Abi Nasr (voir interview) a lui, une priorité : assurer la représentativité des chrétiens et limiter les interventions politiques dans le système électoral. Quant à Abdo Saad, qui n'a pas le souci des minorités, il préconise un système de proportionnelle, avec des listes fermées et le choix d'un candidat préférentiel par électeur. D'autres projets sont aussi proposés, mais tant que la vie politique est faussée, il est difficile de trouver un système idéal.

Scarlett Haddad

SURTITRE-LOI ELECTORALE-Le député pense que le plus urgent est d'éliminer la peur pour l'avenir

TITRE-Boutros Harb :Une petite circonscription pour rassurer les chrétiens

CHAPO-Dans deux ans, si tout va bien, le Liban sera doté d'un nouveau parlement. De nouveaux représentants pour un peuple qui se sent de moins en moins concerné par les affaires de l'Etat. Comment combler le fossé ? Peut-être en préparant une loi électorale équitable qui permettrait à chaque citoyen de sentir que sa voix est importante et qu'il peut, grâce à elle, influencer sur le cours des événements. Mais jusqu'à présent, les autorités concernées ne se sont pas encore penchées sur ce problème. C'est pourquoi, en coordination avec les diverses organisations qui s'intéressent à la géographie électorale libanaise, nous avons sondé des parties libanaises sur le système qui leur paraît le plus représentatif.

TEXTE-Boutros Harb a mené plusieurs élections, avant et après l'accord de Taëf. Politicien chevronné, il connaît désormais toutes les ficelles du scrutin et il a réussi à garder une place privilégiée dans le cœur des habitants du Nord, indépendamment des tendances générales du pays. Pourtant, Boutros Harb qui a été élu dans une grande, une petite et une moyenne circonscription, a ses préférences. Pour lui, il est indispensable d'assurer une ambiance démocratique, pour permettre à l'électeur d'exercer librement son choix. *“ Avec mon expérience, je peux dire que je ne suis pas pour les grandes circonscriptions ”*. N'a-t-il pourtant pas approuvé l'accord de Taëf, qui prônait des circonscriptions de la taille du mohafazat ? *“ Personnellement, j'ai une interprétation différente de cette disposition. Car, si un des paragraphes mentionne effectivement que la circonscription électorale doit avoir la taille du mohafazat, un autre évoque les élections législatives de manière détaillée. Il précise notamment que les élections doivent se dérouler suivant une loi nouvelle prenant pour base le mohafazat, tout en tenant compte des exigences de la vie en commun et de la vraie représentativité politique des différentes*

catégories, après une révision de la délimitation administrative des mohafazats dans le respect de l'unité de la terre et du peuple. En d'autres termes, les limites du mohafazat sont modifiées, de manière à assurer une meilleure représentativité et à Taëf, il n'a jamais été question de les laisser inchangées ”.

Boutros Harb les verrait bien entre le caza et le mohafazat. *“ Il faut voir au cas par cas ”.*

INTERTITRE-Les confessions ne sont pas des partis

Selon cheikh Boutros, les autorités n'ayant pas tenu compte de ces dispositions de l'accord, la représentativité a été faussée au cours des scrutins de l'après Taëf. *“ Nous sommes le seul pays au monde où l'on adopte les grandes circonscriptions sans établir un système de scrutin proportionnel ”.* Quant au scrutin proportionnel, il ne peut être appliqué en dehors d'un système de partis politiques. *“ A moins que l'on ne considère les confessions comme les partis, mais dans ce cas, on s'éloigne totalement de la volonté de ceux qui ont participé à l'élaboration de l'accord de Taëf ”.*

C'est pourtant à Taëf que le confessionnalisme a été consacré. *“ Non c'est la mauvaise application de l'accord qui a créé un sentiment de frustration chez certaines communautés. Celles-ci se sont senties marginalisées, parce qu'elles étaient représentées par des personnes qui ne reflétaient pas leurs opinions. C'est sans doute ce qui a renforcé le sentiment d'appartenance communautaire ”.*

Aujourd'hui, la priorité, pour cheikh Boutros, est d'arrêter l'hémorragie de l'émigration chrétienne et de mettre un terme à la marginalisation des chrétiens, qui sentent que leur avenir n'est plus assuré au Liban. *“ Les nouvelles idées doivent faire face à ce nouveau défi : permettre à toutes les communautés à défaut des partis politiques de se réaliser, de s'épanouir et de jouer un rôle effectif au sein de la vie politique. A mon avis, la petite circonscription est le moyen le plus sûr d'y parvenir. L'idéal serait le principe d'un électeur, un vote, ou peut-être un électeur deux votes (un chrétien et un musulman), afin de préserver la cohabitation et l'unité nationale ”.*

Cheikh Boutros est convaincu que l'assainissement de la vie politique passe nécessairement par l'adoption d'une petite circonscription

électorale, principale garante d'une représentativité réelle et donc d'une plus grande implication des électeurs dans le choix de leurs représentants.

INTERTITRE-Un électeur, un vote, pour respecter les spécificités

C'est, selon lui, à ce prix seulement que les chrétiens cesseront de se sentir marginalisés en ayant le sentiment de pouvoir faire un choix effectif. Le système d'un vote par électeur lui paraît donc idéal pour la situation actuelle et permettra de sauver la coexistence, qui demeure un des fondements du Liban. *“ Cette formule respecte les spécificités et inspire confiance aux différentes communautés. En tout cas, ce projet est actuellement en train d'être discuté entre les membres du groupe de Cornet Chehwane et nous comptons proposer un document commun à ce sujet, une fois les débats terminés. Ce qui est sûr, c'est que nous ferons de la petite circonscription notre principal cheval de bataille ”.*

Cette formule ne comporte-t-elle pas le risque d'avoir un électeur et un élu centrés sur leur petite région ?

“ Je suis conscient des défauts de ce système, mais ils me paraissent négligeables devant le risque de perdre le pays. Nous ne pouvons plus nous permettre de nous payer le luxe des théories, il nous faut agir. L'épanouissement de certaines communautés ne doit pas se faire aux dépens des autres et les grandes circonscriptions n'ont pas renforcé l'unité nationale, comme cela avait été annoncé. Au contraire, les sentiments d'appartenance confessionnelle sont de plus en plus exacerbés et provoquent des réactions extrémistes dans toutes les communautés. L'urgence est donc d'éliminer la peur de l'avenir et à partir de là, on pourra régler les autres problèmes... ”

Scarlett Haddad

SURTITRE-VIE POLITIQUE-Quelle loi électorale pour 2004 ?

TITRE-Le politologue Abdo Saad : la proportionnelle pour une meilleure représentativité

CHAPO-Dans deux ans, sauf imprévu, le Liban sera doté d'un nouveau parlement. Si les politiciens pensent déjà à cette échéance, les autorités, elles, gardent le silence le plus total. Comme s'il ne fallait pas rompre la tradition instaurée depuis 1992, selon laquelle la loi électorale est présentée peu de temps avant le scrutin, pour permettre à "ses parrains" d'en contrôler le déroulement.

Nous avons pourtant, commencé à sonder certaines parties et, après Boutros Harb partisan d'une petite circonscription, voici l'avis de Abdo Saad, politologue sympathisant du Hezbollah qui penche, lui, pour un système de proportionnelle.

TEXTE-Abdo Saad peut parler pendant des heures de son projet de système électoral. D'autant qu'il est, affirme-t-il, le fruit d'une longue réflexion et d'une riche expérience. Originaire du Sud, Saad a en effet, activement participé à la mise sur pied de la machine électorale du Hezbollah. Mais il jure que son projet ne vise en rien à favoriser celui-ci, mais à assurer une meilleure représentativité. *"Toute la classe politique se dispute sur la taille de la circonscription, mais à mon avis, c'est le mode du scrutin qui est le plus important. Le système actuel assure une représentativité à 40%, car la loi majoritaire ne permet pas à toutes les parties d'avoir un poids électoral. Prenons l'exemple du PCL qui peut regrouper au total quelque 25 000 voix au Liban sud. Comme ces voix ne sont pas concentrées en un seul lieu, si l'on adopte la petite circonscription, les voix sont dispersées et l'influence du PCL est quasiment nulle. Et, dans le cas d'une grande circonscription, il ne fait pas non plus le poids face aux grands groupes : Hariri, Hezbollah, Amal"*.

INTERTITRE-La dimension de la circonscription importe peu

Selon le politologue, le découpage de 2000 visait à affaiblir l'actuel président du conseil et le leader du PSP : Hariri voulait deux circonscriptions au plus à Beyrouth et Joumblatt voulait que Aley et le Chouf ne soient pas reliés à Baabda. Les autres forces avaient besoin d'alliances pour remporter les sièges. Selon ceux qui ont suivi sur le terrain la campagne au Sud, sans l'intervention des Syriens, le Hezbollah aurait raflé tous les sièges d'autant qu'il a plus de possibilités d'alliances que Amal.

Pour éviter de telles situations, Saad préconise un système de proportionnelle, basée sur une seule circonscription, même si en définitive, la dimension de la circonscription importe peu. *“ Je sais, cela effraie les chrétiens, mais cela ne devrait pas ”*, précise Saad.

La plus grosse erreur serait, à ses yeux, de négliger le découpage confessionnel, *“ car cela entraînerait un plus grand sentiment d'appartenance confessionnelle. C'est pourquoi, même si les sièges maronite de Tripoli et protestant de Beyrouth ne semblent pas très justifiés, il faut les garder pour ne pas remettre en cause la stabilité politique ”*.

La démarche est simple : pour éliminer la situation confessionnelle, il faut que les confessions se sentent rassurées et pour cela, elles doivent se sentir représentées de façon juste.

Selon Saad, il y avait pratiquement 1200000 électeurs inscrits en 2000, dont près de 400000 chrétiens et les autres musulmans. Toujours selon lui, ce déséquilibre n'a rien à voir avec des questions politiques. Il est dû à l'émigration qui est plus importante chez les chrétiens que chez les autres communautés.

INTERTITRE-Limiter les interventions étrangères

Le système actuel a pour résultat que les députés chrétiens sur les listes d'Amal et du Hezbollah représentent les forces politiques qui les appuient non leurs communautés. C'est donc ce qui doit changer.

Comment ?

Saad propose de garder le mohafazt comme circonscription électorale mais d'imposer le système de listes fermées, c'est-à-dire non susceptibles d'être modifiées par l'électeur. (Sans panachage). N'est-ce pas une limitation à la liberté de vote ? *“ Non, répond Saad. Il s'agit simplement d'habituer l'électeur à voter pour une politique, non pour une*

personne. Ainsi, l'intérêt commun est favorisé aux dépens de l'intérêt personnel et cela crée une culture politique à la place du sentiment confessionnel”.

Dans ce projet, la liste est formée par un parti et ses alliés. Celle qui remporte 30% des voix obtiendra 30% des sièges de la circonscription, avec un minimum : obtenir 10% des voix.

En choisissant sa liste, chaque électeur mettra une croix devant son favori sur la liste et cela permettra de déterminer la tête de liste et ceux qui la suivent. Selon son auteur, ce système favorise l'émergence de partis et permet à chaque voix d'être importante. De même, il limite les interventions extérieures : par exemple, si tel pôle politique veut imposer son candidat sur une liste, il y figurera mais s'il n'a pas d'électeurs, il n'obtiendra les petites croix qui lui permettront d'être choisi dans le pourcentage. Cela peut paraître compliqué, reconnaît Saad, mais il affirme que son système est le plus moderne et le plus en mesure d'assurer une bonne représentativité. C'est peut-être pour cette raison qu'il ne sera pas retenu...

استقصاء حول حجم الدائرة الانتخابية

مقابلات

طوني جورج عطالله

مقابلة مع النائب قيصر معوض

في مجلس النواب في 2001/11/28

تشمل دائرتنا في الشمال اليوم زغرتا وطرابلس والمنية فقط، دون الضنية، الكورة والبترون. والضنية تم وصلها مع بشري وعكار. ان حجم الدائرة ليس مسألة آلية أو اوتوماتيكية. وقبل ان أدخل في الحجم الجغرافي الأنسب يقتضي أن نطرح سؤالاً حول ماذا نريد من قانون الانتخاب؟ إذا عرفنا الجواب نستطيع الوصول إلى اشياء اخرى.

بتقديري ان الانتخابات هي حجر الزاوية في أي حياة سياسية في البلد، لأنه عبر الانتخابات يُفسح المجال لتجديد الطاقم السياسي، ومحاولة تمثيل الناس بأصدق ما يكون، وفي نفس الوقت إعطاء القاعدة الشعبية إمكانية تجديد النخب الممثلة لها. إضافة إلى هذه المميزات التي يعترف بها الجميع، هناك ميزة ثالثة في لبنان يفترض ان تطرح وهي الحفاظ على تمثيل كل الشرائح والفئات المجتمعية. بأي معنى؟

الديموقراطية في لبنان هي توافقية ويفهم من ضمنها ان التمثيل لا يقتصر على الطوائف، بل المذاهب وصولاً إلى المناطق. والدستور واضح في هذا المجال حيث ينص في المادة 24 على ضرورة المناصفة في التمثيل بين الطوائف المسيحية والاسلامية، وعلى التمثيل النسبي ضمن هذه الطوائف، وعلى التوزيع النسبي بين المناطق. وفق هذه الذهنية يقتضي مقارنة الموضوع،

وليس فقط إنطلاقاً من تمثيل الناس بصورة مطلقة، ولا من إمكانية تجديد النخب فحسب، بقدر ما أيضاً تمثيل المذاهب والطوائف والمناطق كما نص عليه الدستور.

من هذه الزاوية نرى ان وضع لبنان المتميز يفترض وجود قانون متميز عن غيره. نحن لسنا مجتمع متجانس بل خليط من المذاهب والطوائف والعشائر والعصبيات التي يفترض مراعاتها في قانون الانتخاب. بالطبع الدستور اللبناني نص على وجوب إجراء الانتخابات على اساس المحافظة، وهي تُحدّد بتقسيم إداري جديد مع مراعاة قاعدة العيش المشترك. إذا أردنا الانطلاق من هذه الفكرة نقول بأنه حُدّد سلفاً قانون الانتخاب الذي يفترض ان يكون على اساس المحافظة والتي يتمّ تحديدها من جديد. لكنني اعتقد انه يقتضي علينا ألا نكون صنميين، وغير جامدين في خياراتنا السياسية، بل ان نحاول معرفة كل خيار، وماذا يمكنه ان يوفر لنا من إمكانية بالفعل لحسن تمثيل الناس وتعبير كل فئة وشريحة إجتماعية عن موقفها ومصالحها.

أول مشروع يُطرح للناس هو مشروع الدائرة الكبرى، أي اعتماد لبنان دائرة واحدة، وإن أحياناً قالوا بقانون أكثرى أو نسبي. أنا برأيي ان هذا المشروع خطير بحد ذاته، لأنه تحت ستار "الإنصهار الوطني" سوف نجرّ كل الطوائف وكأنها مكبلة امام التحقيق. لا يمكن بمثل هذا ان يتحقق الانصهار. وهذا الشكل هو محاولة لتصوير كل الطوائف والمذاهب في لبنان وكأنها ضد الوفاق الوطني، وأن مصلحتها تقتضي ان تختلف بين بعضها. برأيي هذا استخفاف بعقول الناس، وتشكيك بحسن نوايا الطوائف ومحاولة مصطنعة لفرض وفاق لأن المسألة لا تأتي طبيعية. وخصوصاً ان هذا المشروع إذا ما طرح فإنه يفتقد إلى المقومات الاساسية. ماذا أقصد بهذه المقومات؟

كيف سيكون هناك لائحة على صعيد لبنان ككل، وفي لبنان لا يوجد احزاب بالمعنى الحقيقي؟ وكيف يكون لها طابع وطني تشمل كل المناطق والطوائف؟ هناك احزاب للشيعه، واخرى للسنة، وثالثة للمسيحيين، وهناك بعض الاحزاب العلمانية دون شك، لكن حجمها وإمكانية خوضها هذه المعركة الانتخابية تصبح مستحيلة. وإذا كان اللبنانيون عانوا من أمر في التجارب الانتخابية الثلاث السابقة، فما من شك أننا عانينا مما يشمى مفهوم البوسطة. وفي الدائرة الوطنية الواحدة سيكون لنا قطار، والذي لا يستلحق بحاله يطلع خارج التركيبة السياسية، وهذا أمر خطير.

إذاً لا وجود لاحزاب، وأخشى انه في هذه الوضعية ان تركب تركيبات بحيث يؤتى إلى هذه اللوائح بأشخاص لا يتمتعون بثقل شعبي، لكن المناخ العام يساعد على وصول مرشحي ضعيفي التمثيل والغاء شرائح واسعة من الناس سواء يمثلون طوائف أو احزاب علمانية موجودة على الارض. الأمر الأخطر انه هل نحن، حتى في تجربتنا الانتخابية السابقة، كانت الاحزاب متجانسة بكل المعنى الحقيقي؟ لنأخذ كل محافظة على حدا، وأعطي أمثلة: محافظة الشمال ضمن الحزب الواحد كان هناك أشخاص كثيرون متمردين على قرار حزيمهم وتقدموا بترشيحاتهم. نبدأ بالحزب القومي، مروراً بالجماعة الاسلامية وصولاً إلى الحزب الشيوعي. هذه ظواهر تجعلنا نقول ان اللائحة الكبيرة على صعيد لبنان ككل ستكون محاولة فرض أكثرية عديدة على مجموعات، وليس أكثرية ديموقراطية توافقية كما هو معمول به في لبنان. وسيكون قسم كبير ممن سيأتون بعيدين عن هموم الناس ولا يعرفون مشاكلهم الفعلية.

بالطبع يبقى حل آخر، وهو النقيض الذي يُطرح، انه ما دام تكبير حجم الدائرة لا يجعل الامور تستقيم، فلنطرح الدائرة الفردية. انا بتصوري ان الدائرة الفردية ستمثل الناس ربما بالمعنى المباشر، وبصورة أصدق من غيرها، لكنها تحمل بذوراً سلبية جداً. أول هذه السلبيات انه سيكون الانتخاب متأثراً جداً بعنصر العصبية المذهبية والقبلية في بعض المناطق. وسيكون هناك تأثير أكبر لعنصر المال لأن الدائرة عندما تصغر يصبح سهلاً شراء الناس. وسيكون الأمر الآخر تحجيم لدور النائب من مشرع على الصعيد الوطني، وجعله معقب معاملات ومسهل لمعاملات غير قانونية وغير شرعية كي يزيد عدد زبائنه في الدائرة الصغرى.

كل هذه العوامل لا تجعلنا نصل إلى حل. لا شعار دائرة لبنان الكبرى يعطينا التوجهات المطلوبة، ولا الدائرة الصغرى توصلنا إلى رحاب الوطن بل تبقينا في رحاب الطائفة أو القبيلة أو العشيرة الصغيرة.

ما هي الحلول الوسط المقترحة بين الاثنين؟ اعتبر ان الدائرة الوسطى قد تكون الحل. ليس بالضرورة الدائرة-المحافظة، بل يمكن ان تكون محافظات أصغر من المحافظات المعروفة. يمكن اعتماد ما بين 10 إلى 14 محافظة بشرط ان يتوفر فيها على الأقل بعض الاختلاط المذهبي والطائفي كي نستطيع بطريقة من الطرق لجم بعض الخطابات والدعوات الطائفية والمذهبية. ولا أقول ان هذا يلغي الطائفية والمذهبية، لكنه سيكون عنصراً مساعداً بهذا الحل.

على صعيد الدائرة الوسطى ما من شك بأنه سيبقى دور كبير للمال كما لاحظنا في الدوائر السابقة. سيكون هناك دور مهم لمن سيكون من ركب المجدلة أو البوسطة، وللتدخلات سواء من السلطة العليا أو الطرف الإقليمي. من هنا حتى هذا الحل بالنسبة لي ليس الحل المثالي. إذا أردنا بالفعل حلاً مثالياً، الدائرة الوسطى هي جزء من هذا الحل، لكن من المفروض ان تتوافق مع تغيير في كيفية الاقتراع بالنسبة للناخب. وهنا أقصد بكيفية الاقتراع ليس بالضرورة التأهيل على مرحلتين كما كان يُطرح، بقدر ما هو إعطاء الناخب حق الاقتراع لقسم من اللائحة وليس لكل اللائحة. يعني انه في دائرة من عشرة مقاعد يحق للناخب الاقتراع لأربعة أو ستة مرشحين مع المحافظة على التوزيع الطائفي. هذه الطريقة تشكل حلاً وسطاً ما بين النسبية التي يصعب كثيراً تطبيقها على الواقع اللبناني، وبين التصويت الأكثر الذي يأتي حالياً ليغني الكثير من القوى السياسية والفاعليات. هذه الطريقة هي مرادفة أو شبيهة بمبدأ النسبية، وهي أسهل لفهم المواطن، لأننا إذا طرحنا في المستقبل لائحة على اساس المبدأ النسبي، لا أعرف كيف ستكون وفقاً للأضلع الثلاثة للخيارات (الطائفة والمذهب والمناطق) لا أعرف كيف ستكون عملية الاحتساب، معقدة جداً وتفوق إمكانيات غالبية الناس بتحليل هذه الظاهرة وفهمها. اعتقد انه عندما نعطي الناخب خيارات انتخاب أقل من العدد المطلوب يمكن ان نكون قد اقتربنا من النسبية، عندها تستطيع اللائحة ان تلعب دور توجيه لكنها حتماً لا ترفع مرشحين منعدمي الجمهور، بل توصل نواباً لديهم حضور واحترام بين الناس.

برأيي انه من خلال طرح موضوع الجغرافيا الانتخابية نعالج جزءاً صغيراً جداً من المشكلة الحقيقية.

سؤال: هل يمكن ربط الجغرافيا بالنفقات الانتخابية؟ كم هي الكلفة على مستوى

المحافظة بالمقارنة مع القضاء؟ وهل يمكن ربط الجغرافيا بالإعلام؟

هذا ما كنت اود قوله. يعني انه يجب ألا نعطي فقط أهمية لحجم الدائرة الانتخابية لأن هناك مؤشرات اخرى تتوافق معه ويفترض ان تؤخذ بعين الاعتبار. وأصراً على ما قلته عن الميزانية وكم يحق للمرشح ان ينفق على الإعلام. أُصرّ على اعتماد حل وسط بين القانون الأكثر الذي هو جائر في لبنان لا بل ظالم، وبين القانون النسبي الذي يصعب تأمين القبول به. لذا يُفترض إيجاد حل وسط إما بطريقة اخرى بواسطة الاحتساب، أي توضع علامات للائحة

ومن خلالها توضع علامات لكل مرشح على غرار ما يحصل في بعض البلدان ومنها المانيا حيث يقترح الناخب للائحة، فإذا حصلت على 50 أو 60% من الاصوات يكون نصيبها 50 او 60% من المقاعد. يُعتمد الـ Vote préférentiel للائحة باختيار بعض الاسماء، وهو ما يجعل المرشح مخلواً كي يصبح نائباً عن منطقة، وتمثيلها. في لبنان، لا وجود لاحزاب في أكثر المناطق تتمتع بشمولية التمثيل، لذلك سنقع مشكلة كبيرة: من سيكون قبل الآخر في قانون النسبية. هذا أمر يكفي لمنع تركيب لوائح. المطلوب ان يكون هناك مع التصويت للائحة، ان يُحصر حق الناخب بالتصويت لاربعة او ستة من أصل عشرة مرشحين، أو اعتماد الـ Vote préférentiel بمعنى ان يختار الناخب مرشحاً من هذه الطائفة ومرشحاً من الطائفة الاخرى، والناس يضعون التراتبية للوائح وليس القيادات التي تولف هذه اللوائح. ان هذه المسألة سوف تُطرح في حال قررنا اعتماد قانون نسبي: من يضع الأولويات؟ من يحل في المرتبة الاولى أو الثانية أو الاخيرة؟ لا يمكن ترك الامور لاستنسابية مؤلفي اللوائح، وإلا سنقع في مشكلة كبيرة تكسّر إقطاعات جديدة، وسنكسّر تدخلات جديدة. وهذا أمر خطير.

المفروض إذا أُريد تطبيق الدائرة الوسطى، ولم يُرد لوائح مغلقة، يجب عندها الأخذ بمبدأ الـ Vote préférentiel الذي بموجبه يقترح الناخبون للائحة. وبحسب نسبة الاقتراع يختار الناس من يريدون ممثلين لهم في السلطة.

وكي نصل للقانون الأمثل، من المهم جداً ان نتحدث في الجغرافيا الانتخابية، وفي تحديد كلفة المعركة الانتخابية واستعمال وسائل الاعلام. لكن الأهم هو وجود ضرورة جدية لإصدار قانون جديد للجمعيات والاحزاب يُشكّل المدماك الأول في الرحلة الطويلة على طريق اصدار قانون جديد للانتخابات. وإذا لم يكن هناك قانون جديد للاحزاب ولتشجيع الناس على العمل الحزبي، فإننا لا نكون فعلنا شيئاً. حتى وإن عدلنا في قوانين الانتخاب سنبقى دون طموحات النخبة التي تفكر بتغيير شيء في البلاد. قانون الانتخاب يُفترض ان يرافقه قبلاً ومنذ اليوم قانون جديد للاحزاب. وهذا حلم كبير أتمنى ان يتحقق حيث يُفترض ان يؤمن شفافية في تمويل الاحزاب والشخصيات الحزبية. وهذه مشكلة كبيرة في لبنان، وهناك علامات استهتام كبيرة حول مداخلها. إذا أردنا تطبيق القانون كما يتم تطبيقه في اوروبا، هناك الكثير من الشخصيات

والاحزاب تدخل تحت المجهر وتحت علامات الشك. ولا اعتقد ان الطاقم السياسي سيسمح بمثل هكذا خيار.

هل لمسألة الجغرافيا من ارتباط بمشكلة المداخلات والنفوذ الخارجي في لبنان؟ أكيد، أولاً اعتبر كل قانون انتخاب هو قانون منتج لطبقة سياسية. فلا يمكن لهذه الطبقة التي سيُقر القانون في ايامها إلا أن تراعي مصالحها. وأرفض فقط التفكير أن القضية تتعلق بمداخلات خارجية. وأصر أن هناك مداخلات داخلية ويمكن في بعض الظروف ان تُحدث مداخلات خارجية. لكن علينا في الاساس العودة إلى قانون الانتخاب اللبناني قبل ان تكون المداخلات الخارجية وجدت بعد. هذا القانون أصبح معدلاً منذ ان بدأ اللبنانيون بالاقتراع احدى عشرة مرة. ولم يكن التأثير الاجنبي موجوداً في كل هذه المرات. هناك مصالح الطبقة الحاكمة وكيفية المحافظة عليها. قانون الانتخاب هو صورة عن ميزان القوى السائد لدى الطبقة السياسية. فهذه الطبقة السياسية التي تريد إعادة انتاج نفسها ستنتج قانون انتخاب على قياسها. ولن يكون إطلاقاً قانون الانتخاب على قدر طموحات الناس. هذا القانون سيكون لخدمة مصالح الطبقة الحاكمة، ولهذا السبب أؤكد انه ليس فقط الاجنبيين بل ستبدأ العملية بالضرورة في المصالح الحالية. وإذا عدنا إلى أيام الاستقلال ونظرنا كيف رُسمت الخرائط الانتخابية، سأعطي أمثلة ملموسة حول طريقة التقسيم الانتخابي: قضاء الضنية ألصق به 6 قرى مسيحية لا طريق مشترك لها مع الضنية ولا أية وسيلة اتصال. وهذه القرى موجودة ضمن قضاء زغرتا. كان الهدف من وراء هذا التقطيع إعطاء زغرتا دور في انتخابات معينة في قضاء الضنية. والقرى الست تمثل أكثر من ألف ناخب في تلك الفترة، وهي تحت السيطرة الزغرتاوية وطرفاتها تمر بزغرتا ودورتها الاقتصادية مرتبطة بزغرتا. نأخذ في المقابل قرية مرياطة وهي اساسية في قضاء زغرتا، من ينظر كيف تمّ دمجها لا بد له أن يتأكد بنفسه كيف أُريد ترك مواقع نفوذ لبعض الاطراف. وأقول انه من المؤكد في أي قانون انتخاب ان تتدخل السلطة ومن يكون وراء السلطة كي أكون أوضح في التعبير.

هل ان تكبير حجم الدائرة يشكّل فشلاً لمقولة "الاندماج الوطني"؟ جوابي سيكون مفاجئاً. انا ضد تعبير "انصهار وطني" لأن الانصهار يعني ان تأتي بعدة معادن مختلفة لسكها في كتلة واحدة. ورأيت ان المجتمع اللبناني ليس مفروضاً ان يكون كتلة واحدة بل ان يكون

هناك تنوع ضمن الوحدة. وهذا يأتي طبيعياً إذا كان هناك وعاء. قناعاتي التي جعلت منها شعاراً رئيسياً في الانتخابات تمحورت حول المقولة الآتية: ان الوعاء الذي يضبط هذه الطوائف هو وجود الدولة. قناعاتي السياسية وقناعاتي العميقة انه في لبنان ليس هناك دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة. هناك سلطة سياسية لكن ليس هناك دولة بمعناها الجامع والراعي لشؤون المواطنين. بهذه الذهنية أقول ان لا يمكن ان نتصور حصول انصهار إذا لم يكن له من وعاء. مع قناعاتي اساساً انه ليس مطلوباً الانصهار بل الوحدة ضمن التنوع. وهذه الوحدة نصل إليها بوعي ومحبة وشعور بأن كل لبناني نال حقوقه. لكن هذه المرحلة بالنسبة لي، وانا شخص في الدولة والسلطة أتحدث وبرأيي اننا ما زلنا بعيدين جداً عن مفهوم الدولة الحقيقية التي نريد ان نغيّر من خلالها كي نصير أشبه بالدول الديمقراطية الحرة.

سؤال: هل تعتقد ان الفرز المصطنع الذي حصل وكذلك الدمج المصطنع، كما في بشري ومرياطة، يؤثران على التصويت وخيارات الناخبين؟ هل يؤديان إلى تحقيق الهدف الذي وُضعت الانتخابات تحت شعاره أي "تحقيق الانصهار الوطني"، أم انهما يؤججان أكثر العصبية الطائفية والمذهبية؟

ما من شك. ونحن اعترفنا بداية ان كل الدولة اللبنانية مبنية على الوفاق. وحتى ديموقراطيتنا وفاقية وليست عددية. وكل قانون إذا لم يصب في هذا الهدف فإنه يكون أولاً ضد روحية الطائف الذي نصر في أكثر من فقرة، في المقدمة وفي متنه، ام كل ما لا يخدم العيش المشترك يعتبر خرقاً للدستور. ثانياً، إذا قانون الانتخاب جاء ليستثني بعض الاطراف أو ليجعلها تشعر بأنه لن يكون لديها أي افق في التمثيل السياسي، سيؤدي إلى عاملين: الحقد. والخروج على الدولة بأشكال عدة، ولاحظنا كيف كانت تجربة المرحلة الاستقلالية منذ 1943 إلى 1975 عندما شعر المسلمون بالغبن وغيره وكيف خرجوا على السلطة وطالبوا بحقوقهم بمختلف الاشكال منها الديمقراطية ومنها الاسلحة. وفي نفس الوقت علينا ان نفكر أيضاً ان قمع أي مجموعة سياسية أو طائفية جديدة سيؤدي إلى خروج عن الدولة وتباعد بين المواطن ودولته.

من جهة اخرى، إذا لم يولد ذلك الحقد سيولد ظاهرة اخرى هي الاستكاف والاحباط الذي يؤدي إلى الابتعاد عن الحياة السياسية والمشاركة فيها. وهكذا تزيد الهوة الموجودة أصلاً بين الدولة والمواطن وبين العمل السياسي ككل والمواطنين.

سؤال: أفهم من موقفك ان لست مع المحافظة بل مع دائرة انتخابية هي دون المحافظة حجماً، وربما هذا ما قصده المشرع في اتفاق الطائف الذي صحيح انه نص على المحافظة لكنه أوضح بعبارة: بعد إعاءة النظر بالتقسيمات الحالية؟

موقفي مؤيد للدائرة الوسطى. نتمنى إذا كان لا بد من القانون الأكثرى، ان يحق للمواطن انتخاب عدد أقل من المرشحين مما كانوا ينتخبون حتى اليوم. وفي حال تم الاصرار على النسبية فليكن هناك مع النسبة التي تأخذها اللائحة انتخاب اختياري للمرشحين أي Vote préférentiel، أي يختار المواطن عند اقتراعه للائحة من هم المرشحين الذي يفضلهم على غيرهم في هذه اللائحة. بهذه الطريقة تكون قد حفظنا حق كل القوى، وحافظنا على النسبية، وضمن النسبية الحؤول دون الوقوع في مشكلة الاستتساب الذي يتمتع به رئيس اللائحة، وتالياً إبعاد دور المال و الضغوط الاجنبية على اختيار الاوائل بين المرشحين.

أود ان اشكركم على فتح باب الحوار باكراً حول قانون الانتخابات، خصوصاً اننا نعلم ان هذا الموضوع يفترض ضغطاً شعبياً جدياً لمحاولة إصلاح بعض ما يمكن إصلاحه، لأنني كما ذكرت من قبل ان الطبقة السياسية لن تسمح بسهولة في الوصول إلى قانون يلغي دورها أو يهّمشها، خصوصاً انها تريد ان تبقى ممسكة بمفاصل كل الحياة السياسية في البلد. ونحن علينا واجب ان نقوم بحملة توعية يومية مع الناس وبمشاركة المؤسسات الاهلية على الأقل لإجراج السلطة، وإجبارها على الإفراج عن قانون انتخاب مبكراً، وليس ان نترك الاشهر الاخيرة حيث يكون المواطن ضائع والمرشحين الجديين ضائعين ايضاً في طريقة خوض المعركة.

سؤال: يظهر علم النفس السياسي ان الدائرة الصغرى حتى وإن كانت متجانسة طائفيًا، فإن التنافس داخل الطائفة الواحدة يكسر الانغلاق الطائفي، ومن المشكوك فيه ان تكبير الدائرة يؤدي حتماً إلى الاعتدال في الخطاب السياسي. بل على العكس لأن الانغلاق والخطاب الطائفيين يمكن ان يبرزوا في دوائر كبرى. حتى وإن صغّرنا لا ننتج خطاباً ينطوي على مزيدة أو تطرف، فما رأيك؟

ما من شك أنني أصرّيت في البدء على القول أننا لا نريد ان نصل إلى وفاق وطني عبر قانون الانتخاب. بالعكس، من المفترض ان قانون الانتخاب مرآة للوفاق الوطني وليس العكس. لأنه لا يمكن استعمال القوة مع الناس للوصول إلى وفاق وطني بل ما يفرضه هو

مجموعة قضايا من تنشئة وطنية صحيحة إلى شعور بمفهوم الوطنية الذي هو مفقود اليوم حيث نحن أتباع لطائفة أو لمذهب أو لمنطقة أو لعشيرة، ولسنا مواطنين في دولة. لهذا السبب يجب ألا نحمل قانون الانتخاب هذا الشيء. لكن ليس معنى ذلك ان قانون الانتخاب لا دور له. الدائرة الصغرى تنطوي على مخاطر ان يكون للمال فيها دوراً بارزاً، وكذلك الصراعات العشائرية. لاحظنا خلال معارك الانتخابات البلدية وما أفرزته في بعض البلدات الكبرى، كل عائلة كان لها لائحتها وهذه مسألة ليست سهلة. ثم ان خطورتها تكمن في ان الخطاب الوطني يأتي في المرتبة الثانية في الدائرة الصغرى، بينما في دائرة أوسع نحرر النائب أو المرشح من ان يكون مجرد معقب معاملات أو ان يقضي وقته في الواجبات الاجتماعية والتعازي، وفي حل مشاكل غير قانونية صغيرة على صعيد الدائرة. في حين أننا إذا كَبَرْنَا الدائرة يصبح دور هذه المشاكل ثانوياً. لا يلغى وجودها دون شك، لكن دورها يتحجّم. وأقول انه إذا وجدت دائرة أكبر قليلاً لا يعود هناك من دور للائحة بالمفهوم الذي نعرفه، أي يُحْمَلُ رئيسها معه من يشاء، ويكون للمواطن حق الـ Vote préférentiel ونكون قد لجمنا كثيراً من الإنحرافات.

دون شك نحن تجربتنا في الشمال مميزة. فالشمال يتمتع بميزة اساسية جداً: ربما نحن انتهينا من الحرب قبل غيرنا من اللبنانيين، لكن هناك توازن في التوزيع الديموغرافي للناس خصوصاً على صعيد الطوائف الكبرى بين الموارنة والسنة. وهناك حد أدنى من التوازن. وإذا أخذنا في عين الاعتبار العديدة، نلاحظ ان النسبة بالفعل ليست بعيدة عن بعضها. التوازن موجود. وهذا أثر كثيراً على الخطاب السياسي. هذا الخطاب معتدل جداً في الشمال لأن المرشح إلى أي طائفة انتمى هو بحاجة إلى كسب رأي كل المواطنين الشماليين. ولهذا السبب كان خطاباً على كثير من العقلانية عند كل الاطراف بما فيها تلك التي كُنَّا نسميها في السابق أصولية. هذا يلعب دوراً لكن وحده ليس كافياً، وأنا أصرّ على ذلك.

سؤال: من خلال إطلاعك على نتائج التصويت في الاقلام، هل تعتقد بوجود بعض المواقع في لبنان يجري فيها التصويت على أسس طائفية؟ هل في زغرنا مثلاً صوت بعض المواطنين لـ 28 مرشح ماروني أو في طرابلس حدث هذا الامر بالنسبة لبعض السنة أم لا؟

طبعاً الناخب يعلم انه يحق له التصويت لعدد معين. وما من شك بأنه في الشمال كانت هناك ميزة كبيرة حيث سادت اجواء معركة سياسية طاحنة، والناس اقتنعوا للوائح ولم

يقترعون مرّات كثيرة لاشخاص. سأعطي مثلاً فاقعاً جداً: في منطقة زغرتا، الجماعة الإسلامية بحكم وجود مرشحيتها في اللائحة الاولى التي هي لائحتنا نالوا 11 صوت اي أكثر بكثير من المرشحين الموارنة، وتاماماً مثلما أخذنا نحن أبناء زغرتا. لم يكن هناك تمييز لأن المعركة اتخذت طابعاً سياسياً حاداً حيث كان هناك لائحتين متقابلتين. لكنه لو كان هناك جو من الاسترخاء السياسي بين اللوائح، لربما كان وجد ميل لدى الناخبين للاهتمام فقط بمرشحي الدائرة الصغرى فيصوتون لمرشحي القضاء الذي يسكنون فيه ولا يهتمون بالبقية ويقولون: "ليصل من يصل". هذه المعركة كان فيها من التحدي ما يكفي ان نزلت نسبة أكثر من 60% أوراق للوائح بكاملها. بالطبع هناك إيجابية بالنسبة للأقطاب الذين بإمكانهم القول بأنهم يجيرون الاصوات، ولكن بالنسبة لي على المدى البعيد فإنها تحدّ من حرية الناخب، فضلاً عن الاستخفاف به. وبصراحة قد يصل مرات بعض المرشحين إلى مواقع النيابة وهم لا يتمتعون بقاعدة شعبية على حساب آخرين يتمتعون بقواعد ناخبة لأن القانون الأكثرى الموجود يبرّج حصول هذا الامر. لنفترض مثلاً ان لائحتنا حصلت على 60% من الاصوات، واللائحة الاخرى حصلت على 40%. نحن تمثنا بنسبة 90% وهم تمثلوا بنسبة 10%. هذا فيه ظلم! وهذا ما يلغي كل القوى السياسية الاخرى من ان يكون لها وجود فعلي في لائحة ثالثة لأن القانون الغاها. هناك الكثير من القوى التي تمثل 10 أو 15% من الاصوات والتي لم تتمكن من أن تتمثل في المجلس النيابي. وهذه مسألة واضحة. إذا نظرنا إلى الاحزاب الموجودة على الساحة اللبنانية فإن معظمها لم يتمثل باستثناء الاحزاب التي في القطر أو البوسطة أو البولمان إذا كانت الدائرة كبيرة كما في الجنوب وغيره.

سؤال: في الدوائر التي فيها 5 أو 6 مقاعد تركب فيها لوائح-محادل. للخروج من هذا المأزق هناك احتمالان: إما تصغير حجم الدائرة وتقليص عدد النواب، أو اعتماد دائرة متوسطة وتقييد حق الناخب في الاقتراع لعدد محصور من المرشحين. ما رأيك؟

بالطبع مع احترام التوزيع الطائفي فإذا كان العدد 6 يفترض ان يكون للناخب حق انتخاب 3 مسيحيين و3 مسلمين إذا كان العدد متساوٍ ويلزم المواطن تنويع لائحتة واختيار مرشحيه دون إمكانية وجود محادل. وكذلك اعطينا الناخب حق التصويت لـ 6 مرشحين من اصل 10 في الدائرة فلا يمكن تركيب محدلة حيث ان الاربعة الاقوياء فيلا اللائحة المقابلة سيفوزون.

مقابلة مع الوزير والنائب السابق الدكتور البير منصور
في مكتبه، الرملة البيضاء، مقابل فندق الكارلتون في 2001/11/27

سؤال: ما هي برأيك أفضل دائرة انتخابية يمكن ان تحقق شروط التمثيل الديمقراطي

في لبنان؟

قبل الدائرة الانتخابية لا بد من تحديد النظام الانتخابي. إذا كان النظام الذي يُراد تطبيقه هو الأكثرية فإنه من دون أدنى شك تعتبر الدائرة الفردية هي الأفضل بالنسبة للنظام الأكثرية، لأن دمج نظام اللوائح مع النظام الأكثرية هي عملية مسيئة ولا تعبر بدقة عن صحة التمثيل. وتعطي انطباعاً سيئاً ويكمن ان تشوّه مجمل التمثيل الشعبي الصحيح. الدائرة الفردية هي المعبر الصحيح والدقيق عن التمثيل الشعبي لأن لدينا تجارب واضحة مرّت علينا في الانتخابات اللبنانية منذ سنة 1960 إلى اليوم. الدوائر الكبيرة نسبياً دائماً كنّا نلاحظ فيها ان قوة سياسية ما تتمتع ببعض الشعبية تصادر تمثيل الآخرين والقوى السياسية الاخرى. الأمثلة معروفة على طريقة "أمل" و"حزب الله" في الجنوب وبعلمك-الهرمل، وبعض القوى التقليدية في عدد من المناطق.

ولذلك طموح النظام الاكثري في لبنان يجب ان يكون في اتجاه الدائرة الفردية. قد يكون في البداية بعض الصعوبات لجهة التوزيع، علماً بأنني لا اعتقد بوجود صعوبات كبيرة لتوزيع الدوائر الفردية باعتبار ان التجربة حصلت في لبنان سنة 1953. الرئيس كميل شمعون عمل من لبنان 44 دائرة انتخابية، وطبعاً كانت 90% منها فردية. في بعض الدوائر كان يُنتخب أكثر من نائب ولكن غالبيتها كانت دوائر فردية. واليوم ممكن هذا الامر وإن وجدت صعوبات أنا لا اراها مطلقاً في توزيع الدوائر الفردية. يمكن التوجه نحو الدائرة الأصغر، أي نحو تحالفات ضمن الدائرة الانتخابية الواحدة لا تشوّه التمثيل. فلا يبقى في دائرة قوى سياسية تحمل على كتفها مرشحين لا علاقة لهم بالناخبين. وهذا أمر ممكن جداً.

غالبية الدوائر التي كانت وفقاً لقانون سنة 1960 على الاقضية يمكن تقسيمها وتصغير هذه الدوائر. أولاً، اعتماد القضاء بحسب ما هو حالياً وتقسيم الدوائر الانتخابية ضمن القضاء حيث ما يمكن ذلك. وهذا أمر ميسور. والبحث في التقسيم يجب ان يدور حول الوحدة

المجتمعية التي تكونها المجموعات. ان يُفرض على هذه المجموعات نائب من غير طائفة، فهذا ليس مهماً في رأيي، لأن الموضوع هو اختيار تمثيل أي اختيار سياسي. وتالياً يمكن ان يكون نائب مسيحي عن منطقة شيعية، ويمكن ان يكون نائب شيعي عن منطقة مسيحية. لا عمّ لأن التمثيل سياسي، وتالياً ليس مطلوباً تمثيل الطوائف كطوائف. المهم هو تمثيل رأي المواطنين الموجودين في منطقة ما.

قد يُدلى بعددٍ من الحجج على طريقة انه في بعض المناطق الصافية طائفيًا، ان هذا الامر يعزز الطائفية. الواقع هو العكس تماماً، لأن أنجح مكان لتصغير الدائرة هي الامكنة المتجانسة طائفيًا أو مذهبيًا. والسبب ان الفرز في هذه الدوائر يتحول إلى فرز سياسي وليس طائفي، على اعتبار ان الجميع هم من طائفة واحدة. ولذلك تسقط هذه الحجج فوراً. وفي المناطق المختلطة، إذا كانت الدائرة فردية، يصبح أيضاً الانقسام الطائفي شبه مستحيل، بل على العكس يولد انقسامات سياسية داخل كل طائفة، وهذا أمر مستحسن.

من حسنات الدائرة الفردية بالنسبة للبنان انها أولاً تضعف بقايا القوى السياسية التي كانت تسمى قديماً بالاقطاعية، وهي اصبحت اليوم شبه مندثرة. وأهمية هذه الدائرة انها تمنع مصادرة التمثيل من قبل قوى سياسية طائفية أو مذهبية حديثة ك"أمل" و"حزب الله" والحزب الاشتراكي في الشوف، أو من قبل قوى مالية وطائفية مثل الرئيس رفيق الحريري في بيروت. الدائرة الفردية تمنع هذه المصادرة. وصحيح انها تُعطي أهمية في بعض المناطق لبعض المتمولين حيث يمكن ان يخطر ببالهم بأن لهم مكاناً يترشحون على اساسه. وهذا أمر طبيعي. وعلى المدى الطويل تخلق إمكانية وجود احزاب على الطريقة الحديثة بمعنى لقاء مرشحين من مختلف المناطق حول مصالح مشتركة. أي انها تخلق تدريجياً حلقات من المصالح المشتركة يمكن ان تتركب في احزاب بسرعة وفي المستقبل القريب. وتكون من نمط الاحزاب السياسية الحديثة وليس الاحزاب العقائدية كتلك التي مرّت علينا في لبنان طوال 50 سنة وأدت إلى تدمير الحياة السياسية في النهاية، وحوّلت اللغة السياسية إلى لغة خشب وإلى صراع عقائدي مميت من دون طائل. في حين انه يمكن بناء السياسة على المصالح مما يؤدي إلى تجمعات حزبية من النوع الذي يرافق مصالح الناس وحياتهم اليومية من دون الاهتمام بمصيرهم الماورائي أو التاريخي.

أعتقد ان أفضل دائرة هي الفردية أو الأقرب إليها في ظل النظام الأكثرية.
سؤال: هل يعني انك تقصد بالدائرة الفردية تلك التي ينتخب فيها الناخب لمرشح

واحد؟

نعم هذه الدائرة الفردية التي هي صغيرة الحجم نسبياً، ويُنتخب فيها مرشح واحد نسميها بالفرنسية Uninominal أي ينتخب لإسم واحد. وهذه لها رديف يمكن ان يكون على صعيد وطني عام، أي ان ينتخب كل لبناني مرشح واحد على صعيد لبنان ككل. ثم يُفرض الـ 128 الأول في كل طائفة. وهذا حل معقول. علماً بأن هذه العملية تعطي بُعداً وطنياً للتمثيل كون المرشح يتم اختياره على المستوى الوطني. ويبقى هناك توازن ومساواة بين الناخبين يعني ان الناخب يقترح دائماً لمرشح واحد فقط. كما انه قد يقع بمنزلة المرشح الواحد عن كل طائفة، أي ان يكون الحق لكل لبناني بأن ينتخب لمرشح واحد عن كل طائفة من الطوائف السبعة أو الثمانية الرئيسية. ولكن من الأفضل انتخاب مرشح واحد دون تمييز طائفي أياً كان.

سؤال: هل تعتقد بوجود ارتباط بين حجم الدائرة الانتخابية والمدخلات الخارجية؟

ما من شك ان حجم الدائرة هو ورقة اساسية للتأثير في تزوير الانتخابات، وفي التحكم بنتائجها. ان حجم الدائرة اليوم، وخاصةً في النظام الأكثرية المعتمد في لبنان، هي ورقة اساسية للتأثير في نتائج الانتخابات. أصلاً هي مفصلة وفقاً للقانون الحالي، وكذلك وفقاً للقانون الذي سبقه، على مصالح واضحة لتلبية أجهزة الحكم السوري في لبنان ورغباته والقائمة أولاً على اعتماد الكتلة الاساسية الاولى ممثلة بـ "حزب الله" وحركة "أمل". لذلك أوجدوا دوائر خاصة بهم. إضافة إلى ذلك، القوى التي تعنيهم فضلاً عن وليد جنبلاط ورفيق الحريري وغيرها من القوى. ويتبين أهمية هذا الموضوع من مجموعة الناس "المرکبة" على ظهر "أمل" و"حزب الله"؟ ومن هم الممثلون "المرکبون" على ظهر رفيق الحريري ووليد جنبلاط؟ مما يظهر فوراً النتائج الواضحة. وفي الشمال بصورة أبرز، لأن التقسيم الذي اعتمد هناك واضح للتحكم بنتائج الانتخابات بشكل بارز. يعني كانت عملية مفضوحة ودون حياء لأن التمثيل النيابي اللبناني قارب بعد 1992 التعيين، وذلك بعد ان وصل في مرحلة من المراحل إلى انتخابات تمثل بشكل كبير الشعب اللبناني وكانت ذروتها انتخابات 1972 لسبب بسيط أن اجهزة الدولة كانت غائبة عنها. حاضرة لنتائج انتخابات جيدة ولانتخابات نزيهة، وإنما غائبة من حيث التأثير. كانت الشعبة الثانية قد

ضُربت، والرئيس سليمان فرنجية والعهد عامةً لم يكن قد أمسك بعد بأجهزة الأمن العام فكان شاهداً على صحة الانتخابات في تلك المرحلة. لذلك نرى مجلس عام 1972 تمثلت فيه فعلياً جميع القوى السياسية اللبنانية من دون استثناء، وكانت حاضرة في هذا المجلس. ولم تغب أية قوى سياسية فعلية عن هذا المجلس.

اليوم، هناك تغييب وتعمد باختيار وانتقاء طبقة سياسية من النوع الذي لا علاقة له بتاريخ لبنان وبتاريخ الاستقلال على الأقل لا من قريب ولا من بعيد. وهي إما عقائدية مستوردة من حواضر المنطقة المحيطة والاسلامية، وإما مستحدثة خلال الحرب وميليشياتها. إضافة إلى تحميل القوى السياسية والطائفية والمذهبية لنواب معينين، من قبل السوريين، أدى إلى تضخيم تمثيل بعض الفئات وحجّمت من تمثيل أخرى، أي انها شوّهت التمثيل الشعبي ولذلك يشعر معظم اللبنانيين اليوم بأنهم غير ممثلين في المجلس النيابي، باستثناء عدد قليل جداً. ويمكن الدروز أو سكان الشوف أن يشعروا بأنهم ممثلين بوليد جنبلاط، وجزء من البيروتيين يشعرون انهم ممثلين برفيق الحريري. في الجنوب، هناك إشكال، لأنه رغم تحالف "حزب الله" و"أمل" تشعر مجموعة كبيرة بأنها غير ممثلة في المطلق وبخاصة فئة كبيرة من اليسار اللبناني الذي عمل لفترة طويلة وكان عنصراً أساسياً في القوى السياسية في الجنوب، إضافة إلى السياسيين التقليديين السابقين، إلى العائلات الشيعية التي تعتبر نفسها في غالبيتها غير ممثلة. في البقاع، وخصوصاً في بعلبك الهرمل، هناك مصادرة للتمثيل. هؤلاء الموجودون حالياً لا علاقة لهم بالناس، ليس فقط انهم لا يمثلون شيئاً، بل مفروضين فرضاً، ولا يمثلون حتى مستوى أدنى بكثير من مستوى التمثيل الوسطي. ليست هذه بعلبك-الهرمل ولا حتى البقاع كله.

ماذا تقترح لدائرة بعلبك - الهرمل؟

أولاً بعلبك-الهرمل يقتضي تقسيمها إلى اربعة دوائر على الأقل حالياً اليوم. قضاء الهرمل يقتضي ان يكون قضاءً مستقلاً عن بعلبك، وهو دُمج في الماضي مع بعلبك خدمة للرئيس صبري حماده وبصورة استثنائية أيام الرئيس فؤاد شهاب. قضاء الهرمل يجب ان يكون مستقلاً. وقضاء بعلبك يقتضي ان يكون 3 أو 4 دوائر: شرق بعلبك، غربها، بعلبك، وشمالها. يمكن ان نقسم قضاء بعلبك-الهرمل إلى خمس دوائر. الشوف ايضاً يمكن تقسيمه إلى اربعة أو خمسة دوائر، والتمن كذلك، وكسروان ايضاً، وبعيدا وعاليه، والجنوب إلى ثمانية دوائر.

يخشى البعض من ان يؤدي الذهاب بعيداً في تقطيع الدوائر إلى بروز خطاب يغلب عليه الطابع المحلي لا القضايا الوطنية؟

الخطاب المصلحي المناطقي لم يكن متعارضاً يوماً مع الخطاب الوطني العام والسليم. أولاً لأنه يلتقي مع مصالح الناس وهو أقرب إليها، وأيضاً سيكون هناك حتماً خطاب وطني عام كون هذه المصالح المناطقيّة الإقليميّة سوف تظل على الشأن العام من موقع الدولة. والدولة لا يمكن ان تكون ذات صبغة إقليمية. لذلك حتماً سيكون هناك مشاركة بين الخطابين، لكن الفارق ان الخطاب الإقليمي المناطقي يتخذ أهمية أكبر ويجب ان يأخذ أهمية أكبر بمعنى ألا تذوب مصالح المناطق والناس في المناطق، والتي هي المصالح الحقيقيّة والفعليّة، في عموميات الشأن الوطني العام والسياسة العامة. يجب ان يأخذ حيزاً هاماً حتى ولو ذاب جزء منها، والأمر ليس مضرّاً.

ولا أجد ما هو العاطل في الموضوع إذا برزت حاجات المناطق في شكل أكثر فاعلية من الخطاب السياسي العام. أين هو الخطأ؟ بلى هناك خطأ في رأس كل من يُفكر بأن المجتمع يجب ان يكون على طريقة قضيب الحديد. أي اننا نحن مجموعة ذرات يجب ان تتصهر في قضيب واحد من حديد. ونصبح جميعاً إما قطع كالبهائم، أو غير ذلك. وأصلاً كلمة انصهار وطني هي كلمة خاطئة. المطلوب هو التضامن الوطني وهو لا يكون إلا من مواقع مختلفة دائماً. لا يصح من موقع واحد. مطلوب التضامن، والتوافق والاتفاق والمشاركة والمحافظة على الفرديات، وفي نفس الوقت الالتقاء على العموميات. وإلا نتحوّل إلى قطع.

سؤال: في عهد الرئيس كميل شمعون عندما الدوائر الى 44 دائرة، وجّه البعض مأخذ الى هذا التقسيم وقالوا ان الرئيس شمعون أتى بهذه الدوائر ليجيء بنواب يخدمون طموحاته ومصالحه. فما هو رأيك.

في ايام الرئيس شمعون قام بهذا التقطيع لسبب وهو انه في ايام الرئيس شمعون كانت ما تزال القوى السياسية التقليدية متمركزة بشكل كبير. وما كنا نسميهم بـ "الاقطاع السياسي" سنة 1953 كان هم الرئيس شمعون وهم كل الطبقة البورجوازية الصاعدة يومها في لبنان من طبقات التجار والصناعيين وغيرهم، كان تقليص نفوذ هذه الطبقة من السياسيين. وهذا ما تم التعبير عنه في القانون الانتخابي ايام الرئيس شمعون. طبعاً التقت مع مصالح كميل شمعون هذا جائز، لكن

القانون بالنتيجة كان تعبيرًا عن مصلحة طبقة صاعدة هي مجموعة من الناس. وكان ذلك مع بداية انطلاق ازدهار لبنان، وكان هناك طبقة ما صاعدة يجب ان تتمثل وتدخّل الى الحكم. وهذه الطبقة بالنتيجة هي مع كميل شمعون ارسّت دعائم النظام الاقتصادي اللبناني لأن كل نظامنا الاقتصادي ثم بناؤه في عهد كميل شمعون. لكن يجب نكون موضوعيين، وانا سياسيًا كنت ضد كميل شمعون. لكن لا يمكن ان ننكر يد كميل شمعون ان عهده بنى اساس النظام الاقتصادي اللبناني وتحديداً السرية المصرفية التي أقرت في عهده، صحيح انها جاءت باقتراح من ريمون إده وإنما بتوافق مع كميل شمعون، الحسابات المشتركة ايضا أقرت في ايام شمعون، التمييز بين البناء العادي والبناء الفخم ايضاً. عدة امور اصلاحية اقتصادية مالية نفذت وكانت ما تزال تشكل اساس النظام الاقتصادي اللبناني. والطبقة التي كانت تمثل هذه المصالح كانت تريد ان تتمثل لا ان تظل تدفع قوة للزعيم الفلاني او للزعيم الآخر، كي تستطيع الدخول الى المجلس النيابي. هذا القانون الانتخابي جاء يعبر عن مصالحها التي التقت مع مصالح كميل شمعون لأن كان له اخصام في الطبقة السياية ويريد تحطيمها، فهذا ممكن، لكن من المؤكد ان القانون لم يكن قد سنّ بهذه الماكيافيلية المحض، إنما كان يعبر عن شيء فعلي اجتماعي واقتصادي في المجتمع الحي.

سؤال: تظهر البحوث الحديثة ان الدائرة الفردية أو الدائرة الصغرى هي اقل كلفة من ناحية النفقات الانتخابية بالنسبة للمرشحين. وهي اقتصاديًا افضل، كما اظهرت في موضوع الاعلام انه لا يعود للوسائل المرئية والمسموعة انه تماس نشاطها خلافًا للمبدأ القائل بتكافؤ الفرص بين المرشحين. ماذا يمكنكم ان تزيدوا؟

من دون ادنى شك ان الدائرة الفردية أولاً تتخفف من النفقات الانتخابية، وثانياً تساوي في الدعاية الانتخابية، ثم ان الخوف من ان ينزل احد الممولين الكبار في دائرة فردية تقل اهميته لسبب انما قلة الكلفة تجعل عددًا كبيرًا من المرشحين قادرين على تحمل اعبائها فيخدمون المعركة الانتخابية حتى لو لم يكن لديهم رأسمال كبير. هكذا نخفف من اهمية الممول الكبير، ثم ان الدائرة الصغيرة تفصح بسرعة ووضوح من يشتري ومن يبيع الاصوات وتؤدي الى ردادات فعل عكسية. واعتقد ان الدائرة الفردية هي تمثيل ممكن في النظام الاكثري على الاطلاق (Uninominal)

سؤال: يظهر ايضاً ان قوة العلاقة ووثقها بين المرشح والناخب هي على درجة من المتانة بحيث انها تتفوق على المال والنفوذ والسلطة والاعلام، فما رأيك؟

هناك خطر صغير يتعلق بموضوع الدائرة التي اذا صغر حجمها كثيرًا، يمكن في بعض المناطق ان تتخذ العائلي والعشائرية اهمية بالغة. ولو اخذنا منطقة بعلبك - الهرمل مثلاً على ذلك، لكن تعدد العشائر فيها وتساويها مع بعضها في العدد يجعل من هذا الأمر ايضاً ذا تأثير تافه. في بقية المناطق لا اعتقد ان العائلية تحظى بنفس درجة الفاعلية، لأن لا وجود لعائلات كبرى في لبنان ولا هناك اجناس مختلفة. كل العائلات هي صغيرة ومعروفة. وأكبر عائلة في لبنان، في حال كونها عائلة فعليًا واحدة، لا تتجاوز الـ 400 أو 500 صوت.

سؤال: هل لديكم امور اخرى لطرحها؟

اعتقد ان موضوع قانون الانتخاب، والاصلاح السياسي الوحيد الممكن ان يحصل في لبنان بدايته الوحيدة، التي لا بداية اخرى، هي وضع قانون انتخاب يؤمن صحة تمثيل شعبي

حقيقي. وإلا سنظل ندور في حلقة مفرغة ولا إمكانية اصلاح من دون بداية من هنا. هذه هي الطريق والباب الحقيقي ومن هنا يبدأ.

من وسائل الهيمنة والتسلط اليوم على أجهزة الحكم اللبناني، وعلى الحكم اللبناني، هو قانون الانتخاب لأن هناك سيطرة على المجلس النيابي، وبالتالي على الحكومة وعلى كل شيء. واننا نرى التصرفات كم تتم في المجلس النيابي الى درجة اننا نشعر بعدم وجوده إلا كآلة فنية، كما كان في الاتحاد السوفياتي أو كما هو في سوريا اليوم. آلة فنية تنتج قوانين كثيرة ولكن لا معنى لها أو لا علاقة لها بالسياسة. كلها قوانين فنية لفبركة قوانين فنية لا أكثر ولا أقل. اما ان يكون لها دور سياسي في قيادة الشأن العام فهنا غياب وعدم وجود. وهذا امر مؤسف لأن المجلس النيابي ليس فقط فبركة قوانين، وهذه الفبركة بطلت من المجلس النيابي فعلياً في الدول الحديثة، بل اصبحت تحضرها الادارات وترسلها الى المجلس الذي اصبح شبه مصدق لها. ولذلك هذا الدور الذي يعطوه اياه في البلدان التي لسوء الحظ بدأت انظمتها تنقرض في العالم، في حين انها تتجدد عندنا.

سؤال: الدائرة الصغرى تظهر مسناتها على العيش المشترك، لأن الدائرة الكبرى

اظهرت بأنها كانت سيئة ما رأيك؟

الدائرة الكبرى خلقت تشنجات بنتيجة مصادرة تمثيل الناس وزادت العصبية الطائفية والمذهبية. وهناك وهم كبير حول موضوع العيش المشترك والدائرة الكبرى. العيش المشترك لا يكون عن طريق الدائرة الانتخابية الواحدة. هذا خطأ. اعتقد انه حدث نوع من استهتار في اتقان الطائف وهو خطأ تاريخي، لأن العيش المشترك يكون حول قضايا سياسية مشتركة ومصالح حياتية مشتركة. هذا هو العيش المشترك الحقيقي. نلتقي حول مصالح وحول مواقف سياسية فيحصل تضامن سياسي. اما غير ذلك فاعتقد انه خطأ بخطأ.

اما فكرة ان ينتخب كل لبنان لمرشح واحد يوم الاقتراع قد تكون برأيي فكرة قابلة للدرس. واتمنى ان تدرس. وسواء اقرت على مستوى محافظات أو لبنان دائرة واحدة. نعطي الحق للناخب إما بأن ينتخب لمرشح واحد من كل طائفة أو مرشح وحيد. وهذا افضل الف مرة ان ينتخب المقترعون لناخب واحد ولا ان يكون الام ر متاحاً لانتخاب مرشحين من 6 أو 7 طوائف. وإنما

يختار مرشح واحد أو واحد من كل طائفة اذا كان لا بد. اعتقد ان ذلك يعيد أولاً التوازن بين الناخبين بحيث لا يعود لاحدهم ان ينتخب لعشرة نواب وآخر لثلاثة، إضافة الى ذلك فإنها تعيد التوازن بين المناطق والمحافظات بدل ان ينتخب الشمال لـ 28 نائباً. وهذا يعطي اهمية للناخب اكثر بكثير مما تعطي للقوى السياسية الاساسية التي لا يعود بإمكانها توزيع ناخبها، ولا يعود تالياً بإمكانها ان تحمل مرشحين او تزور عمل مرشحين لا علاقة لهم بالناس. ففي بعلبك الهرمل حملت تلك القوى 5 أو 6 مرشحين لا علاقة لهم بالقواعد الشعبية، بما فيهم ممثلين عن الحزب القوي الذي هو "حزب الله". هناك بعض مرشحين الحزب لا علاقة لهم بالناس ولا يمثلون بعلبك-هرمل. ومع ذلك، عندما نعطي للناخب أن يقترح لمرشح واحد، الاو يصبح هناك اطلالة على الشأن الوطني عن الامرين: ان ينتخب وفقاً لمصلحة المناطقية، ووفقاً للموقف الوطني. وهناك ناخبون لا مصالح اقليمية لها في المناطق، فيختارون على اساس المواقف الوطنية العامة ويقترعون لمرشح واحد. وهناك في المقابل، ناخبين يهتمون بالمصالح المناطقية. يعني انه يمكن ان تلتقي المصلحتان مع بعضهما. وعندها يصبح الاختيار جيد. وتحل المساواة بين الناخبين، وتحد من الهيمنة والسيطرة والتسلط وتخفف كثيراً من امكانية التحكم بنتائج الانتخابات مسبقاً.

سؤال: كيف يمكن ايجاد نوع من اجماع وطني حول حجم الدائرة الانتخابية؟ فالقانون الانتخابي، بحسب الطائف والتعديلات الدستورية المنبثقة منه، يخضع للمادة 65 من الدستور اللبناني بحيث يحتاج الى اكثرية ثلثي في مجلس الوزراء ويحتاج تالياً الى موافقة معظم القوى في المجلس التشريعي. كيف يمكن اقناع غالبية تلك القوى بأهمية اعتماد الدوائر الصغرى خصوصاً وان بعض القوى السائدة اليوم هي على درجة من النفوذ بحيث انها قادرة ان تعطل او ان تعقد أي قانون يؤثر على المصلحة العامة؟

اذا اردنا ان نتحدث ضمن الواقعية السياسية، فنحتاج الى تشكيل قوى ضاغطة تعمل في هذا الاتجاه. كي نصل الى نتيجة فعلية، لا إمكانية في الوقت الحاضر في ظل هيمنة وتسلط اجهزة الحكم السوري على الحكم اللبناني. لأن هذه الاجهزة التي سواء كانت اجهزة المخابرات السورية أو الاجهزة التابعة لها والمتحالفة معها وادواتها، هذه مستفيدة من الوضع في الوقت الحاضر. ولا بد من تغيير اساسي. الموضوع هو إما ان يتغير الموقف السوري، ولا ارى امكانية

لتغييره في الطرف الراهن. وإلا تحتاج الى مواجهة سياسية بالضغط كي تعطي نتيجة. اما لجهة الاقتناع والقناعة، فلا اعتقد ان هناك احد غير مقتنع لكن لا احد يعمل ضد مصالحه. الموضوع ليس موضوع اقناع ان هذا التمثيل هو شعبي. اعتقد ان هذا الامر مفروغ منه لجهة التمثيل الافضل والاصح، ولا احد يمكنه ان يزايد في هذا الموضوع غلا من باب المكابرة والعهر. ويقول البعض بأن مصلحتهم تكمن في السيطرة والهيمنة. فإن كان هذا التحالف المذهبي بين "امل" و "حزب الله"، وهناك رغبة لديهم بالهيمنة المذهبية والطائفية. وما كنا نشكو منه في الماضي من هيمنة مما كانوا يسمونه "المارونية السياسية"، اليوم توجد ميليشيوية شعبية سياسية لديها رغبة بالهيمنة في ظل تحكم اجهزة الحكم السوري التي تشجعها، باعتبارها جزء اساسي من ادواته. لذلك سيحدث نوع من صراع، وما يدعو الى التشاؤم انه كما في المرحلة السابقة المسماة "المارونية السياسية" والتي ولدت هذا الانشقاق الكبير في المجتمع اللبناني الذي تسلمت اليه الفتنة وبالتالي الحرب مع السوريين والفلسطينيين، وعلى المستقبل قد تتسرب ايضا من هذا الباب أي من محاولة الهيمنة الميليشيوية المستجدة التي تتخذ طابعًا مذهبياً شيعياً، ستتسرب على المستقبل في لبنان ايضاً. وكل ربح يمكن ان تتدفق من المنطقة سوف تدخل من هذا الباب بانشقاق زائد بين أولا الشيعة والسنة وبين المسيحيين والمسلمين. الهيمنة دائماً تولد شركاً كبيراً تتسرب منه الفتن والمصائب الى لبنان. وهذا ما اتخوف منه شخصياً على المدى الطويل اذا لم ننظر بوعي وبإدراك ثابت.

كان يمكن للحكم ان يلعب دوراً في هذا الموضوع، لكن لسوء الحظ من هم في الحكم اليوم ليسوا بوارد هذا الهم الاساسي. يمكن ان نقوم بمحاولات اقناع علمية والدراسات وهذه امور مفيدة جداً لأنها تكون رأي عام. وبنتيجة تغيير الظروف السياسية الاساسية التي هي تحكم فعلياً في الموضوع. يمكن الاقتناع تدريجياً او التدرج بدوائر اصغر وليس بدائرة فردية فوراً. هذه يمكن العمل عليها لأن هناك قوى سياسية ايضاً من التي كانت مرتبطة مثل وليد جنبلاط تطالب بتصغير الدائرة وربما الرئيس حسين الحسيني يقبل بها تدريجياً أي تصغير الدائرة الانتخابية. اذا اريد العمل عليها، فإنها تحتاج الى ضغط سياسي كبير لأن هناك صراع مصالح حقيقي حيث يوجد اشخاص يسيطرون ويهيمنون ولن يتخلوا بسهولة عن تسلطهم وهيمنتهم وافادتهم لمجرد تحقيق صحة التمثيل.

سؤال: القانون الانتخابي باعتباره شأنًا يعني الناس. الا يقتضي ان يضطلع الناس بدور اساسي ومحوري في موضوع أي نظام انتخابي يريدون للبنان؟

في النظام البرلماني التمثيلي الناس توكل. واعتقد اننا نصبح هنا في حلقة مفرغة. ان ندخل تعديل على قانون الانتخاب ونخضع هذا التعديل لاستفتاء؟ كيف يمكن تدخل الناس مباشرة في الموضوع: إما عن طريق التفويض لممثلين او عن طريق الاستفتاء او الريفيرندوم. وهذا مستحيل في لبنان ولا صيغة لذلك. ولا أي بلد في العالم سن قانون انتخاب استنادًا الى ريفيرندوم لأن هذا يفرض ان نسأل سؤالاً: هل يريد الناخب نظام التمثيل الاكثري او التمثيل النسبي؟ هل يريد دائرة فردية بالتمثيل الاكثري او دائرة كبرى بالتمثيل الاكثري؟ يمكن طرح سؤال او اثنين لكن عدد كبير من الاسئلة فهذا امر صعب.

ان الندوات العلمية التي يمكن ان تعقد في الجامعات ورأي اساتذة الجامعات والمهتمين بالعلوم السياسية مفيد جدًا لقطع الحجج، ولإظهار الحجج التي تكون مطروحة كتبريرا لاسقاطها. ولذلك كله مفيد. طبعًا الصراع السياسي وموازني القوى هي التي تحكم الموضوع. ولكن يظل هذا الامر أي الدراسات تبقى شيئًا اساسيًا وجوهريًا لانارة طريق السياسيين. هذه قناعتي وانا مقتنع بضمير حول الموضوع. اذا اراد لبنان ان يختار قاعدة التمثيل النسبي فإن الامور تختلف كثيرًا حيث انه اعتماد هذا المبدأ فإن كلما كانت الدائرة اكبر كلما كانت افضل. لكن الخطر اليوم في التمثيل النسبي، وبعد تجربة الـ 10 سنوات التي مرينا بها منذ 1992 الى اليوم ان الخطر هو ان يتحول الى انقسام مذهبي طائفي في الانتخاب بنسبة مئة في المئة. وهذا الخطر الكبير هو بمثابة كارثة. لذلك افضل النظام الاكثري في دوائر مصغرة. على المستقبل البعيد عندما يصبح هناك مواطنة وتصرف مواطنين من موقع غير مذهبي او طائفي، يمكن العودة الى نوع من التمثيل النسبي او اختلاط بين التمثيل النسبي والاكثري على طريقة المانيا. فالتمثيل النسبي له حسناته لأنه يحفظ حقوق المعارضة والاقلية. فالاكثري والاقلية تتمثلان، وهذا شيء مهم في النظام الديمقراطي بشرط ألا يكون في المجتمع تمحورات تعطل قانون الانتخاب، كالتمحورات المذهبية الموجودة في لبنان. لا نريد ان يصبح ف بالنهاية قانون الانتخاب او التمثيل النسبي في لبنان وسيلة لاحصاء عدد ابناء المذاهب لان هناك طريقة اخرى لاحصائهم عن طريق دوائر

النفوس. وليس من الضروري ان يتوجهوا الى صناديق الاقتراع كي نحصيهم. أي ان لا يتحول القانون الانتخابي الى مجرد وسيلة لاحصاء ابناء الطوائف. هذا امر كارثي. لذلك التمثيل النسبي مؤذ في المرحلة الراهنة في لبنان.

واضيف شيئاً بان الانتخاب على اساس الاقضية يؤدي الى تمحورات سياسية مصلحة وليس عقائدية او نظريات او غيرها، ولا تمنع التغيير. والحقيقة ما هي المصلحة السياسية التي طرحت من وراء اعتماد المحافظة؟ اساساً هي مصلحة شيعية لمصلحة الشيعة السياسية لأنها تعطى منطقتين. في الواقع هناك اكثرية شيعية في محافظتي البقاع والجنوب. واعتماد المحافظة يعطى المحافظتين. وكل كلام آخر عن الانصهار كان لتبرير هذا الامر. المحافظة أوجدت كراهيات مذهبية لم تكن موجودة في الماضي ولا في الحرب حيث لم يكن هذا الشعور موجوداً. لذلك فإن رغبة الهيمنة ومصادرة تمثيل الآخرين أوجد خصوصيات. وبدل الانصهار الذي كان يفترض ان تخلقه هذه المناطق المشتركة، اوجدت بالعكس بنتيجة الهيمنة، نفور وإحياء لكل الرواسب المذهبية والطائفية. في حين ان الاطمئنان الى الوضع العام هو اساس العيش المشترك. واذا لم يتوفر الاطمئنان للوضع العام فلا عيش مشترك بنتيجته. لذلك فإن مصادرة تمثيل الآخرين الذي هو نتيجة هذه النظريات التي طرحت اساء كثيراً الى موضوع العيش المشترك. وبالعكس خلق توترات مذهبية وطائفية لم تكن موجودة يوماً، وهو توتر مخيف.

مقابلة مع الدكتور انطوان حداد
من مؤسسي "حركة التجدد الديمقراطي"
في مقر الحركة في ستاركو
بتاريخ 2001/11/28

اننا نبحت موضوع الجغرافيا الانتخابية وسنتخذ موقفًا منها ضمن الاطر الداخلية. لكن لغاية اليوم لا موقف رسمي يعبر عن رأي الحركة. ويمكنني ان اتحدث تقريبًا تحت اية زوايا يتم مناقشة الموضوع. واقول رأيي الشخصي او رأي الفريق السياسي الذي نشترك فيه قبل ان يتشكل رسميًا ويتحول الى حركة، وتحديدًا حول نسيب لحدود، وماذا كنا نعبر ونقول، وما هو رأينا في الموضوع.

في اعتقادي ان موضوع الدائرة الانتخابية لا يمكن عزله عن نظام الاقتراع حيث هناك ارتباط عضوي بين الاثنين. اذا اردنا التحدث عن دائرة انتخابية في المطلق حجمًا وتفصيلًا وغيره، يقتضي ربطها بالنظام الانتخابي والا نكون في صدد الحديث عن احدى الثوابت التي لا تشكل متغيرًا مستقلًا، بل متغيرًا مرتبطًا بمتغير آخر هو نظام الاقتراع. واعتقد ان السبب في ذلك انه البحث يتمحور حول صحة التمثيل. في الحالة اللبنانية بدأت تضاف مسائل اخرى على صحة التمثيل منذ بدأ البحث في المعايير المتعلقة بالنظام الانتخابي والدائرة. ومجمل قانون الانتخابات هو مسألة الانصهار الوطني، والتي يسميها البعض الوحدة الوطنية، على اهميتهما، وشخصيًا لا اوافق على تعبير الانصهار الوطني وافضل الوحدة الوطنية. في الانصهار شيء من القسرية ومن الـ Volontarisme (اي ارادي فوق اللزوم)، على اهمية الوحدة الوطنية، وهذه تسأهل النظر كيف يمكن العمل عليها وتحسينها وفق لاولويات. ولكن هذا موضوع ليس المطلوبة من قانون الانتخابات ان يحققه. طبعًا ليس مطلوبًا من قانون الانتخابات ان يقسم البلد ولكن أيضًا ليس مطلوبًا منه بالمقابل ان يرعى موضوع الوحدة الوطنية. الانتخابات وظيفتها ان يتؤمن صحة التمثيل كما هو المجتمع اللبناني اليوم. اذا تحدثنا عن الديمقراطية يقتضي ان تشكل هيئة برلمانية قادرة على التعبير عن رأي اللبنانيين كما هم اليوم، وليس كما ترغب بوجودهم اي هندسة سياسية. عندما نقول اننا ندخل متغيرًا آخر هو الوحدة الوطنية او الانصهار الوطني والى

ما هناك، على أهميتها، طبعاً هذا خيار بالنسبة لي، أو لنا كختيار، ليست هذه وظيفة النظام الانتخابي.

أذاً المطلوب تأمين صحة التمثيل الذي هو كمتغير أو كمعيار يقتضي ربطه أو ان يتفرع عنه مسألتين: كيف يمكن لحجم الدائرة، وللنظام الانتخابي ان يؤمن صحة التمثيل؟ طبعاً في الحالة اللبنانية، وهذه ليست مساهمة الحركة، أو مساهمتنا كختيار، لكننا نتقاطع مع الكثيرين. ونحن من رأي الفريق الذي يقول، مع استبعاد كامل للنظامين الاقصوين، اي نظام الدائرة الواحدة مرفقاً بالتمثيل الاكثري، وهذا برأينا نظام اقصى وشديد التطرف بأحاديثه، وهذا نظام يؤدي، حتى وان كانت تمت الانتخابات بشروط نزيهة، الى احتكار التمثيل لاكثرية ما، ويلغي صوت الاقضية أو الاقليات هذه في احسن الحالات. اما في اسوأها يغلب الاقلية الاكثر على بقية الاقليات. هذا نظام اقصوي Extremiste بتطرفه.

بالطبع ايضاً ربما نظام دائرة فردية بمعنى one man one vote اي صوت واحد لمرشح واحد لمنصب واحد، اعتقد انه يمعن بالتقتيت، ويجبر الناخب تالياً ان يصوت بناء على معيار وحيد. ما دام غير قادر على النظر سوى لشخص واحد، مما يفقد الناخب التعبير عن معايير اخرى. عندما يكون هناك عدة مرشحين تدخل اعتبارات عدة في مسألة الاختيار.

اعتقد ان النظامين هما اقصوين ويمعانان في التطرف. وبالتالي بنظرنا هما جديرين بالاستبعاد. لذا يقتضي البحث عن نظام وسيط بين هذين النظامين الاقصيين. واهم ما فيه ان يكون نظاماً متناسقاً Homogène بمعنى انه لا يجوز تطبيق عدة انظمة لعدة مناطق بما يجعل الدوائر متفاوتة لاننا بهذه الطريقة نضرب عدالة التمثيل التي هي احدى مكونات صحة التمثيل. ولصحة التمثيل مكونات عدة: اولها ضرورة استبعاد معيار واحد لخيار الناس تحدثت عنه الذي هو الاقصوي اي اعتماد خيار متطرف لان هذه الطريقة كأنها تجبر الناس اعتماد معيار واحد من خلال التصويت بنعم أو لا وعلى معيار واحد. وايضاً الانظمة غير المتناسقة عادة تؤدي الى فقدان التمثيل لانها تجعل اللبنانيين يصوتون وفقاً لقواعد مختلفة، في مناطق مختلفة. ولغاية اليوم لم نشهد سوى انظمة غير متناسقة من خلال دوائر متفاوتة الحجم بكثرة، وتخلط مناطق من دون معايير واضحة باستثناء معايير شديدة الهشاشة. واعطي نموذجاً عندما دمجت بشري مع عكار بفجاجة اضافة الى الضنية، لا شك بأن الناظر الى الخريطة يلاحظ وكأن العملية منطقية كون

تملك المناطق متلاصقة. ولكن على الارض يظهر وكأن الحجاره والجبال هي التي تصوت، في حين ان البشر مطلوب منهم ان يصوتوا، وهم في انقطاع ديموغرافي بين هذه المناطق. اذا كان المنطق المعتمد هو القربى الجغرافية المهم الا يكون هناك انقطاع ديموغرافي. لا شك ان بشري وجرد الضنية وعمار هي مناطق منقطعة جغرافياً. هذا اذا سلمنا بان المنطق هو منطق التواصل الجغرافي. هذه مثلاً احدى التجليات السيئة جداً لانظمة متفاوتة او قليلة التناسق. هذه الاستبعادات التي تظهر وقائع من التجربة اللبنانية تكشف عن مظاهر فجة جداً وغير مرغوبة.

اما بشأن البحث عن نظام يتقاضي هذه المساوى، اعتقد ان دائرة متوسطة الحجم، اي تجمع عدد قليل من الاقضية كما هي اليوم قائمة في لبنان، حيث يتم تطبيق نظام نسبي، ربما قد تشكل خياراً جيداً. لماذا؟ السبب في ذلك انه اولاً نكون، بشرط المحافظة على القربى الجغرافية والديموغرافية، وليس ان نجمع جبيل مع النبطية او مع الشوف، يقتضي ان يكون هناك تواصل جغرافي. القضاء في لبنان له هوية تاريخية، والناس يعتبرون ان القضاء يعبر عن هوية ما. وهذه الهوية في الحقيقة سابقة الاقضية في لبنان، وبمعظمها سابقة للاستقلال. وهذه من الامور التي لم تتغير مع الاستقلال، لان الناس تنماهى مع اقصيتها. وهذه ليست هوية سطحية، انما الناس قابلين بهوية القضاء، هذا من ناحية. اما عندما نجمع عدة اقصية مجاورة، لا تضرب وحدة القضاء كما جرى في الضنية والمنية. ثانياً، ان الدائرة المتوسطة تسمح بأن يبقى الناخبون تقريباً على درجة معرفة نسبية مع عدد معقول من المرشحين لا يتجاوز الـ 15. لاننا نكون على درجة من المعرفة الشخصية او قدرة الناخب على التعرف على المرشحين وملاحظهم. وهذه مقودة في دائرة اكبر من الوسطى. اعتقد ان التصويت لعشرة مرشحين هو امر ملائم، لانه عندما نتجاوز الـ 15 يصبح هناك صعوبة لدى الناخبين ان يتعرفوا على المرشحين بطريقة قريبة، وهذا امر مرغوب فيه. ثالثاً، ان التوزيع النسبي للمقاعد يشجع عدة تيارات ان تتمثل، وتسمح بتمثيل اصح بالتأكيد، واكثر عدالة. توجد صعوبة تقنية في التمثيل النسبي تكمن في المحافظة على التوزيع الطائفي، وفي الوقت نفسه المحافظة على التوزيع النسبي. ولكن برأى ان هذه الصعوبة هي شكلية. وهناك خبراء اوجدوا لها الحلول، طبعاً لم يتح بعد لهم للدفاع بقوة عن الحلول التي اوجدوها كي يقنعوا الرأي العام بها. لكن مسألة الاحتساب ليست شأن الناخبين، بل هي مسألة تقنية اذا كان هناك نزاهة في ادارة العملية الانتخابية، لان هناك انظمة حاجزة

اصبحت لتأمين التمثيل النسبي وفي نفس الوقت المحافظة على التوزيع الطائفي. ومن واجب السلطات ان تختبر هذه الانظمة، لان هذا الامر متاح نظرياً. وانا في معرض اعطاء خيارات افضلية.

واقل افضلية، وفي حال تعذر هذا الامر، فإن ذلك يشكل الحل الامثل. واذا تعذر ذلك، فلا بد من العودة الى نظام القضاء او قضائين اذا لم تكن فكرة التمثيل النسبي ما زالت غير مقبولة. وبالطبع العودة الى نظام القضاء او الاثنين من دون عجائب في رسم الخرائط و تحايل او اعتماد دوائر هجينة او تهجين، برأيي انها اقل سوءاً من غيرها. وأياً يكن النظام الانتخابي، مع تفضيل للدائرة المتوسطة الحجم، اي نصف محافظة بالمعايير الحالية، مع نظام توزع نسبي، هذا ربما افضل، وأياً تكن لاحقاً الدائرة الانتخابية او الجغرافيا الانتخابية او النظام الانتخابي المرتبط بها، برأيي من المهم جداً التركيز على الثقافة الانتخابية، وعلى التوعية. لا يمكن عزل الفوائد المتوقعة من اي تقسيم انتخابي عن درجة وعي الناس له. يمكن الاستفادة من جهاز موجود بين يديك اذا كنت تعرف اصلاً تشغيله بواسطة تكبيس الزرار. والا يمكن تكبيسها بالمقلوب. يقتضي معرفة وجهة استخدامه ولماذا. من المهم جداً انه عندما زيد ان تجري اي تعديل انتخابي او في قواعد اللعبة، وهذا التعديل يفترض ان يكون اختباري، من الضروري جداً ان نوضح هذا التعديل واسبابه الموجبة للناس لان هذا من حقهم. ومن المهم جداً كي يعبروا بطريقة صحيحة ويعرفوا لماذا حصل هذا التعديل. وهذا لا يحصل الا من خلال اطلاق النقاش العام في وقت مبكر، وليس تحت وطأة الحمى الانتخابية حيث ينشأ ميل لدى المسؤولين والسلطة لتسخير كل شيء من وسائل الاعلام الى الاجهزة لصالح حملتهم الانتخابية. لذلك يقتضي السير باكراً في عملية التوعية وفي زمن بمنأى عن التنافس الانتخابي كي تأتي هذه التعديلات بأكثر إفادة ممكنة للنتيجة المتوخاة منها.

وإذا اردت تلخيص موقفي اقول: انا مع استبعاد الانظمة القصوى، اي الدائرة الواحدة والدائرة الفردية، اللتين ارى فيهما تطرف. احداها تضرب تعددية التيارات بحيث لا يعود يتمثل سوى تيار واحد عملاً بقاعدة Winner tulle all هذا في الدائرة الكبرى. اما الدائرة الصغرى فإنها تضرب تعددية المعايير بالنسبة لخيارات الناخبين. فالناخب مجبر على الاختيار عن طريق صوت واحد، في حين انه في بلد مثل لبنان تعتبر المعايير متعددة. فالناخب يريد مثلاً التصويت

لمرشح ما لانه شديد الحساسية ازاء العدالة الاجتماعية، ولمرشح آخر لانه يتناسب وقضايا السيادة، مما يسمح للناس ببناء ائتلافات متعددة المعايير وليس حصر الاقتراع بصوت واحد. التعددية هي ليست فقط في التيارات، وهذا ما لا تؤمنه الدائرة الواحدة، التعددية يجب ان ينظر اليها بتعددية المعايير التي تعطي للناس امكانيات لخيارات عدة. وليس على اساس معيار واحد الامر الذي يجعل الناخب يختار الاقرب الى عصبية الطائفية او الاجتماعية. يقتضي اعطاء الناس معايير عدة للاختيار، وهذه لا تؤمنها الدائرة الواحدة في بلد اكثر تجانساً وحيث لا تعددية طائفية وسياسية، بل توجد تعددية واحدة.

هنا توجد عدة طبقات في التعددية في لبنان، يقتضي ان نمح للناس خيارات بأشخاص عدة يعبرون من خلالها عن التعدديات القائمة لا عن تعددية واحدة. وبالتالي يبرز الخيار الوسطي الذي هو الاقل سوءاً بين الخيارين الآخرين. كلما جنحت الدائرة نحو حجم اكبر، كلما اصبح هناك حاجة اكبر نحو نظام نسبي. وكلما اصبحت الدائرة اصغر من حيث عدد المقاعد، كلما اصبح اقل ضرراً اعتماد النظام الاكثري.

سؤال: يظهر البحث ان كل دائرة فيها 5 او 6 مرشحين تبرز فيها لائحة المحدلة بمعنى ان لا احتمال كبيراً امام مرشحين جدد بالنجاح واحداث التغيير في النخب لان اسياود المحدلة اصبحوا بمثابة مفاتيح انتخابية كبار يمسون اللعبة الانتخابية ويعرفون اكثر من المرشحين الجدد كيفية ادارة الماكينات الانتخابية. لهذا من الصعب احداث التغيير. واكثر الذين اجررت معهم مقابلات، وكانت النتيجة مفاجئة، ان معظمهم يدعو الى تقسيم القضاء الى دوائر اصغر وحتى فردية، وكانت الحثيات ان تقسيم الاقضية واعتماد دوائر فردية يؤفر حلاً للطائفية على طريقة مداواتها والتي كانت هي الداء. اي ان الدوائر الفردية تؤدي الى كسر الانغلاق الطائفي حيث يصبح ممكناً نقل التنافس الى داخل كل طائفة لتقادي مساوي المحافظات الكبرى التي اظهرت ان الناس لا تتمثل فيها، فضلاً عن اتساع الهوية بين المواطن والمسؤول والخ، ثم ان النفقات الانتخابي التي هي مرتفعة في المحافظة بينما يمكن حصرها في القضاء، وكذلك الرقابة الشعبية افضل في القضاء او في دائرة اصغر. وصحيح ان احتساب الاصوات هو من مهمة

وزارة الداخلية، لكن اذا لم يتوفر عدّ مواز للاصوات يمكن للسلطات الرسمية ان تصدر اية نتائج تجدها لمصلحتها اذا لم يكن هناك من عد آخر؟

جواب: دعني اناقشك نقطة نقطة. انا اوافقك الرأي بالنسبة لحجم الدائرة الانتخابية عندما يتجاوز عددًا معينًا الامر الذي يؤدي الى تركيب محادل. هذا لاننا نأخذ بعين الاعتبار متغيرًا واحدًا هو حجم الدائرة ولا نأخذ معه متغيرات نظام الاقتراع. واقول انه عندما تتجاوز المقاعد عددًا معينًا يصبح مستحيلًا تطبيق النظام الاكثري. وانا لست متعلقًا بالرقم 15. وحتى في هذا الرقم الادارة قادرة في نظام نسبي على عدم تشويه صحة التمثيل. طبعًا عندما نتجاوز حدًا معينًا من المقاعد فإن النظام الاكثري يحدد المحادل، ويصبح عنصر المال اصعب ادارة. لذلك اعتقد انه عند نقطة معينة، وقلت حدًا اقصى 15، بينما المقاعد الانتخابية عندما تتجاوز ربما الـ 7 او 8 تصبح العملية بحاجة الى نظام نسبي.

العد الموازي لا اعتقد انها عملية صعبة اذا فرضت على الادارة الانتخابية قد من المعايير بسمح بشفافية اكبر. يعني انه دائمًا يقتضي التركيز على الادارة الانتخابية وكيف تؤمن شفافية متوازنة وحتى الوصول الى المعلومة بالنسبة للناخبين والهيئات والمرشحين يعادل السلطة فيها، اي ان لا يكون للسلطة امتياز الوصول الى المعلومة قبل غيرها، بل ان تكون on line وفورية. لذلك كل موضوع الادارة الانتخابية لا يعالج فقط بنقله من جهة الى اخرى، بل توجد آليات للعد ينبغي ان تكون علنية مع حق العامة بالوصول الى المعلومات. هكذا تسير الامور في معظم دول العالم ولم تعد العملية محصورة ضمن الجدران الاربعة للغرفة. في لبنان حق الوصول ما زال متخلفًا سوءًا في مركز القضاء او في قلم الاقتراع او في غيرهما. وهذه تحتاج الى مزيد من العمل. ولكنني بالتاكيد انا موافق انه عندما يتجاوز المرشحون عددًا معينًا لكل المقاعد في الدائرة، من المؤكد ان صحة التمثيل تضرب بصورة مريعة.

لا يمكن الحديث عن الجغرافيا الانتخابية بمعزل عن نظام الاقتراع والاحتساب. واذا كنا ملزمين بنظام اكثري فلا يمكن للدائرة ان تتجاوز 5 او 6 مقاعد.

سؤال: هل تعتقد ان حجم الدائرة هو على ارتباط بمدخلات ونفوذ الخارج في لبنان؟

جواب: حتمًا لانه يسهل بالتأكيد. اذا كان من نفوذ خارجي كي يمارس، عادة يتم ممارسته على المركز اكثر مما يتم ممارسته ميدانيًا. لان الممارسة الميدانية يصعب اخفاؤها وتظهر بشكل قاطع. فإذا كان من نية لممارسة نفوذ وضغط من الاسهل ممارسته بالجملة اي على مواقع تتركز فيها السلطة ويتمركز فيها القرار. لذلك اذا كان سيمارس نفوذ خارجي، فمن الاسهل ممارسته عبر تصميم القانون والادارة الانتخابية المركزية، ودوائر كبر تتقرر النتائج فيها عبر كتل كبرى من الناخبين اسهل ممارسة الضغط عليها من ممارسته بالمفروق. ولا شك بهذا الامر وهو يؤثر. وهناك معادلة فيما تقول للاسباب التي ذكرتها.

سؤال: بالنسبة للنققات الانتخابية وللدعاية ماذا تعتقد انه يشكل افضل حلّ يعتمد كحجم دوائر يمكن ان يؤمن تكافؤ الفرص؟

جواب: كلما صغرت الدائرة كلما اصبح اسهل ان تدير حملة اعلانية لانها تتم بكلفة اقل. لكن نوعية الشعارات التي تخاض على اساسها المعركة الانتخابية تصبح سياسية اقل في اعتقادي اذا صغرت الدائرة للاسباب التي ذكرتها، حيث يصبح هناك اكثر وهذه فرضية لست متأكدًا منها ولم اخضعها للتجربة لانه لم يصبح لنا نظام اليوم حديث، ربما في تاريخ لبنان حصل بعض التجارب في الدائرة الفردية او الثنائية - ولكنني اعتقد انه بإمكاننا التحقق من فرضية انه كلما صغرت الدائرة يصبح هناك ميل نحو اعتماد شعارات اقل سياسية. في حين انه في اعتقادي الانتخابات مناسبة لطرح عدة شعارات محلية وتنموية وسياسية. يقتضي الا تفقد المعركة نكهتها السياسية لان الانتخابات التشريعية ينتج عنها ممثلين عن الامة يجب ان يكونوا محمّلين بقيم سياسية وشعارات سياسية وليس فقط بمطالب الانمائية وتكون اقنية وسيطة بين البلدية والنيابة والتي هي ما زالت مفقودة وهو ما نسميه بنظام اللامركزية والتمثيل الوسيط. وحتّمًا في اعتقادي ان هناك فرضية جديرة بالتحقق وهي انه اذا صغرنا حجم الدائرة يمكن ان نصغر السفارات السياسية.

سؤال: النظام المعتمد في لبنان هو هجين: في الجنوب تدمج محافظتان غير متكافئتين في الحجم، وفي الشمال المحافظة تقسم الى اثنين، وفي بقية المحافظات اما يطبق نظام القضاء او بدمج قضائين. والنتيجة ان مجلس النواب لا يمارس دوراً في موضوع فصل السلطات، ويوجد عدد قليل من النواب الذين يدافعون عن الحريات. اين هي المشكلة؟ كيف يمكن انتخاب مجلس نواب في مستوى المرحلة اقليمياً وداخلياً؟

جواب: بغض النظر عن الظرف السياسي، لا اعرف اذا كان هناك معيار رقمي لصحة التمثيل لكن من دون معيار، واكثر من انطباع، النتيجة السياسية التي يخرج بها المحلل حول النوعية انه من المؤكد ان صحة التمثيل مفقودة بنسبة كبيرة. وصحة التمثيل ضعيفة وبالتالي لا اعتقد ان مجلس النواب قادر على التعبير عن حصيلة آراء اللبنانيين، او حتى عن حصيلة ما لان لا احد يختزل الآخرين. ولكن اذا كان هو نظام تفويض اعتقد انه يتمتع بتفويض ضعيف، وهناك الكثير من الكتل الاجتماعية والطائفية والسياسية وحتى الفكرية غير ممثلة كفاية او بصورة مطلقة بأرائها داخل المجلس النيابي، في حين انها موجودة في الواقع وفي مناطق وقطاعات. هناك كتل غير ممثلة اطلاقاً، واخرى ممثلة بأقل من حجمها بكثير، ومنها اقل. في حين ان هناك كتل سياسية اخرى اعتقد ان تمثيلها منتفخ بطريقة غير ديموقراطية. اذا لم يتأمن هذا التوازن بين الذين يتمثلون أكثر من حجمهم بأن يتمثلوا اقل، وبين الذين يتمثلون اقل من حجمهم بأن يتمثلوا اكثر، فأنتني اعتقد ان المجلس سيظل عاجزاً عن التعبير عن محصلة آراء اللبنانيين، وبالتالي سيكون خاضعاً اكثر للنفوذ الخارجي حيث اسهل ممارسة الضغط على نواب يدينون في مواقعهم اكثر لقوى سواء كانت محلية او خارجية اكثر مما يدينون للرأي العام بنيابتهم حيث يصعب ممارسة الضغط عليهم. المعادلة بسيطة بني اولاً: حرية الناخب ودرجة ممارسته للتفويض المعطى له وبنفس الوقت النظام الانتخابي وصحة التمثيل. وهي معادلة قوية.

سؤال: موضوع آخر له بعد نفسي عندما ندمج الاقضية والناس والمحافظات بشكل مصطنع، يؤدي ذلك الى ردة فعل نفسية وعكسية. لقد تحدثت بداية ان الهدف المعلن كان تأمين

الوحدة والانصهار دون ان يوصل بالضرورة الى مبتغاه، لكنه ادى الى حواجز نفسية ومعنوية اخطر بكثير من الحواجز المادية نفسها من جراء الانظمة التي اعتمدت؟ ما رأيك بالموضوع وهل لديكم من وقائع حوله خصوصًا عندما تشعر اقلية ان هناك اقلية اكبر منها تريد ابتلاعها، هذا لا يخدم لا العيش المشترك ولا التوازن ولا السلم الاهلي ولا الديموقراطية؟

جواب: اكد وتحديدًا في بعض المناطق تبين اذا ليس صحيحًا نية مهندسي النظام الانتخابي، على الاقل فإن الوعي الشعبي لها كان على هذا النحو. ودور السلطة ليس فقط نفي نواياها بل عليها ان تزيل مخاوف الناس، وتحديدًا في موقعين سواءً في بشري او في جزين، في بشري دمج قضاء صغير له حساسية سياسية واضحة في اتجاه معين، باعتباره مكان يتمتع بتمركز قوي لـ "القوات اللبنانية" وتيارها حيث دمج مع قضاء يتميز بغالبية اسلامية قوية في عكار مع ملحق له هو الضنية. واضح ان هناك نية مبيتة او توجد فرضية قوية حول توفر نية لتدوير تصويت "القوات" ضمن بحر اسلامي، وربما قد لا تكون النية صحيحة ولكن لم يصدر أي شيء لنفيها. وبقي في ذهن اهالي بشري ان الموضوع هو على هذا النحو. فإذا سئل اليوم اولاد بشري يقولون بأن هذا هو السبب. ليس المهم ماذا كانت نية الدولة او السلطة لكن المهم في الوقائع كيف ادركها الناس. ونفس الشيء وربما بدرجة اقل في جزين ان هذه المنطقة كانت في شكل ملتبس تحت الاحتلال او نصف محتلة ونصف غير محتلة، لها وضعية خاصة تحت الاحتلال الاسرائيلي. كذلك وقت الانتخابات كانت خرجت منها اسرائيل، وربما كان هناك شعور، وبغض النظر ماذا كانت تريد السلطة، لكن وجد شعور ان هناك نية لدى الدولة لمعاقبة هذه المنطقة وحرمانها من التمثيل عبر زعاماتها المحلية. وانه فرض عليها زعامات منتقاة او فرص عليها نواب مختارين من قوى وكتل كبيرة لا يمكن مقاومتها بالتصويت وهي "حزب الله" و"امل". مهما كانت النية هنا، سواءً أكانت سليمة او غير ذلك، فإنها ادت الى نتيجة سيئة على مستوى ادراك الناس. وربما نفس الشعور ايضًا توفر، كي لا نعمل 6 و6 مكرر، لا اعرف ما اذا كان شعور اولاد الضنية ايضًا قد يكون هو نفسه ايضًا، بأنهم وضعوا في حالة شبيهة.

سؤال: ان شعور ابناء الضنية هو نفسه الذي تناهى لدى ابناء البقاع ايضاً لانه لا توجد طائفة لا تعاني من انقسامات داخلية. وهنا يتوفر شعور بأن الانقسام داخل الطائفة الواحدة يسمح للاقلية بالتغلب على الفئات المنقسمة داخل كل طائفة اذا كانت متوازنة. ويتمى ادراك بأن الاقليات الاقل عدداً من الطوائف الكبرى، وهذا عامل نفسي يؤدي الى مخاوف متبادلة لدى الطوائف. الاقليات الصغرى جداً يقولون بأن الاقليات الاكبر منها عدداً تريد ابتلاعها، وكذلك الطوائف الكبرى مثل الطائفة الشيعية التي فيها عدة قوى من "حزب الله" الى "امل" والرئيس حسين الحسيني والرئيس كامل الاسد والعشائر وغيرهم، هذه التباينات تحسمها احياناً الطوائف المسيحية في زحله او البقاع الغربي او السنة وفي الجنوب... الخ. وهذا خطير لانه يكشف عن كيفية وضع الطوائف الى مواقف ومسلقيات...

جواب: حنا انا اقول انه غير الابتعاد عن الهندسة الانتخابية Gerry Maundering بطريقة تطبيق امور اهل السلطة، ليس مفروض فقط في الوقائع، كلا، احياناً حتى في ادراك الناس هناك جهد مطلوب توضيح انه اذا كان هناك اي هواجس لدى الناس، السماح لها بالتعبير حول هذه الهواجس والرد عليها بالوقائع وليس بالخطابات الفارغة بعدم توفر النية بتذويب الهويات التحتية. وهذا بعد لهم جداً. وهذا يتعلق باطلاق الحوار الجدي وحملات التوعية لدى الناس لان ليس كل الناس عليها وصاية. وربما الناس واعية اكثر من المسؤولين والسلطة والمتفقين. لكن يقتضي اشراك الناس في نقاش جدي وافساح المجال امامهم حول مساوئ كل نظام وحسناته وتبديد المخاوف حتى وجدت وليس تعميمها، او تعميقها. برأيي ان ادراك الناس اهم من نية المسؤولين لانه اذا كان من الصعب محاكمة النوايا، نحن غير المعقول الا ننظر الى مال النتيجة التي ظهرت عند النساء. النتيجة السيئة يجب الاعتراف بها.

سؤال: هل تعتقد ان النقاش يجب ان يتعمم على الاقضية والقرى والبلدات لاشراك

الناس؟

جواب: دعنا نبدأ بنقاش وطني. اليوم وسائل الاعلام الجماهيرية تفتح لنا الباب على موضوع الاعلام الانتخابي. اذا كانت السلطات العامة لا تقرض على وسائل الاعلام اولاً اذا كانت السلطات العامة لا تتمتع بقدر من الحيادية وان تؤمن على وسائل الاعلام بأن تصبح سامة عامة متساوية للاعلان والاعلام الانتخابي ولتنقيف الناس واطلاق النقاش وايصاله الى كل بيت في لبنان بطريقة مكثفة ومعقولة، فإنه من الصعب ان نتحدث في الموضوع. يقتضي اولاً ان تكون السلطات العامة على الحياد وعليها ان تقتطع مساحة من الاعلام الجماهيري وتكرسها للثقافة الانتخابية بطريقة محايدة ايصالها الى كل بيت. ولاحقاً عليها ان تنظم الاعلان التجاري الانتخابي او الاعلان المدفوع. وهذا له لانه لا يمكن تأمين العدالة مئة في المئة، ولكن على الاقل يتعين تأمين العدالة النسبية. يبقى هناك نشرة الاخبار التي توجه من قبل صاحب المحطة. اين هي الحدود بين ان تكون النشرة جزءاً من محلته او جزء من الاعلان العام.

ونفس الشيء ينطبق على مسألة التمويل، وبرأيي يسمر وقت طويل جداً قبل ان نتمكن من السيطرة على هذا الموضوع وادخال تعديلات عادلة عليه، واعتماد اجراءات تؤدي الى تحسين عنصر التمويل. في لبنان لا يوجد مدى زمني للحملة الانتخابية. وحتى لو وجد مثل هذا المدى اين يمكن ادراج حفلات الافطار والمناسبات الرعائية والتبرعات للجمعيات الخيرية. هل هي ضمن أي خانة تصنف؟

مقابلة مع طلال الحسيني 2001/11/22

سؤال: ما هو افضل تقطيع جغرافي لدوائر انتخابية في لبنان تحقق التمثيل الديمقراطي وعدالة الانتخابات ونزاهتها؟

جواب: من خلال متابعة احوال الدولة منذ سنوات، وخصوصًا منذ اتفاق الطائف، تبين ان هناك ضرورة لاعادة تكوين السلطة في لبنان. والعامل الجذري لاعادة التكوين هو قانون الانتخاب. وقبل ان اصل الى معالجة موضوع حجم الدائرة، اود طرح بعض النقاط المتعلقة بقانون الانتخاب ليس من منطلقات النظرية الانتخابية العامة بل في ضوء تاريخ لبنان وحاجات المجتمع اللبناني والنظام السياسي.

اذا لم نضع هذه الاهداف نصب اعيننا، نكون، كما حصل في السنوات الماضية، امام نوع من المباراة بين مشاريع انتخابية ويتخذ الحوار طابع تقني مع غياب الوظيفة الاساسية لقانون الانتخاب، لانه ليس كل نظام يعتمد الانتخابات هو نظام ديموقراطي. يتبين ان قانون الانتخاب هو الصيغة العملية للعيش المشترك. نحن نتحدث عن العيش المشترك، وغالبًا ما يكون الحديث عنه حديث اجمالي او انفعالي سلبيًا ام ايجابيًا. حديث تطييب او ذم. وحقيقة الامر اننا في لبنان لا نفكر كفاية في العيش المشترك الذي له مشاكله. وسواء سمي بـ"العيش المشترك" او "التعايش" فإن فكرة دولة واحدة تضم مواطنين ينتمون الى اديان ومذاهب مختلفة ويعيشون في نظام سياسي واحد. نحكي عن العيش المشترك ونتحدث عن الحوار بين المسيحيين والمسلمين او عن حوار الحضارات، وبرأيي فإن هذا كلام فارغ. في الحوار الاسلامي - المسيحي هناك مشكلة: من يمثل المسلمين؟ ومن يمثل المسيحيين؟ ثم نريد ان نتحاور مسلمين ومسيحيين والاجدى ان يرتب المسيحيون اولًا امورهم بين بعضهم البعض، وكذلك المسلمين. هذا نوع من ثرثرة وطمس للمشاكل الحقيقية التي يواجهها العيش المشترك. فكرة لبنان اي اناس يعيشون في دولة واحدة مستقلة ذات سيادة وينتمون الى اديان ومذاهب متنوعة. وهذا ليس امرًا بديهياً في النظرية السياسية الكلاسيكية التي احد ابرز مفكريها هوبز القائل بوجود ان تكون الدولة من دين واحد

وليس من اديان عدة، والا فلن يكون ممكناً تركيب دولة بالنسبة لما ينادي به بعض المفكرين الكلاسيكيين. اذ اللبنانيون يفضلون فكرة صعبة وراقية في آن، ولكن لديهم ميل للكذب في العيش المشترك. يريدون من جهة تقديم انفسهم على انهم راقين الى هذا الحد، ومن جهة اخرى ولا يستطيعون ان يقوموا بأعباء هذه الفكرة الرائعة. علماً ان الدول الغربية تنوء بمشكلات العيش المشترك. اين مشكلتنا في لبنان؟ اذا انتقت الفكرة اللبنانية الرائعة لا يعود ثمة مبرر لوجود لبنان. ونحن محكومون ان ندخل في مشروع صعب لتحقيق نمط راقٍ جداً من العلاقات السياسية والاجتماعية بين الناس. عندما نقول عيش مشترك يعني انه يتوفر اطار ما كي نبت بأمرنا وننتشاور كأشخاص نعيش مع بعضنا ونتخذ تالياً القرارات. يعني ان قانون الانتخاب بمبادئه وتطبيقاته هو ميثاق العيش المشترك العملي كي لا تبقى على مستوى المبادئ والقيم فقط. نلاحظ عندئذ ضعف اللبنانيين سواء بالنسبة لطموحاتهم المشروعة وغير المشروعة وضعفهم امام خلافاتهم او ضعفهم امام الضغوط والتدخلات الخارجية وهم غير قادرين على بلورة نوع من اجماع مقبول حول صيغة قانون الانتخاب. واللبنانيون لم يتوصلوا بعد الى اصلاح الصيغة العملية للعيش المشترك.

النقطة الاولى انه من ملاحظة احوال الدولة في لبنان يتبين ضرورة اعادة تكوين السلطة. واحد ادوات اعادة تكوينها هو قانون انتخاب ملائم. وعلى مستوى آخر هو العيش المشترك الذي اصبح منصوفاً عنه في الدستور بعد اتفاق الطائف وهو يندرج في فكرة لبنان اتفاق الطائف وهو يندرج في فكرة لبنان العقلانية. يقتضي العمل على بلورة قانون انتخاب.

النقطة الثالثة واليت يدل عليها قانون انتخاب مقبول من اللبنانيين. ليس بالضرورة ان يكون قانون انتخاب عظيم مبدئياً بل يكفي ان يكون مقبولاً ان اللبنانيين ويسمح خصوصاً ببناء دولة. لان المسألة لا تتعلق فقط بحرية الانتخاب وصحة التمثيل. لدينا مشكلة مهمة جداً. يمكن تأمين حرية الانتخاب وصحة التمثيل ولكن ما نفع هذا اذا كان قانون الانتخاب لا يسمح للدولة اللبنانية بالنهوض. وهذا سهل وعيت يمكن الوصول الى قانون انتخاب يرضى الفئات السياسية والطائفية ولكن هل يسمح ببناء دولة على اساسه. هذا سؤال مهم جداً لذلك وقبل حرية الانتخاب وقبل صحة التمثيل زيد قانون يوقف الدولة على رجليها.

ما يوصل الى قانون الانتخاب، ضرورة اعادة تكوين السلطة في لبنان، وضرورة وضع الصيغة العملية لميثاق العيش المشترك، ضرورة السماح بظهور الدولة اللبنانية، دامت من كل هذا انه اذا اللبنانيين توصلوا الى الاتفاق المقبول على اطار للتشاور ولاتخاذ القرارات بشؤونهم معنى ذلك ان اللبنانيين اختاروا انفسهم كلبانيين. وهذه مسألة كيانية، قبل كل الاشياء التي ذكرتها. عندما اقول انه في لبنان صار هناك قانون انتخاب مقبول، هذه اول علامة على ان اللبنانيين يختارون انفسهم كلبانيين. ان وجود قانون انتخاب مقبول وقيام الانتخابات على اساس يعني ان اللبنانيين سلموا لبعضهم بعدد من الاشياء كي يكون اتخاذ القرار امراً ممكناً في شؤونهم كلبانيين وليس كطائفة واخرى او منطقة واخرى.

لو افترضنا ان شخصين قررا القيام ببعض الاعمال المشتركة في المجال الاقتصادي، فإذا لم يقوموا بتأسيس شركة ووصف لها قانوناً يوضح كيفية اتخاذ القرارات. معنى ذلك ان هؤلاء لم يسلموا لبعضهما بأي شيء. شركة اللبنانيين ليس لها قانون بعد، اذا قال الفريقين لبعضهما انهما سيتعاونان فكرياً او سياسياً ومؤسسان لمنطقة او حزب يعني ان كل فريق انتهى بالتسليم للفريق الاخر بشيء وانهما اتفق على آلية لان القرارات تتخذي الاثنين معاً. وهكذا يكون كل طرف اختار نفسه كشخص في هذا الحزب او في هذا النادي او في هذه الشركة او اختاروا انفسهم كأشخاص في الوطن وهذا متعلق بوجود قانون انتخاب مقبول. وهذا غير متوافر بعد، وهو ليس مسألة ظرفية متعلقة بالنفوذ السوري الحال كما يعتقد البعض.

منذ العشرينات مع اول قانون انتخاب، وقس على ذلك، نجد دائماً ان اللبنانيين لا يختارون انفسهم لذا يفرض عليهم قانون الانتخاب سواء من سلطات داخلية او من سلطات خارجة. ولكن لا يدبو ان هذا القانون هو محصلة نوع من القبول الجماعي للبنان. برأيي ان اللبنانيين لم يختاروا بعد انفسهم. وعلاقة هذا الاختيار هو وضوح قانون انتخاب مقبول. مما يعني وجود صيغة عملية للعيش المشترك يعني ايضاً وجود المكانية لاعادة تكوين السلطة التي هي ضرورية جداً. البناء القائم هو بناء غير صالح اطلاق ومنه غير قابل برأيي للاصلاح. لذا فان قانون الانتخاب يحتاج الى حركة تشاور، حركة ضغط شعبية وفكرية وبلورة له كي يصبح هناك مجال لا قراره. هنا يظهر اللبنانيون وكأن لهم نوع من obsession في موضوع لدائرة: هل تكون صغيرة ام كبيرة؟ هناك اسباب لتفهم اهمية الدائرة عموماً واسباب هذه العقدة (obsession)

عند الناس ولكن قانون الانتخاب ليس هو فقط دائرة انتخابية. الدائرة الانتخابية شيء مهم. قانون الانتخاب، عدا كل مسائل الانتخاب الكلاسيكية، هناك النفقات الانتخابية والاعلام الانتخابي، والرقابة على الانتخابات. وهذه مسائل لا تخطى حقيقة الا في زمن الانتخابات حيث تكسر الشكاوى واصوات الاعتراض. ولكن الطبقة السياسية اللبنانية غير مسلمة ان الاعلام الانتخابي يجب ان يكون في ملامم. ولا النفقات الانتخابية ان تكون بطريقة ملائمة.

سؤال: المعروف ان العامل الجغرافي او حجم الدائرة يحسم جزء اساسي من الانتخابات قبل يوم الاقتراع. السلطة عندما تعتمد اي مبدأ جغرافي في تقطيع الدوائر فإنها ترجح فوز اطراف او الجهات التي هي محسوبة عليها كي تحسم بالتقطيع الجغرافي ما يلائم مصالحها.

من دون شك، ولكن يقتضي وضع العامل الجغرافي في اطار القانون الانتخابي. اذا لم نضعه في هذا الاطار ودرسنا وظائف قانون الانتخابات لا نفهم اي شيء بالنسبة للعامل الجغرافي. العامل الجغرافي طرح منذ العشرينات مع اول قانون انتخاب وضعه الفرنسيون بعد ان بحثوا كيف يمكنهم تأمين النفوذ الفرنسي من خلال مجلس نواب لبناني. ونقطة لاحقة مفادها كيف نؤمن، لان مواقف الجماعات اللبنانية كانت اجمالاً في مواقف جماعية متشابهة من النفوذ الفرنسي. السؤال الذي طرحه الفرنسيون على انفسهم كيف يبسطون نفوذهم؟ وثانياً كيف يؤمنون مصالح الزعامات اللبنانية الموالية لهم. والنتيجة التي توصلوا اليها كانت بسيطة جداً: الطوائف الكاثوليكية في لبنان هي الاقرب الى الفرنسيين، فكيف يمكن ترجيح بعض زعمائهم الموالين لفرنسا. هل يقتضي اعتماد دائرة صغيرة ام كبيرة؟ تبين لهم من ناحية بسط نفوذهم. كانت الدائرة المعمدة يومها المحافظة. اما الدائرة الاصغر من المحافظة فلم تكن تتاسبهم. ثم ان مصالح الطوائف الكاثوليكية التي تضم اكبر نسبة تأييد للنفوذ الفرنسي تتأمن سواء في دائرة المحافظة ام في دائرة القضاء. واذ كان الفرنسيون افضل لهم اعتماد المحافظة منحوا اللبنانيين نص قانون الانتخاب.

ومنذ ذلك الوقت والفكرة نفسها ما زالت موجودة: النفوذ الخارجي يستفيد من كبر الدائرة ومنذ ذلك الحين. المصالح الطائفية في لبنان كانت تتبدل: احياناً يناسب هذه الطائفة الدائرة

الكبرى وحيثاً يناسبها اعتماد الدائرة الصغرى. عموماً بالنسبة للناس، وبغض النظر عن طوائفهم، يتأمن تمثيلهم الاقرب الى خياراتهم الانتخابية عبر الدائرة الصغرى. تابعت شخصياً تاريخ قوانين الانتخابات ونوع المحادثات والمصالح التي تظهر في مثل هكذا مناسبة. الدائرة الصغرى ضرورية جداً الى اقصى الحدود ومن الزاوية التي ارويها ان الناس لديهم قدرة ان يكون لهم رأي كلما اعتمدنا دوائر اصغر. ما هي وظائف قانون الانتخاب؟ ليس وظائف القانون الانتخابي فقط صحة التمثيل. صحة التمثيل يمكن توجيهها في اتجاه او آخر:

1. اما في شغل يؤدي الى استمرارية النفوذ الخارجي او في الحالة المعاكسة ان يكون للدولة اللبنانية سيادة اكبر.
2. تعزيز القدرة على بناء الدولة اللبنانية او لا بشكل بسيط.

لذلك لا تتحكم صحة التمثيل بالانتخابات. ولكن واضح بالتالي ان لبنان من اليوم الى مراحل لاحقة لا يمكن التكهن بموعد انتهائها، فإن النفوذ الخارجي في لبنان هو معطى من معطيات الواقع. والبحر الابيض المتوسط يحد لبنان غرباً، الا اذا جف يوماً ما. نفوذ ضغط والتدخل الخارجي والنفوذ الخارجي في لبنان علينا عند صياغة قانون انتخاب ان نطرح هذه القضايا كمشاكل واعتماد الحلول لها. وعلينا الا نتوقع ان يأتي يوم ولا تكون هناك مشاكل. ربما يمكن توقع ان اقرب جار للبنان خف ضغطه او قوي ولكن هناك ثير، عندما يحدث فراغ والطوائف اللبنانية لها علاقات طويلة مع عدد من البلدان من مصر الى سوريا الى السعودية الى ايران الى الدول الغربية. التدخل الخارجي في لبنان هو معطى من المعطيات. ومن يريد ان يضع نظرية لقانون الانتخاب او لاي مسألة متعلقة بالنظام السياسي ويتجاهل كون النفوذ الخارجي معطى من المعطيات الواقعية ولا يقدم حلاً للتعامل معها فإنه ما سيأتيه هو مجرد مزحة لا تتوفر فيها اية جدية.

هناك من جهة صحة التمثيل ومن جهة ثانية مواجهة النفوذ الخارجي والضغط الخارجي وهذه ضرورياً جداً لانه لا يمكن القول بأننا سنتمكن من بناء دولة اذا كانت مخترقة من النفوذ الخارجي الى هذه الدور - فيكون قانون الانتخاب لا يقوم بوظائفه اذا سمح بزيادة النفوذ

الخارجي او تخطيه حدود مقبولة. بعض اللبنانيين يتحدثون عن السيادة بطريقة مجردة او مطلقة، لكن البعض الآخر ايضاً يقول ان سيادة الدولة غير موجودة استناداً الى وقائع العالم المعاصر. ما هذا؟ لقد تخطت المسألة الحد المقبول. مقدار السيادة الذي تضاعف لم يعد يسمح لنا بأن نقول بأننا دولة. يمكن القول انه يوجد نوع من التفاعل مع نفوذ خارجي او ضغط خارجي، لكن نصل الى صدور تنتهي القصة. فالذي يخبرنا بان السيادة محدودة في العالم المعاصر وانه يطبق هذه النظرية على لبنان في الوقت الحاضر فان مقولته هي مجرد مزاح، لانه لا توجد ذرة سيادة اليوم، ليست المشكلة في محدوديتها بل في انتقائها. قانون الانتخاب له علاقة بهذه المسألة. ثم ان السيادة هنا المشكلة فيها انها تبدو وكأنها ملك الدولة بالمعنى الضيق او ملك طوائف معينة.

عندما يفقد قسم من السيادة الدولة، يفقد المواطن جزءاً من سيادته. ليس الموضوع ان الدولة اذا صودرت سيادتها فإن المواطن من يتأثر بذلك. هذا خطأ كل لبناني عندها ينتقل من سيادة الدولة ينتقل من صدرته للطوائف، ولا لاجهزة الدولة بالمعنى الضيق. عندما احدهم في الدولة اللبنانية هو قائم بأعمال الدولة في اي مركز من المراكز لان المركز يتخلى عن جزء من السيادة وكأن السيادة له من رئيس الجمهورية الى رئيس الحكومة الى رئيس المجلس الى الوزير. السيادة ليست له، هي لنا ونحن اوكلناهم عليها وهو قائم بأعمالها. لذلك حتى مسألة السيادة طرحها في لبنان ليس طرْحاً ان السيادة للشعب.

بالنسبة للدائرة الانتخابية، نريد هذين القصرين اللذين يتعين اعتبارهما كمعطين دائمين. لدينا على المستوى الدائرة الصغرى ما يسمى خط الانغلاق على مصالح ضيقة ولا تأخذ في الاعتبار المهمات العامة لبناء الدولة او تتعلق على بعض المصالح الطائفية. وهناك بالنسبة للدائرة الكبرى خطر الا يعود شكل اللوائح الانتخابية سوى الدول الاجنبية التي تتركب اللوائح كونها قادرة على تخطي امكانات القوى والتيارات السياسية والشخصيات السياسية الموجودة.

من يريد ان يسن قانون انتخاب عليه ان يأخذ بالاعتبار هذين النقطتين. ونحن بصورة عادة من قبل اتفاق الطائف وفي اثناها كانت فكرتنا بسيطة جداً، ان الانتخاب يجب ان يكون على درجتين: الدرجة الاولى اين والثانية اين؟ يقتضي ترك ذلك في الوقت الراهن. لكن كمبدأ عام انا اتبني فكرة الدرجتين. عندما قلت فكرة الدرجتين وجدنا ان هناك صعوبة في تفهم هذا الشيء في لبنان. قلنا اذا لا تسير الامور وفق درجتين فلنمضي قدماً في نظام المجلسين حيث

يمكن مراعاة هذين الأمرين المتناقضين في نفس الوقت. وهذا شيء يدعو للتفكير ان نعتد اما نظام الانتخابي على درجتين اما نظام المجلسين. لماذا؟ لان الواقع اللبناني يفرض علينا ذلك. نريد دولة، ونريد دولة ذات سيادة، ونريد صحة التمثيل الانتخابي. هذه عوامل تحتاج الى توفيق فيما بينها. اذا وضعنا المبادئ العامة فقط، وعلى مستوى هذه المبادئ هناك تضارب بين بعضها (المبادئ). العلامة (او المؤشر) على اننا فعلنا شيئاً في قانون الانتخاب هو ان نقدم الحل لهذا النزاع او لهذا التضارب. وهذا امر مهم جداً. بالنسبة او اعود للفكرة الاساسية والتي تتمحور حول وجود ضرورة ان يكون قانون الانتخاب تابعاً من الناس. وهذا يحتاج الى بضعة سنوات من العمل. ولهذا اقول انه منذ انتهت الانتخابات الاخيرة اقول انه ان الاوان ليوابة العمل من اجل قانون انتخاب، وليس قبل بضعة اشهر من عمليات الاقتراع. وضرورة الشغل على قانون الانتخاب على مستوى المناطق والقطاعات المختلفة. وضروري قبل هذا الشيء ان يمارس جهد فكري لشيء اسميه بداية Thématisation لقانون الانتخاب. يعني طرح السؤال البسيط: "ما مسائل قانون الانتخاب؟" تخرج بمسألة مهمة جداً هي مسألة الدائرة من حيث حجمها، كبيرة او صغيرة، ولكن هناك مسائل اخرى، ربما بالنسبة للدائرة نقول لدينا مشاكل ولا يمكن تخطيها. وعلى هذا الاساس نحاول تعويض (تقادي) ثغرات الدائرة عن طريق عوامل اخرى. اي تعويض النقص عن مسألة الدائرة ومن هنا ضروري طرح مسائل الانتخاب بمجملها: الاعلام الانتخابي، الرقابة على الانتخابات، حرية الانتخاب، النفقات الانتخابية، والدائرة، والثقافة الانتخابية، كم تتفق الدولة من اموال؟ عليها ان تتفق الكثير من اجل الوصول الى قانون انتخاب صحيح وليس عليها ان تتصرف كالشحاذ، ربما اصل انا الى القول بأن نقل الناخبين يجب ان يكون على حساب الدولة لنتخلص من هذه الرواية، لان هناك وصفاً غير طبيعي. لدينا اعداد تفيد ان النسبة الاكبر من السكان ربما يقيمون في غير مكان الاقتراع. اذا الدولة اللبنانية تحملت نفقات الانتخاب برأيي تصبح العملية الانتخابية اكثر رقياً. لانه حسب الانتخابات وملاحظتي للانتخابات التي شاركت فيها بطريقة او بأخرى، انه امر مهين جداً عملية نقل الناخبين وعرضة للتأثير عليهم بطريقة غير مشروعة. المهم ان نقول ما هي المسائل الاساسية في قانون الانتخاب. ومن ثم، نقوم بالخطوة رقم 2، اي ما مشكلات القانون الانتخاب؟ يمكن وضع لائحة بها وهذا ما نسميه Thématisation. ثم اعمل لائحة ثانية بعدها اسمها Problématisation. فأن اذا نقول لي

كيف منهجياً تناول قانون الانتخاب، فإن أول شيء أقوم بنوع من التفكير الاساسي بمكانة قانون الانتخاب ووظائفه الاجتماعية والسياسية. بعد توضيح هذا الشيء وفي الرقم 3 اتحدث عن مشكلات قانون الانتخاب. واحب ان ينتشر هذا التفكير.

سؤال: هل انت من انصار الدائرة الصغرى بمعنى القضاء؟

جواب: المبدأ الذي انطلق منه هو اصغر دائرة ممكنة اي بقدر ما تستطيع ان اقطع اكثر اقطع. اي يقتضي اعتمادات تقسيمات الدوائر انتخابية اصغر حجماً حتى من القضاء.

سؤال: لا وجود خوف من التوقع او الانغلاق التي سميتها لسبب هو توفر ثوابت واستنتاجات هي انه في دائرة كسروان التي يغلب عليها التجانس او الصغار المذهبي او الديني هل يمكن العثور على خطاب وان ل احد نواب كسروان يتضمن لجهة طائفية؟ ان صم اجد في خطاب اي منهم لغة طائفية؟ بل على العكس نجد انهم يغلبون الاعتدال رغم تجانس قضائهم. هل انت موافق على ذلك؟

جواب: تابعت انتخابات كسروان عن قرب لان شقيقي الآخر كان مرشحاً هناك. ورأيت ما هي الاجراءات وعمليات تشكيل اللوائح وتمثيل مختلف المجموعات رغم وجود اقلية ساحقة من الموارد مع اقلية شعبية وقل بكثير من الارثونكس والسنة اجمالاً هناك بعض الكاثوليك كما في كفرزيبان. كما لاحظت ان كسروان وجبيل ويجب الا تكون دائرة واحدة. هناك الجرد والجبل وجبيل. ليس هذا بعد". وعلينا اختبار شيء معبر. دائرة جبيل كسروان تحددت من ضمن التوازنات الطائفية العامة. الموارد ارادوا دائرة تشمل كسروان وجبيل في مقابل طوائف اخرى نالت حصتها. وهذا التقسيم غير خاضع لمبدأ صحيح. واضح ان اهالي جبيل لديهم قضايا مستقلة عن اهالي كسروان. وواضح انه في كسروان يمكن لحسن التمثيل ان نقسم كسروان عدة دوائر. ورأيت اول ما اذهب اليه ان يصار الى اخذ الشيء المثالي بالنسبة لصحة التمثيل. بأية نتيجة نخرج؟ نخرج بأصغر دائرة. قد يقول البعض بأن هذا التقسيم ينطوي على مخاطر. وعلينا

النظر اذا كان في الامكان التعويض باعتماد انتخاب على درجة او درجتين او بمجلسين او بمعالجة المسائل الاخرى في قانون الانتخاب لتدارك الانطلاق وغيرها. وهذا يحتاج الى تفكير خلاف ما زال غير موجود لان عقلنا مجمد على الدائرة الصغرى او الكبيرة، او السوريين والمسلمين والمسيحيين وروايات مماثلة. لم اجد احد يدرس الاحتمالات المختلفة كي يعثر على حل للمشكلات الحقيقية لا التغطية عليها.

سؤال: اذا قسمنا وذهبنا الى اقصى حدود التقطيع في دوائر انتخابية جديدة الا يفرض العيش المشترك ان تكون هذه الدوائر متنوعة في تركيبتها؟

جواب: ليس العيش المشترك على هذا المستوى اطلاقاً. العيش المشترك هو ان غرر الادارة من الطائفية. ثم اننا نفتعل مشاكل على كل حاجب وعلى كل رئيس جمهورية ورئيس حكومة ورئيس مجلس وزير وغيره... ما هذا! هذا يعني اننا وصلنا اما صدور الكارثة. النظام في لبنان وصل الى حدود الكارثة. ليس الامر متعلق بالنظام السياسي. انها كارثة على الكيان ولا يمكننا المزاح في هذه المسألة. هناك تحديات كبيرة جداً.

سؤال: عام 1996 كلفت بدراسة الانتخابات ي محافظة البقاع التي جرت يومها على اساس المحافظة وكانت المرة الاولى التي يعتمد فيها هذا التقطيع منذ الخمسينات، وتبين لي ان النتيجة على ارتباط وثيق بعلم النفس السياسي. ففي الماضي عندما كانت انتخابات البقاع تجري على اساس الاقضية كان شيعية بعلبك يصوتون بشكل حاسم لمرشحين الطوائف الاخرى المسيحية والسنية. يأتون بهم نواباً، وفي زحله ايضاً كان الكاثوليك خصوصاً والمسيحيين عموماً ينتخبون نوابهم ويؤثرون بفاعليه في انتخاب نواب الطوائف الاسلامية، وفي البقاع الغربي كان السنة الذين يمثلون الاكثرية يأتون بنواب الطوائف الاخرى. لكن هذا الواقع على اساس القضاء اوجد اطمئناناً بين الطوائف وعندما فتحت صدور القضاء ودارت الانتخابات على المحافظة كلنا نذكر رواج شائعات بين بعلبك وزحله وبين "حزب الله" وجماعة ايلي سكاف فسار التشطيب على اساس العامل المذهبي من شكل فشلاً لتجربة الدائرة التي اعادت احياء كل الهواجس والرواتب

الطائفية. وهذا خطير بعد الحرب حيث كنا متجهين في مشروع العيش المشترك، فجاءت هذه الظاهرة خلال الانتخابات وكأنها الحرب ولكن بطريقة اخرى هي حرب التشطيب. وهذا ما حصل. المقصود انه كلما صغرنا حجم الدوائر كلما رفعنا درجة الاطمئنان لدى ناخبي الطوائف. وكلما كبرنا الدائرة كلما تعاضمة الهواجس لدى الطوائف بما فيها الشيعية الذين يمثلون الاكثرية في البقاع حيث ان يخشون من ان تتحكم الاقليات الصغرى بتبايناتهم. الشيعة ليسوا كلهم في نفس الخط. وهناك "حزب الله" والرئيس حسين الحسيني، وحركة "امل". وتتسأ المخاوف من الاقليات الصغرى وخصوصاً من تحكمه بالتباينات الشيعية بشكل ان تغرض نواب الشيعة. وهذا يخلق هواجس عند كل الطوائف. فما رأيك بهذا؟

جواب: رأيي انه بالنسبة لتجربة الانتخابات سواء في 1992 او في 1996 او 2000 لدي تحفظ على نتائج اي دراسة بالنسبة الانعدام شروط الحد الادنى من حرية الانتخابات ومن الانتخابات الطبيعية. هل ان المظاهر الحربية التي شهدتها بعض القرى واطلاق صواريخ اثناء جولة انتخابية. وتساءل بعدها كيف تظبط الامور؟ اذا كان المقصود اجراء اختبار لهذه ليست شروط مناسبة للاختبار. بالعكس كل شيء يطير في مثل هكذا ظروف حزب الله عام 1992 عمل جولة انتخابية صاروخية في دير الاحمر المارونية وحطم الصناديق في عرسال التي هي قرية سنية. وهي قريتان مهمتان. تجربة انتخابات 92 و96 و2000 اظهرت انها تجري في ظروف غير ملائمة للاستدلال بوقائعها على شيء. كامل قصة الطائف، ليس فقط الانتخابات التي جرت بعد اتفاق الطائف انا عاجز على ان اعطي نتيجة اذا كانت صحيحة ام لا، لان شروط التطبيق ليس شروطاً صالحة. هناك تدخل خارجي الى هذه الدرجة ونحن نطبق اتفاق الطائف. لا يطبق اتفاق الطائف بمثل هكذا تدخل سوري الى هذه الدرجة. لا شيء اسمه اتفاق الطائف يطبق. اذا سألتني عما اذا كانت التجربة جيدة او سيئة. فانا عاجز عن ان اجيبك. ففي ضوء تجربة السنوات الماضية تبين لنا، وهناك اشخاص كثيرون بصورة رخيصة يجرون استنتاجات حول هذه المسائل. اعتقد انها بصورة مصغرة في الاخير لان هذه التجربة غير مستوفية للشروط اللازمة للبناء عليها ولاستخلاص دروس. نبدأ من الاول: السلطة في لبنان

بحاجة الى اعادة تكوين ومقدار السيادة المتوفرة للبنان في الوقت الحاضر هو مقدار غير مقبول ليس لدينا اي شيء من مقومات السيادة.

سؤال: ما هي القضايا التي تعتبرها اساسية في Théotisation؟

جواب: الرقابة على الانتخابات واجب اي لبناني ان يساهم في التوصل الى قانون انتخاب مقبول ليست المسألة نظرية محض.

سؤال: هناك اضطراب واختلاف في نظرة جميع الاحزاب الى حجم الدوائر الانتخابية، فما رأيك بهذا؟

جواب: هناك مبدأ عام بالنسبة الى لبنان في الانتخابات وفي غير الانتخابات في السياسة وفي الاجماع. هناك ضرورة لمراعاة ضمانات راجية الاعتبار، هذا من جهة اولى اذا اردنا قياس قانون الانتخاب علينا قياسه على الاشياء الاساسية انه في هناك تعدد طائفي. الجماعات الطائفية ونحن نضع قانون انتخاب علينا ان نجد طريقة بالا تشعر هذه الجماعات بأنها منبوذة او مقلوبة على امرها. ان الوم خصوصاً بعض المسيحيين الذين يسوقون افكاراً مضرة جداً. فكرة تسكير النظام على طبيعته الطائفية بهذا الشكل هي طبيعة مضرة بالبلد ككل وبالمسيحيين قبل غيرهم. هناك مسألة اساسية لا يمكن تجاوزها، وصلنا بمراعاة المسألة الطائفية الى درجة لم يعد اللبناني هو صاحب التوق. بل اصبح اصحاب الحقوق اثنان: الطوائف وسوريا اللذين يمتنون على الفرد. ومن ثم كفرد يعطى شيء. حقيقة الامر رتبته فكرة لبنان وحقيقة بناء كل الدولة اللبنانية، اصحاب الحقوق هم اللبنانيين. اصحاب الحقوق يمدنون على الطوائف ويمدون سوريا كيف نظبط علاقتنا معها. في حين ان الامر انقلب، اصبحنا ننتظر سوريا ماذا تعطينا اذا بقي شيء حيث ترمي لنا القليل، والطوائف ترمي لنا التعليل من الفئات. هذا غير مقبول ولا يركب دولة في العالم الحديث. هذه مزحة.

بعض انواع التفكير اوصلتنا في وقت، كان في قسم كبير من اللبنانيين ينكرون الطائفية انكاراً تاماً ويتحدثون عن عدم طائفيهم، من اليمين واليسار. جاء وقت ظهرت فيه ضرورة

الاعتراف بالعامل الطائفي وكيفية معالجته. وما بين انكاره وما بين ان نؤيده. كلا، لا يمكن اجراء هذا الشيء. سأعطي مثل عن فساد كل الفكرة. ولبنان لا يركب هكذا. ولبنان لم يصبح دولة: ربما بعض المسيحيين اعتقدوا انهم ينشئون دولة مسيحية. هذه الفكرة في الاساس. ولكن لا شيء في دستور لبنان يقدر ان يوصل الى بناء دولة مسيحية، قبل ان نتحدث عن الواقع.

سؤال: ذكرت ان العيش المشترك غير مرتبط لا بتجانس ولا بتنوع الدوائر الانتخابية.

هل يمكنكم توضيح هذه الفكرة؟

جواب: في الوقت الحاضر في لبنان الذي هو دولة يفترض ان تكون متجهة ان تكون دولة حديثة. ومن دون ذلك فلا طعم للبنان. في لبنان وصف الى حد انكار حرية الاعتقاد، وانكار حرية التصرف باسم المحافظة على الطوائف. في الاول اسألك سؤال انت شخصياً: متى احد استشارك بأنك انت ماروني او غير ماروني؟ ايفعل هذا ان يكون الدين بالوراثة؟ لا شيء في المسيحية او الاسلام يقول ان الدين بالوراثة. اريد ان اترك النظام الطائفي لاصحابه وللذين يسرهم وللقائلين بأنه الى الابد. لكن قبل لنبدأ بأبسط شيء، عندما يصبح عمر الانسان 18 سنة يفترض ان يتوجه الى مأمور النفوس ويقول له بأنه عمل ورقة تسمح له بالتسجيل على خانة الموازنة واخضع لقوانينهم في الاحوال الشخصية. وهذه ورقة من المسؤول المعتمد لدى الدولة اللبنانية انه هذا مرجع الطائفة المارونية، اقبل الشخص كي يدخل في المذهب. هل هكذا تصير الامور؟ كيف اذاً؟ ويقول من ثم ان هناك حركات اصولية. صحيح لكنهم جردوا الدين من اي علاقة بحرية الشخص وبحرية اعتقاده وجعلوها علاقة قبلية فقط. اذا كنت انا مسلم او مسيحي وذهبت ومعي ورقة اقدمها واطلب فيها وضعي في الخانة التي اريد، ولدي موافقة من المرجع الديني. هناك مقدار من الالتزام مهم جداً ليس فقط للحفاظ على حريتي بل للحياة الرومية نفسها. هذا التزام وليس مزحة. وذاك الذي يقبل الناس مسلمين او مسيحيين من دون استيفاء شروط المسيحية او الاسلام ما علاقته بالدين المسيحي او المسلم. هناك نقطة بسيطة، لا اريد البحث في تغيير النظام الطائفي او عدم تغييره، زيد ان نعطي للافراد حرية الانتساب. هناك اشخاص لا يريدون ان يتسجلوا ولا يريدون ان يقدمون تصريح اداري ربما لانهم غير مؤمنين وربما لانهم

مؤمنين ولا يريدون تقديم تصريح اداري. هل نعمل من الدين قبيلة؟ هذا عندما نتحدث عن الديمقراطية والانتخابات، هذه اساس القصة اي وجود الفرد. نتحدث عن الدائرة وغيرها ولذلك يجب ان تتوضح هذه الامور. عندما نراعي العامل الطائفي وصحة التمثيل وكل القضايا الاخرى، لكنني في الاول اريد ان يكون الانسان موجوداً. توصلت الطوائف الى انكار وجود الافراد لانها هي صاحبة الحقوق وتعطي للشخص ان يتصرف على قدر ما تريد. الشخص هو صاحب الحق، ولها هي الحق بأن تعيش كحياة جماعية كدين او كمذهب. قانون الانتخاب ويجب ان يكون له علاقة بهذه المسألة. لا يمكننا ان نكمل الى الامام. وصلت الامور الى حدود مضحكة ان التنظيم للنظام الطائفي باعتباره شيء رائع. ما هذا الشيء الرائع؟ اريد وجود فرد. كل الحداثة مرتكزة على وجود الفرد، وعلى وجود الابداعية. اذا انكرت لي حقوقي من الآن في اختيار هذا الامر الخطية الذي هو الدين، وتقول لي بأنك شخصية مستقلة ذات امكانات خلاقة هذا مزاح.

نعود الى مسألة التجانس عندما تكون الدائرة صغيرة الحجم، التناقص والانقسامات تحصل اكثر داخل المناطق وداخل الطائفة. لا ارى انا كيف يصر حماس طائفي او تحريض طائفي. بل على العكس انا لا اهتم بها من هذه الزاوية في الدائرة الفردية. لكن من المعروف في التجربة العالمية ان تصغير الدائرة يؤدي الى ضيق افق المرشحين وبرامجهم، لان هناك مهمات ليست متعلقة بمنطقة صغيرة، بل متعلقة ببلد بكامل هنا المشكلة رقم 1. والمشكلة رقم 2 بالنسبة للبنان ان هناك اتفاق على ان يكون مجلس النواب مناصفة بين المسلمين والمسيحيين وبغض النظر عن اعدادهم في ظل النظام الطائفي ومتى يتم تجاوز الطائفية بطريقة من الطرق المقبولة. عندما نريد ان نقسم الدوائر سوف تجد كيف يمكنك في الوقت الحاضر ان تحافظ على نوع من التوازن. هذا يحتاج الى درس لانه لا توجد معطيات ديموغرافية وسياسية اكيدة. وعلى الاقل ان لا املكها ولم يتيسر لي ان اقرؤها عند احد لاجري لها تحليلاً. هناك معطيات ديموغرافية وسياسية ضروري جداً بحثها البحث في تقسيم الدوائر. الطريقة التي تتبعها تتبع عادة كمنهج صالح لتدبير العمل. قاعدة اولى: ان تصغر الدائرة الى اقصى حد تحصل على صحة التمثيل. هناك امور اخرى يجب ان تأخذ بالاعتبار ونقوم بالبحث عن تدابير توفق بين المبادئ التي قد تتعارض فيما بينها ولكن تؤدي الوظائف المطلوبة منها. هذا لم اجده، على حد علمي

في دراسات عن الانتخابات. لكن لا يهمني فقط المنهج بالنسبة للدائرة او غيرها، ما يهمني ايضاً ان يكون اللبنانيون على علم واطلاع في هذا النوع من التساور العلني والشامل لكل القطاعات والمناطق، ومهم جداً لا يصالنا الى الحل المناسب. يجب ان نرى قيام حلقات تشاور في هذه المسألة على مستوى مختلف الدوائر والمناطق ونعطيها لائحة يتضمن المشروع الذي احدثك عنه ان تجهز ملف عن الانتخابات فيه المسائل والمشكلات وتوضعها بين ايدي الناس ليناقشوها بمختلف المناطق والقطاعات. ويعطونا آراءهم وردود فعلهم. هكذا مسائل لا يمكن ان نتوصل اليها بالتفكير النظري فقط. رأي النسا انفسهم مهم جداً. ان يطلعون على مشكلات، على الاقل نفق على رؤيتهم وتصورهم عن المشكلات ونأخذ في الاعتبار هذا الشيء. هذا لم يعمل بعد وانا مسرور انكم تتشاركون بين 4 او 5 مؤسسات من اجل قانون الانتخاب. هذه مقدمة ممتازة كي تكمل ويجعله موضوعاً شعبياً كثر واكثر وبصورة متواصلة.

سؤال: كيف يمكن للشعب اللبناني ان يساهم بهكذا مشروع؟ كيف يساهم في النقاش؟

جواب: لدي مشروع يتمحور حول تكوين مجموعة من مؤسسات واشخاص كي تفتح النقاش وتتابعه من خلال حلقات في كل المناطق. مثلاً نحن نعرف اكثر في قضايا البقاع. يمكن ان تجد اشخاص من كل...

سؤال: ماذا تقترح لدائرة بعلبك - الهرمل؟ ان تكون بعلبك دائرة والهرمل دائرة وشمسطار دائرة؟

جواب: اقترح تقسيماً اعمق. انا لست من دعاة الابقاء على دائرة بعلبك كما هي.

سؤال: كان هناك مشروع لدوائر انتخابية يقسم لبنان اقلياً يعني انه يجمع او يدمج بين بعلبك وكسروان في دائرة واحدة فما هو رأيك؟

جواب: هذا نوع من الحذقات لا يمكن ان تعمله. من خلال اطلاعي التاريخ وتجربتي المباشرة في الانتخابات، انا مع اصغر دائرة لمشاركة وشعور الناس ان يحددون او يختارون شيئاً.

سؤال: هل هذا يعبر عن موقف الرئيس حسين الحسيني لانه معروف انه يتمسك بالدائرة المحافظة؟

جواب: الرئيس الحسيني بحسب تجربته السياسية وهو سياسي مجرب في الانتخابات وغير الانتخابات يقول هذا الشيء. هذا يؤخذ في الاعتبار (المحافظة). انا بالنسبة لي الموضوع يجب ان يفتح ربما نتوصل بالنتيجة الى رأي الرئيس الحسيني او رأي شخص آخر. علينا اختبار الامكانات اذا كان لدينا 5 حلقات في البقاع الغربي تناقش قانون الانتخاب والحلقات تظهر لنا ما هي المشكلات. قد تقول لي في البقاع الغربي الناس يتعاطون مع بعضهم ولديهم مشكلات مشتركة، وهناك امكانية لطرح بصورة واقعية ومقبولة لانها دائرة. لننظم حلقة هناك ولندع الناس يتناقشون ويعطونا صدى على المسائل والمشكلات والمعلومات التي زودن حجم بها. الفكرة ان يكون هناك نوع من هيئة تنسيق بني المؤسسات التي تعنى بقانون الانتخاب وغيره من مسائل النظام السياسي، ان تقرر القيام بجهد مشترك وان تعمم هذا النقاش في قطاعات عند المحامين والمهندسين والاطباء وغيرهم. هناك نقطة، كما اننا كما ان الرسوم نرى اعمتنا كذلك اعمتنا الطائفة اصبحنا بالعمى من جراء الدائرة، كذلك اصبنا بالعمى من جراء الطائفة، رغم ان هناك نساء واجيال، وهناك اغنياء وفقراء. الا يؤخذ سوى فئة ضئيلة؟ هذا افكار ربما نجد حلول عندما نأخذ هذه الاعتبارات الضرورية ان تفكر فيها نجد حلول ونقدم شيء مقبول، على الاقل مقبول كفاية، كي يخرج اللبنانيون بانتخابات مقبولة ويعودون الى تقرير ماذا يريدون ان يفعلوا.

سؤال: برأيك ان الدائرة الواسعة جداً لماذا تساهم في النفوذ الخارجي؟

جواب: تقول لي نريد ان نعمل دائرة واحدة من اجل المساهمة في الوصول الى نظام احزاب. وانا اقول ان الدائرة الواحدة لا يمكن ان نعملها لان لا وجود لاحزاب. انها رواية تشبه

رواية النفوس والنصوص في الطائفية. واللبنانيون اصبحوا متخصصين في اختراع حلقات مفرغة لا يمكنك الزواج منها. وهناك اشخاص يعتمدون ذلك: قانون الانتخاب يحولونه الى قضية. ليس الى مشكلة، لان القضية تطالب فيها فتبيع وتشتري وتساوم. اذا مولتها الى مشكلة يصبح التساؤل كيف غلبها؟ لدينا مجموعة قضايا هناك اشخاص مختصين في استثمارهم: نفوس ونصوص، احزاب ودائرة واحدة...

الدائرة الواحدة في لبنان على الاقل في شعور اللبنانيين انها شيء يجعل مساهمتهم في القرار دون الصغر. في وضع الاعلام الانتخابي على هذا الشكل وفي وضع النفقات الانتخابية على هذا الشكل، وفي وضع التنظيمات السياسية على هذا الشكل، انك تطلب مني ان اعمل دائرة واحدة. ولن تكون دولة اجنبية واحدة بل تحالف دول اجنبية ضد تحالف دول اجنبية اخرى يتواجهان في الانتخابات. يقال ان الدائرة الواحدة شيء جيد. اذا بحثنا في مشكلاتها لكن علينا ان نأخذ في الاعتبار المبدأ التاريخي في لبنان بأنه كلما كبرت الدائرة كلما ازداد النفوذ الخارجي قد يقال بالمقابل انه كلما صغرت الدائرة كلما انغلق الناس على بعضهم، ليس فقط الانغلاق طائفي، قد يكون كذلك، لكنه قد يكون انغلاق مناطقي او عشائري. ولكن هذا يجعل اللبنانيين يشعرون بأنهم هم اصحاب الدولة في نظام يقوم على اصغر دائرة ممكنة. طبعاً لها مشاكل ولكن نحاول حلها، منها مشاكل الطوائف، الرجال والنساء، الاجيال، الاغنياء والفقراء. لهذا اصبح التفكير السياسي عقيماً لانه مجمد على بضعة مصطلحات وكلمات وقضايا وضعت للاستثمار ولم تتحول مشكلات نبحث عن حل لها.

سؤال: هل هناك خطورة من تصغير حجم الدائرة على خطاب المرشحين فيأتي اقل

اعتدال وعلى انتاج نخب وطنية؟

جواب: احياناً نجد ان مسؤولين كبار عن كل لبنان يمارسون انواع من التحريض فما

هو رأيك؟ ليس المهم اذا صغرنا الدائرة وتحدث المرشحون والنواب بخطاب طائفي، بل الهم ان رؤساء الجمهورية والمجلس والحكومة موجودة على مستوى كل لبنان بشرط الا يبيعوا طائفية.

المسألة هي في مكافحة الطائفية بصورة محقة من دون ان يعترض اي رجل وين على

ذلك. لكن في الاصل يقتضي السماح للناس بأن يختاروا ان يكونوا داخل الطائفة او خارجها.

بالنسبة للمسلمين اوجدوا لهم نزاعة ان يتحول الانسان الى مرشد وتكون عقوبته القتل. ليس صحيحًا هذا واذا توجب على احدهم شيء ما ليس قبل سن البلوغ او الرشد. فهل اختار في هذا السن التصريح الاداري او لم يختار؟ لا يمكن ان يكون الدين غصبًا عن الانسان. وهذا سبب البؤس الروحي وهؤلاء يتحدثون عن الحضارة المادية الغربية. ومن هذه الزاوية يعتبروا ان اغلب الناس في لبنان كفار والسبب هو اننا اضعنا فكرة الالتزام لاننا حولنا الذين الى الزام. الحياة الروحية فقيرة جدًا في لبنان ولا يمكن متابعة المسيرة ابدأ. نقول بأننا نريد مكافحة الطائفية في الدائرة الصغرى والدائرة الكبرى لنسمح بالاول للناس بأن يكون داخل الطائفة او خارجها قبل ان نتحدث بقانون احوال شخصية لانه قد يعلن فقط عشرة لبنان انهم لا يريدون الخروج خارج طوائفهم من حيث التصريح الاداري. عندما يكون الامر واضحًا ولماذا يكون قانون اختياري للاحوال الشخصية؟ ولكن اذا ظهر بان هناك اعداد من اللبنانيين يقولون بأنه بغض النظر عن كوننا مسلمين ومسيحيين في اعتقادنا لا تريد ان نتسجل هنا ولا نريد ان نخضع لهذا القانون. ان العلاقة مع الله هي مسألة شخصية أكانت في الدين الاسلامي ام في المسيحي. عند يوم الحساب هل نقول لله قال لنا البطريرك او المفتي بان نفعل كذا. انه يحاسبنا على ماذا فعلنا شخصيًا. فلا احد ينوب عن احد: "ولا تزرر وازرة وزير اخرى" هذا في الدين الاسلامي "وما ادراك ما يوم الدين" و"يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفسي شيئًا، والامر يوم اذ الله". هناك علاقة اختيار قبل ان يقول احد نريد ان نحد الطائفية بواسطة الدائرة والانتخابية. تحل الطائفية بأن نختار التصريح والانتساب اداريًا او لا نختار. ان فكرة تحويل الدائرة الانتخابية الى مجال متاجرة من حيث حقوق الطوائف او حقوق الوطن.

سؤال: هل يمكن البحث في الجغرافيا من ناحية النفقات الانتخابية. اي ما هي كلفة الانتخابات على اساس المحافظة وكلفة الانتخاب على الدائرة الاصغر. وما هي برأيك الكفة الانسب من حيث الاقتصاد؟ وهل يمكن اجراء نظام انتخابي لم يعد سوى عدد قليل من المرشحين قادرين على تحمل الكلفة الباهظة التي يرتبها عليهم؟

جواب: لا يمكن البحث في دائرة كبرى او في دائرة صغرى دون البحث في النفقات المترتبة وفي قضايا الدعاية الانتخابية. في الدائرة الصغرى لا علاقات وجاهية او مباشرة وفي الدائرة الكبرى يستند المرشح على وسائل الاعلام. ومن هم اصحاب وسائل الاعلام. في الدائرة الصغرى يمكن ان تجري الرقابة على الانتخابات بينما الدائرة تقسح المجال امام التلاعب ومختلف اشكال الانتهاكات. وهذه كلها يقتضي وضعها مع بعضها ولا يمكن عزل مسألة واحدة في قانون الانتخاب. وهذا معناه ليس فقط سياسي او تمثيلي بل كيانى. قانون الانتخاب يعني ان اللبنانيين اختاروا انفسهم كلبنانيين ان نظرنا في بنوده ووجدنا انها تدل على ان اللبنانيين فعلاً اختاروا انفسهم او اختاروا البقاء خاضعين لجهات اخرى او خاضعين للانغلاق دون غيرهم من اللبنانيين اي التحصن داخل طوائفهم شيعة وموارنة ودروراً... الخ. قانون الانتخاب هو قانون اختيار اللبنانيين لانفسهم هو قانون الصيغة العملية للعيش المشترك. تجاوز الطائفية فوضعي بند في اتفاق الطائفية. والدائرة الانتخابية مرتبطة بالمسألة الطائفية وعلى الاقل بالدعاية وبالصرع حول تصغير او تكبير الحجم. هذا نص على وجود هيئة للبحث في كيفية تخطي الطائفية، وهي هيئة دستورية من ادخلنا في قصة او رواية طويلة عريضة اولاً الهيئة دستورية، ثانياً مضطرين لمجلس نواب ولدينا مشكلة في هذا الاخير ان لا قبول بأنه مجلساً شرعياً. وسنة 1992 مثل سنة 2000. دخلنا بمتاجرة حول انشاء الهيئة الوطنية الخاصة بتجاوز الطائفية كما حد منصوص عنها في الدستور. واصبحت المسألة مرتبطة بالسوريين. رأيي انا ان المسألة الطائفية يجب ان تحظى بالتفكير والمعالجة الجدية. لدي ميل وكذلك لدي بعض الاشخاص لطمسها والقول بأنها غير موجودة. كيف تكون غير موجودة ونرى كل هذا الانهيار والفساد في الدولة اللبنانية؟ يسهل رمي المسؤولية على النفوذ السوري لكنه يستمد من جزء من وجوده من الانقسامات الطائفية. هناك طمس او محاولة تبرير من جهة، وهناك مسألة مزيدة مثال على طريقة مروان فارس الذي في كل مرة يردي ان يوقع عرائض على الهيئة لنزع الطائفية. علماً بأنه قومي سوري وعليه كل يوم ان يعمل لنزع الطائفية، لكنه لا يستقيم عليها الا عندما يحدث شيء آخر. هذا واضح بأنه نوع من مزيدة. نحن في اتفاق الطائف الكفرة الاساسية هي المشكلات الداخلية وسحبها كي نستطيع ان نكمل ونعيد بناء الدولة. لم نتوصل عبد الى هذا الشيء المسألة الطائفية لا يجب معالجتها عن طريق الطمس او المزيدة، في الدائرة الانتخابية الصغيرة او

الكبيرة او غيرها يقتضي التفكير وهناك مسؤولية فكرية قبل المسؤولية السياسية والشعبية في هذا السياق، كيف يمكن ان نتحدث عن حقوق الانسان وهناك اربع او خمس جمعيات صعب هل طرحت احدى هذه الجمعيات مسألة حرية الاعتقاد؟ انها اساسية انها حرية انتساب الانسان الى طائفية او عدم الانتساب. الطائفية هي واقع موضوعي وانت مجبور ان تكون موجودًا داخل طائفة.

سؤال: هل يمكن ايجاد اجماع حول مسألة حجم الدائرة؟

جواب: لا يمكن ان تعالج مسألة الدائرة فقط. اراهن على نوع من انتشار التشاور بين اللبنانيين حول مسائل قانون الانتخاب. اراهن على انك تقدم حلاً ليس فقط للدائرة الانتخابية لان هناك الرقابة والنققات والاعلام وهي ابرز المسائل المطروحة في الدائرة الانتخابية انها تطرح في نفس الوقت مسألة قانون الاحزاب وتمثيل النساء والشباب والاغنياء والفقراء. نحن في اي نظام اصبحنا. كيف نصل الى الحكم في لبنان؟ هناك 10 اعتبارات اسميتها 10 اعتمادات للوصول الى الحكم، وقررت ان اعمل فنجد اسمه المنجد الوصولي. اذا اردت ان تعمل نائب يبين لك هذا المنجد ما هي الاعتمادات التي يقتضي ان توفر لك. وما يتبين لنا في لبنان بحكم سوري عشرين طائفي، من خلال القاء نظرة على طبيعة الحكم. هذه لا احب ان استخدم كلمة ديموقراطية لانني الاحظ انه صار استخدامها مسيء للتكليف لماذا؟ لاننا نعمل على اشياء اولية اكثر. امر مسلم به ان اللبنانيين عبر تجربتهم التاريخية وعبر طبيعتهم ان يختاروا هم النواب وهذا امر جيد واراهن على هذا وهذا مكتسب. طبعًا هذا يتعرض للضغط عندما يأتي "حزب الله" ويقول اثناء الانتخابات بأن هناك تكليف شرعي بأن تنتخب فلان ما هو هذا التكليف الشرعي لاننا بذلك نلغي العملية كلها من اولها الى آخرها.

في الانتخابات الرئاسية الاميركية الاخيرة بدأ المرشحون يزايدون على بعضهم في المسائل الدينية والموقف من الكنائس يشعروا وخطوا بسرعة الى امام في هذه المزايدات الدينية وصار هناك ردة فعل فورية من الاميركيين شعروا ان المزايدات الدينية والاخذ بعين الاعتبار موقف الرئيس من الكنيسة الكاثوليكية او غيرها لم نعد الناخب هو صاحب الاختيار وصار هناك

ردة فعل سلبية ادت الى تراجع الكلام عن الدين. واعتقد ان الاميركيين متدينين اكثر من اللبنانيين. ولكن شعروا منذ تلك اللحظة ان العنصر الديني المعنى الافراد. تريد ان تعبد دائرة انتخابية صغيرة او كبيرة. من هو صاحب الحق. هل الطائفة؟ ما هي هذه الطائفة؟ روما تبت بالمسائل الشخصية عن المسيحيين!

مواقف السياسيين والمرشحين من الجغرافيا الانتخابية

تحقيقات ومقابلات

طوني جورج عطالله

ان المعيار الأساسي لمعرفة أكثر النظم ملائمة في الجغرافيا الانتخابية لبلد مثل لبنان يقوم على التنوع والتوازن بين الطوائف، يكمن في معرفة مدى ترسيخ التقسيمات الجغرافية المعتمدة للمبادئ الدستورية وميثاق العيش المشترك والتي تعتبر عوامل استقرار ديموقراطي ونزع للتوترات الطائفية. والمعيار الآخر الذي لا يقل أهمية عن الأول هو معرفة كيف يمكن التوفيق بين جغرافية التقسيمات الانتخابية وبين الانتخابات الحرة والنزيهة.

يستخلص من وقائع مقابلات أجريت مع عدد من الاخصائيين في الشؤون الانتخابية، من ذوي الميول والاتجاهات الحزبية والسياسية المتنوعة³³، ان الجغرافيا الانتخابية وتحديدًا حجم الدوائر هو على ارتباط وثيق بأكثر من عشرة عوامل رئيسية تؤثر بفاعلية في نتائج الانتخابات وديمقراطية الانتخابات. وبهذا المفهوم فإن الجغرافيا الانتخابية هي وسيلة للتحكم بنتائج العملية الانتخابية قبل وقت طويل من يوم الاقتراع.

كان الاعتقاد السائد قبل مباشرة المقابلات ان تقسيم الدوائر هو مسألة ذات طابع تقني لا يمكن إيجاد اجماع حولها. ومرد ذلك الى جدول مقارن بمواقف الاحزاب اللبنانية قمت بإعداده

³³. توجهت المقابلات الى الشخصيات التالية بحسب تاريخ المقابلة: السيد طلال الحسيني (2001/11/22)، النائب والوزير السابق الدكتور البير منصور (11/27)، الدكتور انطوان حداد أحد مؤسسي "حركة التجدد الديمقراطي" (11/28)، ونائب الشمال الدكتور فيصر معوض المنتخب للمرة الاولى في لائحة الوزير سليمان فرنجية (11/28).

عام 1995 في إطار تحقيق شمل 12 مسؤولاً في الاحزاب والقوى السياسية في لبنان. ويتبين من الجدول إضطراب مواقف الاحزاب والبلبله في نظرتها الى حجم الدائرة الانتخابية، فضلا عن ان المواقف كانت تتراوح بين هامش ينطلق من لبنان دائرة انتخابية واحدة، مروراً بالمحافظة واعادة رسم محافظات جديدة، وصولاً الى القضاء. اما اليوم فيظهر من المقابلات الاربعة ان الهامش تقلص بحيث بات يتراوح بين اعتماد قضاء أو اثنين مندمجين كحد أقصى، وبين تقسيم القضاء نفسه الى دوائر صغيرة أو فردية.

يتبين من المقابلات ان الدائرة الصغرى، اي القضاء او حتى الدائرة التي هي دونه مساحة، تتمتع بالخصائص التالية:

1. هي ملائمة للعيش المشترك لأنها تكسر الإنغلاق الطائفي بنقل التنافس الى داخل كل طائفة. ولا يخشى تالياً على العيش المشترك من دوائر صغرى يغلب عليها طابع التجانس، او صبغة دينية أو مذهبية معينة. وأوضح طلال الحسيني ان "قانون الانتخابات هو الصيغة العملية للعيش المشترك". وأكد الدكتور البير منصور ان "الدائرة الفردية اذا اعتمدت في المناطق المختلطة او المتجانسة، يصبح الإنقسام الطائفي شبه مستحيل".

2. الدائرة الصغرى هي الأكثر تمثيلاً للمواطنين. وبعكس ما كان يشاع، فإن هذه الدائرة تؤدي الى انتاج خطاب سياسي معتدل. مثلاً في قضاء كسروان الذي يتميز بطابعه شبه المتجانس، فإن أياً من نواب القضاء لم يتحدث بخطاب متطرف. وما يقال عن كسروان يصح على العديد من الاقضية اللبنانية الاخرى. وفي سياق الوظيفة التمثيلية للانتخابات اعتبر النائب قيصر معوض ان "الانتخابات هي حجر الزاوية ومحاولة لتمثيل الناس بأصدق ما يمكن". ذكر الدكتور انطوان حداد انه "ليس مطلوباً من قانون الانتخاب لا توحيد البلد اصطناعياً ولا فرزه اصطناعياً، بل تأمين صحة تمثيل اللبنانيين كما هم".

3. هي ملائمة بقوة لخفض النفقات الانتخابية ولحد من دور المال المفسد للانتخابات.

4. هي ملائمة بقوة لضمان حقوق المرشحين في دعاية انتخابية متوازنة، في وضع قد تقوم وسائل اعلام خاصة بالترويج لمالكها المرشحين. الدوائر الصغرى ذات طابع محصور ولا دوراً كبيراً لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة كما في الدوائر الكبرى. العلاقات الشخصية بين المرشح والناخب غالباً ما تتفوق على قوة الإعلام والمال والنفوذ.

5. هي ملائمة بقوة لتعزيز الرقابة الشعبية على الانتخابات ولضبط الوسائل المزيفة لارادة الناخبين. في الدائرة الكبرى يكثّر التلاعب والانتهاك، وتصبح الرقابة شبه منعدمة.
6. هي ملائمة بقوة لكبح نفوذ ومدخلات الخارج والسلطة عامة.
7. هي ملائمة بقوة لردم الهوة بين الحكام والمواطنين عن طريق بناء علاقات قوية بين الناخب والنائب بعيداً عن الوجاهة والمناسبات الاجتماعية المحض شكلية، مما يرفع مشاركة المواطنين في الانتخابات.
8. هي ملائمة بقوة للتنافس الديموقراطي. الدائرة الكبرى تضعف الطابع التنافسي للانتخابات والثقافة الانتخابية عامة.
9. هي ملائمة بقوة للحؤول دون شعور الطوائف بأنها منبوذة، او معزولة، أو مغلوية على أمرها من جراء تقسيمات انتخابية فضفاضة.
10. هي ملائمة بقوة لإعادة تكوين السلطة في لبنان.

ان القول بأن الدائرة الكبرى تساعد على قيام احزاب متنوعة او في نشوء اتجاهين كبيرين يتجسدان في حزبين هو قول بحاجة الى مزيد من التعمق. ان قانون 1960 باعتماده القضاء دائرة انتخابية ادى الى تنافس سياسي بين الحكم والمعارضة التي مكنها في انتخابات 1968 من تحقيق فوز على الشهابيين كان من نتائجه خسارتهم للانتخابات الرئاسية سنة 1970. لم يؤد هذا القانون الى استثثار الطبقة الحاكمة بالسلطة ولا الى بقائها فيها بصورة مستديمة، بل سمح بالتغيير عبر وصول خصومها السياسيين. وبرزت في ظل هذا القانون تكتلات واحزاب سياسية كان لها وجود قوي في مجلس النواب.

وعالم السياسة الفرنسي موريس دوفرليه نفسه لم يربط بين حجم الدوائر ووجود أحزاب عديدة مستقلة أو متحالفة، أو مجرد وجود حزبين كبيرين، بل ربط قيام الاحزاب وعلاقتها ببعضها بأنظمة الانتخاب النسبية أو الاكثرية على دورة واحدة أو دورتين. إضافة الى ان التكتلات السياسية المتنوعة والأهم في لبنان ما قبل الحرب مثل التكتل الشهابي (النهج) والكتلة الوطنية والدستوريين وحزب النداء القومي النخبوي ليس من المؤكد ان سبب نشوئها يعود حتمًا الى حجم الدائرة الانتخابية بقدر ما يعود الى وجود قيادات وسياسيين من طينة الرؤساء فؤاد

شهاب واميل اده وبشاره الخوري ورياض الصلح. وللأسف فإن غياب أو ضعف الاحزاب المتنوعة البنية في لبنان اليوم يعود الى ان معظم المسؤولين ليسوا على مستوى المرحلة. ان الدوائر الكبرى والمتوسطة تسمح بنشوء اقطاعات سياسية وفي تأييدها، مفسحة المجال امام سيطرة الزعيم الاقوى على الدائرة وعدم بروز نخب جديدة خصوصاً من طائفة الزعيم.

ان الدوائر الكبرى والمتوسطة هي الأحجام الأكثر ملائمة للنفوذ الخارجي وللوائح - المحدلة التي تتميز بالخصائص الآتية:

تجمع زعيماً شعبياً الى جانب عدد كبير من المرشحين يفتقرون الى الثقل الشعبي. رؤساء اللوائح يبدون فاقدو الإرادة او محدودو التأثير في تأليف لوائحهم التي تتدخل في تشكيلها أجهزة ومراجع محلية وخارجية. تساهم في تنامي انطباع عند الناس بأن أي تغيير سياسي جدي لن يكون متوقفاً عبر الانتخابات التي تتحول الى أشبه بمسرحية نتائجها محضرة سلفاً.

أبرز الاقتراحات التي قدمتها الشخصيات التي تم مقابلتها هو ضرورة اقامة ندوات في مختلف المناطق اللبنانية واشراك الناس في وضع قانون للانتخاب هو لهم أولاً وآخراً، وقيام حركة تشاور وضغط شعبي لاقرار القانون الذي يوافق عليه معظم اللبنانيين.

ان طبيعة الحكم التوافقي في لبنان يقوم على اربعة انواع من التوازنات: التوازن المؤسسي، والتوازن الشخصي بين النخب، والتوازن المناطقي والتوازن بين الطوائف. واذا لم تأتي الجغرافيا الانتخابية منسجمة مع طبيعة هذه التوازنات، فإنه يخشى ان تؤدي الى تغيير انقلابي في النظام.

جدول مقارنة بالشروط الملائمة وغير الملائمة لتوطيد الدوائر الانتخابية في لبنان

دائرة كبرى	دائرة صغرى	العوامل المؤثرة
0	+	العيش المشترك
--	0	الانصهار الوطني
غير مؤكد	++	قيام احزاب
0	++	تمثيل الناخبين
0	+	خطر الانغلاق الطائفي
++	++	خطاب معتدل
--	++	منع سيطرة التقليد ووصول مرشحين جدد
--	++	خفض النفقات الانتخابية
--	++	دعاية انتخابية متوازنة بين المرشحين
--	++	تعزيز الرقابة الشعبية وضبط التلاعب
--	++	كبح نفوذ مداخلات الخارج
--	++	علاقات قوية بين الناخب والنائب
-	+	رفع نسبة المشاركة في التصويت
--	+	اضفاء تنافس ديمقراطي على الانتخابات
--	++	الحؤول دون شعور بالنبذ او العزل
غير مدروس	غير مدروس	تتامي الشأن الوطني على حساب المحلي
-17	+ 24	المجموع

الرموز ++ ملائم جدًا

+ ملائم

0 لا ملائم ولا غير ملائم

- غير ملائم

-- غير ملائم بشدة

ما يريده جنبلاط من قانون الانتخاب (1)
تجربة القضاء معدلة للمساواة بين الاقليات المذهبية
نقولا ناصيف

في خطوة ترمي الى معاودة الحوار في قانون الانتخاب والخروج من الجمود الذي احاط السجال السياسي في شأنه، يعكف الحزب التقدمي الاشتراكي منذ اسابيع على مناقشة صيغ عدة للقانون الجديد، تستلهم دراسات وضعها مسؤولون وخبراء بغية ارساء قواعد قانون انتخاب يعتمد الدائرة الصغيرة، ترجمة للمخاوف والهواجس التي عبر عنها تكراراً رئيس الحزب وليد جنبلاط. ومع ان المناقشات الدائرة في الحزب حول هذه الدراسات لا تزال مستمرة، ولم يتخذ قراراً نهائياً في شأنها بعد، لكن الواضح منها ان الحزب حدد اخيراً ما يريده من قانون الانتخاب. او على الاقل قال بقانون الانتخاب الذي يريده تمييزاً لهواجسه ذات الصلة اولا وأخيراً بـ "الاحطار" التي تتهدد في رأي جنبلاط والحزب الطائفة الدرزية - كأقلية يعترف جنبلاط بالتراجع الكبير لعدد السكان - في وجودها السياسي ودورها داخل مؤسسات الدولة اللبنانية متى

اخضعت لانظمة تفقدها، من جهة، المقدرة على الاحتفاظ باستقلالها في اختيار ممثليها الى الحكم، وتعرضها، من جهة أخرى، لخطر الذوبان في كيان مذهبي آخر.

على ان ما تتسلح به الدراسات الثلاث التي اعدّها الحزب (دراسة حول قانون الانتخاب في لبنان" واقتراح تقسيم لبنان دوائر انتخابية" واستنتاجات حول عملية التمثيل النيابي في المحافظات)، في معرض تشبّثها بالدائرة الانتخابية الصغيرة، هو العدد الوافر من الاحصاءات والنسب المئوية والمعدلات الوسطية التي تدعم هذا الرأي وخصوصاً بازاء العامل التمثيلي، إذ تتباين ارقام المقترعين حيال ارقام الناخبين؟ وارقام تجاهل تضامن اللائحة حيال ارقام الالتزام، وارقام الاختيار المذهبي حيال ارقام وحدة اللائحة.

ليخلص الحزب من ذلك كله الى اقتراح مشروع قانون يعتمد الدائرة المصغرة التي اقرها قانون 26 نيسان 1960، معدلاً باضافة دائرتين انتخابيتين قسمتا كلا من قضاءي بعبدا والمتن الشمالي دائرتين اخريين: دائرة المتن الاعلى ودائرة ساحل المتن الجنوبي عوض قضاء بعبدا، ودائرة المتن الشمالي الاعلى ودائرة برج حمود بدلاً من قضاء المتن الشمالي.

تقطيعات بديلة

لكنه يطرح في المقابل خمسة اقتراحات بدائل لتقطيعات انتخابية محتملة، تركز قواعدها اساساً على قانون 1960، لتنتقل منه الى زيادة في عدد الدوائر، تشمل في معظمها قضاءي بعبدا والمتن الشمالي، ترسيخاً للدائرة الانتخابية الصغيرة.

بيد انه يذهب ابعد من ذلك الى القول بـ 11 دائرة بعضها يستلهم، جزئياً، قانون 1950 في عهد الرئيس بشارة الخوري والذي اجريت على اساسه انتخاب 1951. بذلك يترجح تقطيع الدوائر الذي يقترحه جنبلاط ما بين استعادة تجربة الرئيس فؤاد شهاب (قانون 1960 معدلاً) وتوسيع حجم الدائرة المحافظة بتقسيمها دوائر وسطى (تقسيم كل من جبل لبنان والشمال والجنوب والبقاع وبيروت دائرتين اثنتين)، وفي اقصى الاحتمالات جعل جبل لبنان دون سائر المحافظات الاربع الاخرى ثلاث دوائر انتخابية.

يؤول ذلك بحسب دراسة الحزب التقدمي الاشتراكي الى بضعة اقتراحات لقانون

الانتخاب.

الأول: 28 دائرة انتخابية تبقي تقطيع قانون 1960 على حاله مع اضافة 4 دوائر انتخابية هي: اثنتان لبعيدا (المتن الاعلى والضاحية) واخرين للمتن الشمالي (اعالي المتن الشمالي وبرج حمود - انطلياس - جل الديب - الزلقا - الجديدة - الفنار - الدكوانة - سن الفيل - البوشرية).

الثاني: 28 دائرة انتخابية تبقي تقطيع قانون 1960 على حاله مع اضافة 6 دوائر انتخابية هي: اثنتان لبعيدا (المتن الاعلى والضاحية) ومثلهما للضنية والمنية (بعد فصلهما)، واخرين لبعلك والهمل (بعد فصلهما)، ودمج الدائرة الثانية والثالثة في بيرون في دائرة واحدة.

الثالث: 29 دائرة انتخابية تبقي تقطيع قانون لبعيدا (المتن الاعلى والضاحية)، واثنان للمتن الشمالي (المتن الشمالي الاعلى وساحل المتن الشمالي)، واثنان للضنية وامنية (بعد فصلهما)، واثنان لبعلك والهمل (بعد فصلهما)، ودمج الدائرة الثانية والثالثة في بيروت في دائرة واحدة.

الرابع: تقسيم لبنان 11 دائرة انتخابية: الشوف - عاليه - بعيدا - المتن، جبيل - كسروان، الشمال الأولى (الكورة - بشري - زغرتا - البترون - مدينة طرابلس)، الشمال الثانية (عكار - المنية - الضنية)، زحلة (زحلة - راشيا والبقاع الغربي)، بعلبك - الهمل، النبطية (النبطية - مرجعيون، حاصبيا - بنت جبيل)، الجنوب (جزين - صيدا - الزهراني - صور)، بيروت الاولى (الاشرفية - المدور - الرميل - الصيفي - ميناء الحصن - المرفأ)، بيروت الثانية والثالثة (المزرعة - المصيطبة - رأس بيروت - زقاق البلاط - دار المريسة - الباشورة).

الخامس: تقسيم لبنان 10 دوائر انتخابية: جبل لبنان الجنوبي (الشوف - عاليه - بعيدا)، جبل لبنان الشمالي (المتن - كسروان - جبيل)، الشمال الاولى (الكورة - بشري - زغرتا - البترون - مدينة طرابلس)، الشمال الثانية (عكار - المنية - الهمل، النبطية -

مرجعيون - حاصبيا - بنت جبيل)، الجنوب (جزين - صيدا - الزهراني - صور)، بيروت الاولى (الاشرفية - المدور - الرميل - الصيفي - ميناء الحصن - المرفأ)، بيروت الثانية والثالثة (المرزعة - المصيطبة - رأس بيروت - زقاق البلاط - دار المريسة - الباشورة).

الدائرة المسيسية

لكن الدراسات الثلاث التي وضعها الحزب تقرن السعي الى الدائرة الصغيرة بتسليمها بالنظام الطائفي الذي اعادت تكريسه مرحلة ما بعد الطائف. وتالياً الابقاء على التمثيل السياسي الطائفي قاعدة للمشاركة في السلطة. مما يحيل الدائرة الصغيرة هدفاً اساسياً تحافظ بها الاقليات الطائفية على حقوقها المشروعة في اختيار ممثليها، ومن ثم مشاركتهم في السلطة تبعاً لهذا المعيار.

الا ان اقتران الاصرار على هذا الحجم للدائرة الانتخابية بازاء تكريس النظام الطائفي يدفع بالحزب، طبقاً لمضمون الدراسات تلك، الى رفض اي تقطيع مغاير للدائرة الصغيرة، سواء كان معيار التقطيع المحافظة (الحالية) او الدائرة الواحدة، ما دامت تقضي كلها، في معرض دحض الحزب صحة الانصهار الوطني، الى تنويب الكيانات المذهبية الصغيرة في احدى هاتين الدائرتين الرائج الكلام عليهما في كيانات مذهبية اكبر تفسد بدورها صحة التمثيل السياسي والشعبي والتنزيح العادل للناخبين من ضمن الدائرة الانتخابية الواحدة وضمان التوازنات السياسية ذات الصلة بالاختيار الحر لممثلي المذاهب لدى المؤسسات الدستورية.

ليطرح من ذلك تعميم مشكلة الاقليات اللبنانية، القوية والضعيفة في وقت واحد. اذ:

- حيث تكون احدى هذه اكثرية في منطقة، فهي حكما اقلية في منطقة اخرى.
- وحيث يكون في وسع احدى هذه السيطرة على سائر الاقليات الاخرى في منطقة تشكل غالبيتها المرجحة. فهي حكماً كسائر الاقليات المذهبية اسيرة اكثرية مذهبية اخرى في منطقة اخرى.

اما دراسة الحزب التقدمي الاشتراكي التي حصلت عليها "النهار" فاوردت الآتي: () تعديل قانون الانتخابات من ابرز الاستحقاقات في المرحلة الحالية، لما () اهمية في اعادة رسم

الخريطة السياسية في بلد لا يزال يتميز نظامه السياسي بالتوزيع الطائفي للسلطة. فمن المعروف ان اتفاق الطائف قد اعد () التوازنات السياسية بين المسلمين والمسيحيين، وأبقى على جوهر النظام الطائفي بشكل قد كرس الاعراف الدستورية الماضية وثبت المواقع الطائفية على رأس السلطات الدستورية الاساسية، وجعل من مؤسسة مجلس الوزراء السلطة الاجرائية في البلاد. ان مشروع الغاء الطائفية السياسية الذي لحظه اتفاق الطائف. ونصت عليه المادة 95 من الدستور لم يأخذ طريقه الى التنفيذ، بل على العكس من ذلك اتجهت الحياة السياسية والدستورية في البلاد لتكريس التمثيل السياسي الطائفي في مؤسسات الدولة والتأكيد على الاعتراف بالطوائف ككيانات سياسية واجتماعية من خلال منحها تراخيص لانشاء جامعات دينية وتعزيز دورها كوسيط بين المواطن والدولة.

ان () الغاء الطائفية السياسية وتكريسها في النصوص والممارسة، وتثبيت المواقع الطائفية على رأس المؤسسات الدستورية الاساسية في البلاد، يؤكد استمرار العمل في النظام الطائفي، كما يؤكد بأن للاقليات الطائفية حقوقاً مشروعة في التمثيل السياسي تتأسس على امكان اختيار نوعية ممثليها الى الندوة النيابية والسلطة الاجرائية بشكل ينسجم مع طبيعة وجودها وطبيعة دورها ومع امكان اشتراكها في صنع القرار السياسي للدولة.

فالنظام الطائفي يبقى علة الحياة السياسية اللبنانية ولا بديل مستقبلاً عن الغاء الطائفية السياسية وجعل المواطنين متساوين سياسياً وحقوقياً ووظيفياً بعيداً عن انتمائهم المذهبي والطائفي، وما دامت الواجبات واحدة، فلماذا تبقى اذا حقوق المواطنين نسبية تبعاً للعديد المذهبية والطائفية؟

ان اعتماد دوائر انتخابية كبيرة يشكل العدد فيها القيمة الاساسية لاختيار الممثلين السياسيين يمس جوهر حقوق الاقليات ويمنع امكان مشاركتهم في السلطة السياسية ويقص من تعزيز مفاهيم الحرية والديمقراطية. والى حين الغاء الطائفية السياسية، لا يجوز، بل ويستحيل تدويب الطوائف الصغيرة في الاطر الطائفية الكبرى، ومثل هذه المشاريع، لا يمكن فهمها الا في اطار مشروع يهدف الى القضاء على الدور السياسية لبعض الطوائف (مثل الطائفة الدرزية

الاسلامية) التي لعبت في تاريخ لبنان دورا سياسيًا وطنيًا اساسيًا وما زالت حتى اليوم تشكل امتدادًا عربيًا واسلاميًا لا يمكن المساس بجوهره.

وعندما نتحدث عن الاقليات فهذا لا يعني طائفة واحدة، فالطائفة ذات الاكثرية العددية في منطقة ما هي الا اقلية في منطقة اخرى. وبالتالي فالكل اقلية في التوزيع الجغرافي في لبنان. وبما اننا نعيش في ظل نظام طائفي فلماذا اذا تخلي الطوائف الكبيرة في مناطق معينة عن اقليتها من ذات الطائفة في مناطق اخرى؟ من هنا، فإن اختيار الممثل السياسي الى الندوة النيابية يقوم في البلدان الديمقراطية، وفي المجتمعات التي تتكون من اقلية عدة على مبدأ حرية الاختيار وعلى مبدأ صون الشخصية، ان هذين المبدأين لا يمكن احترامهما الا ضمن الدوائر المصغرة، لما لهذه الدوائر من فعالية على مستوى التمثيل السياسي الصحيح، وعلى مستوى التأكيد على الشخصية الذاتية وعدم الذوبان في الاطر الكبيرة التي اقلعت عنها جميع الديمقراطيات العريقة من انكلترا الى فرنسا وغيرها من الدول، لأنها اثبتت تناقضها مع المفاهيم التي يتأسس عليها مبدأ حرية الاختيار ومبدأ صون الشخصية.

ان شعار الانصهار الوطني الذي تروج له بعض القوى السياسية لا يمكن ان تتحقق من خلال الدائرة الكبرى، التي تطغ فيها اكثرية طائفية على اقلية طائفية اخرى. ان النسب المتفاوتة بين المنتخبين في المحافظات في انتخابات عام 1996 تؤكد الدور الكبير للهوية المذهبية في الاقتراع، وغياب ما يسمى بشعار الانصهار الوطني.

ان تعزيز الانصهار الوطني يبدأ بإطلاق السياسات العامة التي تطال مفاهيم التربية والتعليم وتوحد كتاب التاريخ وتؤسس للتعريب الفعلي في جميع المناهج الدراسية.

ان الدائرة الصغرى التي يطالب بها الحزب التقدمي الاشتراكي تتوزع فيها نسب عادلة بين الطوائف، وهذه النسب تسمح بالابقاء على التوازنات السياسية التي نص عليها اتفاق الطائف، وقام على اساسها، وتتيح لابناء الاقليات الاختيار الحر لممثليها الى الندوة النيابية والسلطة الاجرائية بعيدًا عن الهيمنة العددية التي تمس جوهر التوافقية في النظام السياسي اللبناني، ريثما يتم الغاء الطائفية السياسية في لبنان.

أولاً: النتائج السلبية لاعتماد الدوائر الموسعة في انتخابات 1996.

يبدو واضحًا من خلال انتخابات 1996 ما سببته الدوائر الموسعة من سلبيات على صعيد المشاركة في الاقتراع وعلى صعيد نتائج الانتخابات، وهذه بعض الامثلة على ذلك، استنادًا الى الارقام الرسمية لوزارة الداخلية.

اسم الدائرة	محافظة البقاع	محافظة الشمال	محافظة بيروت	قضاء الشوف	قضاء عاليه	قضاء جبيل	قضاء كسروان	قضاء المتن
% المقترعين	%45	%39,8	%33,6	%52	%50	%55	%51	%45

وهنا نورد الملاحظات الآتية:

1. ان انخفاض نسبة الناخبين في بعض المحافظات سببه الاساسي عدم القناعة لدى المواطنين بالاقتراع لمرشحين لا تربطهم اي صلة بهم، فالعلاقة المباشرة بين الناخب والمرشح والتفاعل في ما بينهم شرط اساسي في عملية الاختبار، وهذا هو سبب التحول في اوروبا وغيرها من الدول من الدوائر الموسعة الى الدوائر الصغرى.

2. يبدو واضحًا الخلل الكبير الذي حصل في الدوائر الموسعة (مثل بيروت والبقاع والشمال) وضمن اللائحة الانتخابية الواحدة، حيث اقترح المواطنون اما لمرشح طائفهم او مذهبهم واما لمرشح القضاء.

محافظة البقاع

اسم المرشح	محمود حمدان	ابو امين السيد	ابراهيم سامي الخطيب	اسماعيل سكرية	مروان فارس	ملاحظات
عدد الاصوات	105192 صوتًا	93043 صوتًا	52361 صوتًا	41940 صوتًا	51501 صوت	لائحة واحدة

محافظة بيروت

اسم المرشح	رفيق الحريري	جميل الشماس	حسين يتيم	ملاحظات
عدد الاصوات	78714 صوتًا	29636 صوتًا	40252 صوتًا	لائحة واحدة

محافظة الشمال

اسم المرشح	نائلة معوض	جان عبيد	سليمان فرنجيه	عمر كرامي	سايد عقل
عدد الاصوات	108631 صوتا	62890 صوتا	95407 صوتا	69186 صوتًا	50325 صوتًا

3. اضافة الى ذلك بدا واضحًا في الدوائر الموسعة (المحافظات) ان المرشح الذي نال عددًا كبيرًا من الاصوات في قضائه، كانت الاصوات التي نالها في الاقضية الاخرى قليلة جدًا نسبيًا، احمد حبوس وهو الناجح الأول في محافظة الشمال 123124 صوتًا، نال في قضائه (طرابلس) 4,71% من المقترعين، بينما نال في البترون 22% وفي زغرتا 28% من المقترعين. من هنا، وكما ذكرنا سابقًا فإن اعتماد المحافظات، قد يؤمن اكثرية عددية لطائفة معينة وفي محافظة معينة، بينما الطائفة ذاتها تشكل اقلية عددية في محافظة اخرى وسنعطي بعض الامثلة على ذلك:

أ. ان الموازنة الذين يشكلون في جبل لبنان 47% من السكان، هم اقلية في محافظات اخرى (في الشمال 29%، في البقاع 12%، في الجنوب 11%، وفي بيروت 6%).

ب. ان الشيعة الذين يشكلون في الجنوب 65% وفي البقاع 41%، هم اقلية في محافظات اخرى (في جبل لبنان 5،7%، وفي بيروت 13%).

ج. ان السنة الذين يشكلون في بيروت اكثرية 40% وفي الشمال 49%، هم في الجنوب 11%، وفي البقاع 20%، وفي جبل لبنان 6%.

د. كذلك الكاثوليك الذين يشكلون اكثرية في زحلة، هم في محافظة البقاع 12%، وفي محافظة بيروت 5،0%، وفي محافظة جبل لبنان 6%.

هـ. ان الارثوذكس الذين يشكلون الاكثرية في بعض الاقضية (الدوائر المصغرة)، هم اقلية في الشمال 16% وفي البقاع 6%، وفي بيروت 11%.

و. كذلك الدروز الذين يشكلون 6،29% في الشوف وفي عاليه 5،46%، هم اقلية في باقي المحافظات (في بيروت 2،1%، وفي الجنوب 2%، وفي البقاع 3%، وفي جبل لبنان 17%).

وكذلك هي الحال بالنسبة الى الاقليات الاخرى مثل الأرمن والسريان.

MANQUE DEUX TABLEAUX

ثالثاً: اعتماد الدائرة المصغرة

لذلك وفي ضوء ما تقدم نقترح اعتماد الدائرة الصغرى في لبنان اي القضاء دائرة انتخابية واحدة وتعديل بعض الاقضية غير المتوازنة جغرافياً وسياسياً وطائفياً وعدم الربط بين المحافظة الانتخابية والمحافظة الادارية في قانون الانتخاب.

في ما يتعلق بقضاء بعيدا الذي يشكل خلافا في التوازن الجغرافي والسياسي والطائفي، حيث يشكل الدروز في هذا القضاء حوالي 15% من مجموع الناخبين، والشيعة حوالي 22%، وفي مثل هذه الدائرة فان اختيار النواب للمسلمين تقرره الاكثرية المسيحية في القضاء ونسبتها 5،59%.

اضافة الى ذلك فان جغرافية هذا القضاء الممتد من السمرلند غربا الى اعالي ترشيش شرقاً لا تشكل اي توازن اجتماعي.

لذلك نقترح تقسيم قضاء بعيدا الى دائرتين انتخابيتين:

الدائرة الاولى: المتن الاعلى (من عاريا الى ترشيش)، وهذه الدائرة تشكل توازناً جغرافياً وسياسياً ومذهبياً حيث ان نسبة الدرور 50% (18530 ناخباً)، ونسبة المسيحيين 50% (18300 ناخباً).

الدائرة الثانية: ضواحي بيروت (تضم الضاحية الجنوبية وبعيدا وفرن الشباك) اي المتن الجنوبي الساحلي حيث ان نسبة المسلمين في هذه الدائرة 38% ونسبة المسيحيين 62%. ويقسم المتن الشمال الى دائرتين:

أ. دائرة المتن الشمالي الاعلى: مسلمون 2369 ومسيحيون 66537.

ب. دائرة برج حمود وتضم برج حمود - انطلياس - جل الديب - الزلقة - الجديدة - الفنار - الدكوانة - سد البوشرية وسن الفيل: مسلمون 5728، ومسيحيون 67014.

ويبدو واضحا من خلال هذه الدراسة ان الحديث عن الانصهار الوطني وربطه بالدائرة الموسعة يفتقر الى ابسط القواعد والأسس التي تؤمن فعلا عملية التوحد والانصهار، ولو كان الانصهار الوطني مرتبطاً بالدائرة الموسعة، لكانت فرنسا ومثلها بريطانيا وغيرها من الدول الاوروبية العريقة بالديمقراطية والحرية، غير موحدة عضويًا وغير منصهرة وطنيًا كونها تعتمد الدائرة الفردية (فرنسا تعتمد الدائرة الفردية وفيها 491 نائبًا و 491 دائرة انتخابية).

وبما ان النظام المعمول به في لبنان خاصة بعد الطائف، هو نظام طائفي فمن الطبيعي جدًا اعتماد قانون انتخابي يؤمن الحفاظ على حقوق الطوائف والاقليات، وعدم تذييها في الطوائف الاكبر عددًا ريثما يتم الغاء القانون الطائفي في لبنان، فتنأمن الوحدة العضوية وتالياً الانصهار الوطني الحقيقي بين جميع المواطنين.

ما يريده جنبلاط من قانون الانتخاب؟

تكريس حقوق الاقليات لاختضاعها للأكثرية

يبدو واضحاً من حصيلة دراسات الحزب التقدمي الاشتراكي في قانون الانتخاب ابرز المقارنة بين الدائرة المحافظة والدائرة القضاء، وكلاهما جريتا، بلوغا منه الى الدائرة الاكثر ملاءمة واستجابة لمخاوف رئيس الحزب وليد جنبلاط. اما الدائرة الواحدة فتظل رهن وضع قانون انتخاب وطني خارج القيد الطائفي.

غير ان اكتفاء الحزب بالمقارنة تلك بين الدائرتين لم يلامس ما تحدث عنه تكراراً جنبلاط، بقبوله بدائرة واحدة مشروطة بالاقتراع النسبي، ولا وضعت الدراسات اقتراحات بآلياتها مكتفية بحصر توجهها بالدائرة القضاء وقرنها بعدد وافر من الصيغ المحتملة. وتالياً فان القضاء وحده هو الاحتمال المرجح للدائرة الانتخابية الذي يتمسك به جنبلاط.

مع ذلك اقتضت تلك المقارنة اساساً على اظهار عناصر التناقض بين الدائرة المحافظة والدائرة القضاء، مسكوناً بالهواجس والمخاوف. ليس بازاء مصير الدروز كاقلية لبنانية معرضة للذوبان في دائرة انتخابية كبيرة كالمحافظة غالبيتها مسيحية ومارونية خصوصاً (محافظة جبل لبنان) فحسب. بل كذلك بازاء الزعامة الشوفية التي تقترض، اول ما تقترض، دوراً سياسياً كبيراً للزعامة التاريخية الجنبلاطية القادرة على التمدد الى المذاهب الاخرى في نطاق منطقة النفوذ الدرزي.

وهو معنى ما يقصده الحزب باظهار احد ابرز مساوئ الدائرة المحافظة: تفكك التضامن والالتزام في الاقتراع في دائرة انتخابية واحدة كبيرة، تنشأ من الاقتراع فروق كبيرة بين الفائز الأول في اللاتحة الواحدة وبين الفائز الاخير، فضلاً عن اتسام الاقتراع، تبعاً للحجم الكبير للدائرة الانتخابية، بطابع التصويت المذهبي. فيقبل الناخبون على المرشح الاكثر التصاقاً بهم ويحجمون عن الاكثر بعداً، المنتمي جغرافياً الى الاطراف الاخرى القصية للدائرة المحافظة. وخصوصاً في الحقبة الشهابية في الستينات، يتجاوز مقعده الفردي النيابي الى استقطاب لائحة بكاملها مختلطة مذهبياً، استكمالاً منه لصورة الزعامة الوطنية التي استقر عليها سنوات طويلة.

بل في الواقع لم يعرف كمال جنبلاط تجربة انتخابية الا تلك المختلطة مذهبياً منذ ضم الرئيس فؤاد شهاب للدائرتين الفرديتين في الشوف واضحتا دائرة واحدة هي قضاء الشوف، كرسها قانون الانتخاب الصادر في 26 نيسان 1960. وبلت عليه منافسة خصمه التاريخي في الزعامة الشوفية الرئيس كميل شمعون: كلاهما يؤلف لائحة مختلة مذهبياً (فيما مرشحون دروز وموارنة

وسنة وكاثوليك) ينافس بها اللائحة المماثلة لخصمه. وفي الغالب، على امتداد البقية الشهابية في عهدي شهاب والرئيس شارل حلو، كانت حصة الاسد في نتائج الانتخابات المتعاقبة من نصيب لائحة جنبلاط، الرجل القوي في العهد الشهابي حتى عام 1969.

مغزى هذا الاستقطاب لم يختبره وليد جنبلاط تماما في الانتخابات النيابية العامة. على انه اختبر - وخلافاً لوالده - قيادة الطائفة الدرزية في جبل مدمر بحرب اهلية، أكثر من نصفه المسيحي لرغم على تركه بعد هزيمة. لذا طبعت اول تجربة انتخابية لجنبلاط الابن تأليف لائحة مختلطة مذهبياً، تماما على غرار ما كان يفعله كمال جنبلاط، يضمن فوزها وجود وليد جنبلاط بالذات في السلطة وزيراً ونائباً، فضلاً عن كونه في صلب معادلة التوازن السياسي الداخلي في البلاد الذي ترعاه سوريا. ويكون في المقابل تشبث جنبلاط بنجاح كل اعضاء اللائحة دافعاً لمرعاة مخاوفه: الدائرة الانتخابية الافضل (القضاء) لضمان مثل هذا النجاح، وفي الوقت نفسه تكريس زعامته على الشوف حصل ذلك في انتخابات 1992 ثم في انتخابات 1996، وفي المرتين نجح في () اللائحة باعضائها جميعاً وفي المرتين اخرج محافظة جبل لبنان بدعم العهد السابق لدمشق، من المعيار الذي () من سائر المحافظات الاخرى كدوائر انتخابية واقراها من تأثير الغالبية السكانية المسيحية ().

() موقف جنبلاط الاب كما جنبلاط الارين التلازم بين الزعامة الدرزية والزعامة الشوفية. وهو كذلك مغزى تركيز دراسات الحزب التقدمي الاشتراكي في الدفاع عن فكرتي التضامن والالتزام في اللائحة الواحدة، الملازم لصحة التمثيل السياسي والشعبي ودقته ولحرية الاختيار في انتخاب النائب الممثل لناخبيه في معرض تبريره طلب الدائرة القضاء اذ يعني التضامن داخل اللائحة الواحدة والتزام الناخبين للتصويت لها معرفة هؤلاء الناخبين بالمرشحين عن قرب من غير ان يصير للتصويت لهم بالضرورة مذهبياً. اذ ذلك تبدو للدائرة المحافظة النقيض الكامل للدائرة المحافظة.

وفي الواقع عرف كمال جنبلاط للدائرة المحافظة باكرا منذ ترشحه للمرة الاولى لانتخابات نيابية عامة عام 1943 عن دائرة محافظة جبل لبنان، خلفاً لصهره، المتوفى حديثاً، حكمت جنبلاط. ثم عرف التجربة مرة اخرى في انتخابات 1947 متحالفاً وشمعون في لائحة دستورية منافسة لللائحة دستوري اخرى تزعمها "السلطان" سليم (شقيق الرئيس بشارة الخوري)

ونجحت باعضائها جميعًا تقريبًا. ثم عرف الدائرة الصغيرة في انتخابات 1951 في لائحة "الجبهة الاشتراكية الوطنية" التي ضمته ايضا وشمعون وغسان تويني واميل البستاني وآخرين عن دائرة الشوف. ولاحقًا عرف كمال جنبلاط المعركة الانتخابية الصغيرة، عن مقعده هو فحسب، في الدائرة الفردية في دائرة بعقلين - جون (الشوف الاعلى واقليم الخروب) اللتين ترشح عنهما في انتخابات 1953 ونجح، وفي انتخابات 1957 وخسر بتأثير مباشر من خصمه اللدود شمعون، رئيس الجمهورية آنذاك. في الستينات ارسى زعامته الشوف بفضل الدائرة والقضاء.

في الدراسات الثلاث التي وضعها الحزب التقدمي الاشتراكي، ولا يزال يثار على مناقشتها حاليًا وارسل نسخا منها الى مسؤولين وشخصيات حزبية بغية استمراجها الرأي في ما يقترح من تقسيم للدوائر الانتخابية (28 دائرة / قضاء)... تتشر "النهار" مفهومه للتمثيل النيابي الصحيح في نطاق دائرة صغيرة معبرة عن ارادة الناخبين، واستنتاجاته عن سطوة مذاهب على اخرى، بعضها يلقي تعويضًا الا الدروز.

"النتائج الايجابية للدوائر المصغرة (القضاء) من خلال انتخابات الجبل 1996.

بينما في الدوائر المصغرة حيث اعتمد القضاء دائرة انتخابية واحدة يهدو الالتزام والتضامن بين اعضاء اللائحة الواحدة من جهة، وبين المواطنين والمرشحين من جهة ثانية اكثر ترابطًا.

قضاء الشوف

اسم المرشح	وليد جنبلاط	نبيل البستاني	خليل عبد النور	جورج ديب نعمة	علاء ترو	ملاحظات
عدد الاصوات	52032 صوتًا	49472 صوتًا	47380 صوتًا	44566 صوتًا	47974 صوتًا	لائحة واحدة

قضاء عاليه

اسم المرشح	أكرم شهيبي	عبد بجانني	انطوان الحتي	انطوان اندراوس	ملاحظات
عدد الاصوات	28805 صوتًا	24454 صوتًا	24534 صوتًا	26242 صوتًا	لائحة واحدة

قضاء بعبدا

اسم المرشح	أيمن شقير	الياس حبيقه	صلاح الحركة	باسم السبع	بيار دكاش	ملاحظات
عدد الاصوات	21697 صوتاً	25995 صوتاً	21367 صوتاً	27220 صوتاً	22072 صوتاً	لائحة واحدة

قضاء كسروان

اسم المرشح	منصور البون	رشيد الخازن	كميل زيادة	فارس بويز
عدد الاصوات	20133 صوتاً	17926 صوتاً	15418 صوتاً	14666 صوتاً

من هنا فان اعتماد الدوائر الانتخابية الموسعة يعني:

1. اخضاع الاقليات لقرار الاكثرية العددية، وهذا يتناقض مع وثيقة الوفاق الوطني (الطائف) التي كرسّت المواقع الطائفية والمذهبية على رأس السلطات الدستورية.
2. الغاء حقوق الاقليات في التمثيل السياسي وحرمانها من اختيار ممثليها بخضوعها للاكثرية العددية، بشكل لا ينسجم مع دورها في صناعة القرار السياسي.
3. ليس هنالك من رابط بين الدائرة الموسعة والانصهار الوطني في ظل النظام الطائفي، وان ما سبق واشرنا اليه في محافظات البقاع وبيروت والشمال خير دليل على ذلك.

"استنتاجات حول عملية تمثيل الطوائف في حال اعتماد الدوائر الموسعة (المحافظات).

أولاً: في الطوائف المسيحية:

- أ. في حال اعتماد المحافظات فان الطوائف المسيحية تؤمن وصول نوابها الى المجلس النيابي في محافظة جبل لبنان (25 نائباً مسيحياً)، حيث عدد الناخبين المسيحيين في الجبل 438449 ناخباً (اي 68% من مجموع الناخبين). كما انهم يقررون وصول نواب الطوائف الاسلامية وعددهم 10 نواب كون مجموع الطوائف الاسلامية في هذه المحافظة (268409

ناخبين أي 32% من مجموع ناخبي المحافظة). وبالتالي يؤمنون وصول 35 نائباً يخضعون لقرار الاكثرية المسيحية في الجبل.

ب. كذلك الامر بالنسبة الى محافظة الشمال وعدد نوابها 28 نائباً (15 نائباً مسيحياً و 13 نائباً مسلماً) ويشكل المسيحيون في هذه المحافظة (278713 ناخباً اي 48% من مجموع الناخبين). وبذلك يمكنهم ائصال 10 نواب مسيحيين على الاقل (البترون نائبان، بشري نائبان، زغرتا 3 نواب، والكورة 3 نواب).

ج. اذا، فالطوائف المسيحية باعتماد المحافظات الموسعة يمكنها ائصال 45 نائباً موزعين على النحو الآتي:

35 نائباً عن جبل لبنان و 10 نواب عن الشمال.
وهذا العدد يشكل 35% من اعضاء المجلس النيابي.

ثانياً - في الطوائف الاسلامية:

أ. ان الطوائف الاسلامية: في حال اعتماد المحافظات دوائر انتخابية، فان الطائفة الشيعية يمكنها ائصال اكثرية نواب البقاع (162414 ناخباً شيعياً أي 40،6% من مجموع الناخبين)، واكثرية نواب الجنوب (328162 ناخباً شيعياً اي 65% من مجموع الناخبين) البالغ عددهم الاجمالي 46 نائباً (14 مسلماً و 9 مسيحيين في البقاع، و 18 مسلماً و 5 مسيحيين في الجنوب، اي ما مجموعه 32 نائباً مسلماً و 14 نائباً مسيحياً. وهذا العدد يشكل 26% من اعضاء المجلس النيابي).

ب. اما السنة الذين يشكلون اكثرية في بيروت (155760 ناخباً أي 40% من مجموع الناخبين)، وكذلك في محافظة الشمال (282961 ناخباً أي 48،7% من مجموع ناخبي الشمال)، فانهم بالتالي يقررون مصير 19 نائباً في بيروت (9 مسلمين و 10 مسيحيين)، وفي الشمال يقررون مصير 18 نائباً على الاقل (طرابلس 8 نواب، المنية الضنية 3 نواب، عكار 7 نواب)، فيكون مجموع النواب الذين تقرر مصيرهم الاكثرية السنوية 37 نائباً اي 29% من مجموع الملجس النيابي.

ج. اما بالنسبة الى الدروز الموجودين فقط في جبل لبنان الجنوبي والذي تقرر مصير نوابهم الخمسة الاكثرية المسيحية في الجبل 438449 ناخباً اي 68% من مجموع الناخبين (والطائفة المارونية وحدها تشكل 47% من مجموع ناخبي الجبل). وفي حاصبيا حيث تقرر الاكثرية الشيعية مصير النائب الدرزي الوحيد (نسبة الدروز في الجنوب 1%)، وكذلك الامر بالنسبة الى المقعد الدرزي في البقاع (نسبة الدروز في البقاع 3،3%). وكذلك الامر بالنسبة الى بيروت حيث نسبة الدروز 1%. مما يؤكد ان تأثير الناخب الدرزي في اختيار مرشحيه في هذه المحافظات يكاد يكون شبه معدوم.

من هنا فخسارة الدروز ممثليهم الحقيقيين في نظام لا يزال يعتمد التوزيع الطائفي نتيجة الاكثرية المسيحية في الجبل لا يمكن تعويضه في مكان آخر، وكذلك الامر بالنسبة الى باقي المحافظات.

بينما خسارة المقاعد الثلاثة للشيعية في بعدا وجبيل يمكن تعويضها في مكان آخر (الجنوب والبقاع)، وخسارة مقاعد السنة الخمسة في البقاع والمقعد السنيين في الجبل يمكن تعويضهما في بيروت والشمال.

د. على أساس هذه الخلاصة يبدو واضحاً وضع بعض الطوائف باعتماد المحافظات الموسعة:

1. السنة 27 نائباً / غير مؤثرين في مصير 10 من نوابهم (نائبان في الجبل، 5 نواب في البقاع، و 3 في الجنوب).
2. الشيعة 27 نائباً/ غير مؤثرين في مصير 5 من نوابهم (3 في الجبل، و 2 في بيروت).
3. الموارنة 24 نائباً / غير مؤثرين في مصير 8 من نوابهم (نائب واحد في كل من طرابلس و عكار و زحلة و راشيا و بعلبك و بيروت و نائبان في جزين).

هـ. بينما يبدو واضحاً وضع باقي الطوائف:

1. الارثوذكس 14 نائباً / غير مؤثرين في مصير 9 من نوابهم (3 في الجبل، و واحد في كل من طرابلس و زحلة و راشيا و مرجعيون و اثنان في بيروت).

2. الكاثوليك 8 نواب / غير مؤثرين في مصير النواب الـ 8 (5 في الجبل، وواحد في كل من بيروت ورايا وحاصبيا).
وكذلك الامر بالنسبة الى باقي الطوائف ذات الاقلية العددية مثل الارمن والعلويين والبروتستانت وغيرهم.

و. هذا يؤدي الى الاستنتاج الآتي:

1. الموارنة يقررون وصول 35 نائباً في الجبل (25 مسيحياً و 10 مسلمين).
2. الشيعة يقررون وصول 46 نائباً في البقاع والجنوب (32 نائباً مسلماً، و 14 نائباً مسيحياً).
3. السنة يقررون وصول 27 نائباً في بيروت والشمال (22 نائباً مسلماً، و 15 نائباً مسيحياً).
4. اما النواب الـ 10 المسيحيون الباقون في الشمال (3 أرثوذكس في الكورة، و 3 موارنة في زغرتا، واثنان موارنة في كل من بشري والبترون) فيتقرر مصيرهم تبعاً للتحالفات. واذنا أخذنا انتخابات 1996 مثالا على ذلك، نرى ان النتائج العملية للانتخابات في المحافظات جاءت مطابقة تقريباً لهذه الاستنتاجات.

النسبة المئوية للناخبين وعدد النواب الحالي والنسبة الفعلية للنواب مقارنة مع عدد ناخبهم

المحافظة	الناخبون المسلمون %	عدد النواب المسلمين	(%) النواب المسلمون (الفعلي)	الناخبون المسيحيون (%)	عدد النواب المسيحيين	(%) النواب المسيحيون (الفعلي)
جبل لبنان	32%	10	28,6%	68%	25	71,4%
الشمال	52%	13	46,4%	48%	15	53,6%

البقاع	%64,7	14	%60,9	%35,3	9	%39,1
بيروت	%55	9	%45	%45	11	%55
الجنوب	%87,6	18	%78,3	%21,4	5	%21,7

من خلال هذا الجدول يتبين انه من الضروري اعادة توزيع النواب نسبة الى عدد الناخبين توزيعاً عادلاً.

تفاوت نسبة النواب مع نسبة الناخبين في المحافظات

اسم المحافظة	الطائفة	الناخبون (5)	عدد النواب	حصتهم الحالية بالنواب
جبل لبنان	ارثوذكس	%7,6	3	%806
	موارنة	%47	19	%54,3
	كاثوليك	% 5,8	2	%5,7
	ارمن	%5,7	1	%2,8
الشمال	السنة	%48,7	11	%39,3
	الموارنة	%29,2	9	%32,14
	ارثوذكس	%16,3	6	%21,4

خاتمة ومناقشات

Synthèse et Débats

الجغرافيا الانتخابية في لبنان:

"حكمة التمثيل الصحيح بدلاً من التلاعب به"

انطوان مسرّه

"انه أكثر حكمة الرضوخ للرأي العام بدل التلاعب به"، هذا التعبير الوارد في الكلمة الافتتاحية للأب سليم عبو، رئيس جامعة القديس يوسف، يختصر نتائج البحث الجماعي الذي نظمته "مجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف" و"المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم" بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور ومشاركة "الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية" و"الجمعية العربية للعلوم السياسية" و"مرصد الديمقراطية في لبنان" في مؤسسة جوزف ولور مغيزل، وشارك فيه أكثر من 80 من الجامعيين والباحثين والصحافيين والسياسيين.

تضمنت الندوة عرضاً لتحقيقات وتوثيق وقائع ومعطيات ولاستنتاجات على مستوى لبنان ككل وخلاصة عن مواقف سياسيين ومرشحين من خلال مقابلات جرت معهم حول موضوع الجغرافيا الانتخابية.

إشكالية مشروع الجغرافيا الانتخابية محورية بالنسبة للبنان لأسباب ثلاثة هي: ميثاق العيش المشترك حيث تقسيم الدوائر يؤمن الإنطباق مع روحية الهيئة الانتخابية الموحدة أو لا يؤمنه. والحكمة الانتخابية الجيدة التي تحد من الانحرافات غير الديمقراطية مثل النظام الأكثرية مطبقاً في دوائر كبيرة والموّلد للوائح - المحادل. والاعتبارات العملية التي تفترض إعادة النظر بالنظام الانتخابي كل دورتين أو ثلاث للحيلولة دون انتاج خبراء يفوزون لا بفضل شعبيتهم بل لمهارتهم في التحكم بالماكينه الانتخابية".

تركزت المناقشات حول ثلاثة محاور هي: إشكالية الجغرافيا الانتخابية في خصائص المجتمع اللبناني، وواقع التقسيمات الجغرافية وتأثيراتها، والتوجهات العملية.

1

مجاهاة التهميش ومنهجية مقارنة

أوضح أهداف الندوة غريغور ميرنغ، الممثل المقيم لمؤسسة كونراد اديناور في الاردن ولبنان، بأنها "ليست مهمة على مستوى لبنان كبلد عربي فحسب، بل على المستوى الإقليمي في سياق مقارن للنظم الانتخابية المعتمدة في الدول العربية". وأكد ان دراسة "مشاكل الجغرافيا الانتخابية اللبنانية في إطار دولي وعربي تكشف عمق ازمة التهميش اللاحقة بالعديد من التيارات والقوى السياسية". وتحدث المستشار في سفارة المانيا في لبنان غيدو عن "النظام الانتخابي في لبنان كتجربة ديموقراطية ذاتية هي حصيلة تاريخه وتقاليده حيث كل تكبير حولها يصب في مصلحة لبنان". وتوقف الدكتور محمد المجذوب، رئيس "الجمعية العربية للعلوم السياسية" عند الانعكاسات التي تتركها الجغرافيا ونظام الاقتراع على صورة النظام السياسي ككل، فيما ان تجعله ديموقراطياً تمثيلاً أو تؤدي به إلى الفساد والانحطاط".

حول وظيفة الجغرافيا الانتخابية في تأمين صحة التمثيل، تحدث الدكتور مصطفى سليمان عن تجربة "الانتخابات البلدية التي كانت مثلاً في صوت المواطن". واقترح نائب الجماعة الإسلامية السابق الدكتور زهير العبيدي ان يكون "لكل ناخب حق التصويت لأربعة مرشحين موزعين مناصفة بين المسلمين والمسيحيين حتى لا تبقى المحافظة عبارة عن محدة للطوائف". وأوضح الدكتور عصام سليمان ان "النظام الأكثرى لا يمكن اعتماده إلا في دوائر صغرى"، وقال "الدائرة الكبرى على مستوى المحافظة تشوه التمثيل خاصة إذا كانت قائمة على خلل ديموغرافي". وشدد الدكتور محمد ميشال الغريب على "الدائرة الفردية لتمكين مرشحين جدد من الوصول وللحد من دور المال" المفسد لديموقراطية الانتخابات. ورأت المحامية صونيا عطية ضرورة دستورية لتأمين "تمثيل كل المناطق والطوائف عبر اعتماد لبنان دائرة واحدة ولكن مع حصر حق الناخب بالتصويت لأربعة أو ستة مرشحين فقط". وتناولت كارول شرباتي قياس التمثيل الانتخابي وفاعليته.

وحول تأثير الجغرافيا والقانون الانتخابي على الاستقرار السياسي عامةً، تناول موريس نهرا كيفية مساهمة هذين العاملين في "رفع التوترات الطائفية أو في توفير مناخات الدمج والاعتدال". وذكر الدكتور سمير خوري ان كلمة "الانصهار بدلاً من الاندماج الوطني يقتصر استعمالها على الدستور اللبناني". وتطرق إلى الثوابت التي أوردتها المجلس الدستوري في قراراته الصادرة في 7 آب 1996، وتساءل "ما قيمة النصوص إذا لم تطبق؟". وقال الدكتور انطوان غصين ان "الجغرافيا الانتخابية هي على علاقة بالقانون الانتخابي ومفاعيله في المجال الجغرافي". وشرح آلية "استخدام الجغرافيا كأداة ساهمت في إعادة انتاج المنظومة الحاكمة المبنية على العائلية والمال والخارج والوجاهة".

وفي ما يتعلق بتنمية الشأن الوطني في برامج المرشحين، تحدث غريغور ميرنغ عن ضرورة "التطرق إلى مشاكل الدين العام والسياسات العامة المالية والضريبية والاجتماعية وإصلاح الإدارة وغيرها". وتناول الرئيس حسن القواس معضلة التدخلات الخارجية منذ الانتداب، لافتاً إلى "متغيرات وأوضاع خطيرة في العالم الشرقي بسبب تدخل دول كبرى في سياسات دول على طريق النمو". وذكر الدكتور مصطفى دندشلي ان "المدخلات تمر عبر النظام السياسي وان الجغرافيا الانتخابية والديموقراطية لا يمكن طرحها بمعزل عن النظام".

2

الجغرافيا وطبيعة التنافس

وحول الأبعاد النفسية في موضوع الجغرافيا الانتخابية، طرحت الدكتورة فاديا كيوان واقع التمركز الجغرافي للطوائف، وتساءلت: "كيف يكون سلوك الجماعة عندما تكون في تنافس مع نفسها؟ وما هو سلوكها مع غيرها؟ وهل وجود أرجحيات عديدة في مناطق يفكك عصبية الجماعات أم يزيدتها تشنجاً؟" واعتبرت انه "عندما تشعر أي طائفة بأنها تشكل أكثرية في دائرة تحاول توسيع نفوذها والسيطرة على الآخرين". وتحدثت الدكتور فريد الخازن عن "وظيفة الدوائر - الاقضية في تأمين التمثيل المتوازن والمقبول". وشدد المحامي سليمان تقي الدين على "الشعور بالرضا لدى جميع الطوائف من جراء قانون 1960 الذي رفع عدد الدوائر في لبنان إلى 26 مع إمكانية انقسام سياسي داخل الطوائف". في الجلسة الختامية التي ترأسها الدكتور وليد مبارك،

عرض الدكتور طوني عطاالله لجدول مقارن بالشروط الملائمة وغير الملائمة لتوطيد الدوائر الانتخابية في لبنان، مشيراً ان تجانس الدوائر الصغرى ليس بالضرورة مولداً للتطرف لأن التنافس داخل كل طائفة ينطبق مع العيش المشترك. وتحدث الدكتور جورج آصاف عن كيفية تقسيم الدوائر في إطار احترام مبدأ المساواة بين المواطنين في الانتخاب وأمام القانون.

3

موضوع اساسي في اطار قاعدة الكوتا واكثر خارجها

ليس موضوعنا "قانون الانتخاب" عامة، بل جزء من قانون الانتخاب وهو الجغرافية الانتخابية. لا شك ان كل شيء مرتبط بكل شيء، ولكن لدراسة موضوع هناك حاجة منهجية للتحليل ولفصل القضايا.

تظهر الدراسة التاريخية مشكلة الشارع الزمنية. حين نعالج مشكلة الشارع، نعالج عملياً مشكلة طائفية. وجعل الدوائر الانتخابية اكثر انسجاماً مع التمثيل المناطقي والتيارات والطوائف يحد من الشارع ويساهم في تخطي الطائفية. وافترضاً في حال الغاء قاعدة الكوتا في تمثيل الطوائف في المجالس النيابية في لبنان يقتضي حينئذ اكثر تجنب طغيان اكثريات على اقلية او العكس والا تتغذى المشاعر الطائفية من الجذور ويعاد انتاجها باشكال صراعية.

هناك مشكلة منهجية في علم السياسة في لبنان وفي علم السياسة العربي بشكل عام: نتخطى التشخيص ونذهب مباشرة الى المعالجة. يجب ان نقوم بعملية تشخيص *anatomie* و *physiologie* وبعد ذلك تأتي المعالجة.

كلمة "الغاء" مستعملة جداً في الدول العربية وللأسف، وليس فقط في قضية الطائفية. لا اعرف ان كانت العبارة سياسياً غير ديمقراطية! هناك الغاء في السياسة بمعنى الحل النهائي الجذري، كما كان يستعملها هتلر *La solution finale* وتأتي بمعنى الغاء. في قضية هندسية، بناء، نش على السطح، هناك شيء نسميه الغاء. لكن في السياسة ما هو الشيء الذي يسمى الغاء غير طريقة الـ *solution finale* على الطريقة النازية؟ كلمة الغاء تخيفني سياسياً في كل شيء، وليس فقط في الطائفية. سياسياً هناك تفاوض وتوفير مصالح، وشيء من الالغاء بمعنى الابدال (الغاء شيء بآخر)، ولكن ليس من الغاء الغائي.

في قضية التغيير هناك منهجية. ربما حين يطبق المرء ما لديه كما يجب ويحسن التطبيق، يصل الى نتيجة جيدة. ما هو موجود يشكل مدخلاً لصياغة قوانين اخرى. لكن الموجود يطبق بشكل سيء بسبب الممارسة. اذا وضعنا قانوناً جديداً وتم تطبيقه بشكل سيء فلن يحصل تغيير. ان تطبيق ما هو قائم بشكل جيد وحسن هو مدخل لعملية تغيير مستقبلية.

الكلام عن الطائفية لم يعد اليوم بريئاً. الذين يقدمون هذا الطرح عندهم براءة ومنهج علمي وتمنيات وارادة (وانا اشارك هذه الارادة). لكن ما الذي يحصل؟ ناس يقولون بالغاء الطائفية والسياسيون يتمادون في الممارسة الطائفية طالما هي موجودة. وقال احد السياسيين الكبار: طالما ان النظام طائفي نريد حصتنا!

النظام "الطائفي" غير مطبق في لبنان لسببين:

1. انه اساساً نظام منفتح اذ يسمح القانون منذ 1936 بانشاء طائفة من الحق العام. حصلت حملة لاعتماد نظام احوال شخصية اختياري النظام الموجود، يترك مجالاً لفتحه ولكنهم لا يطبقون. هناك حاجة الى ضغط لتطبيقه.
 2. النظام الطائفي "البغيض" يخضع لقوانين ادارية وقانونية. لا يمكن تعيين ايًا كان سفيراً او عميداً في الجامعة أو مديراً عاماً. التعيين خاضع لقواعد قانونية وادارية، ولكنه يتم تخطي القواعد القانونية والادارية على اساس الاستزلام. ربما لغاية سنة 1960 كنا نعاني من مشكلة عدم توفر مساواة ثقافية بين الناس، ولكن يوجد اليوم ناس من كل الطوائف ومن ارقى المستويات. ان التوجه الى تطبيق الموجود هو مدخل لتطبيقات اخرى افضل.
- المساواة في القوة التصويتية للناس تغير كثيراً من الحكمية الانتخابية. هناك قضية مرتبطة بقانون الانتخاب يجب ان نكون واعين لها، وهي كيف تدار الانتخابات. المفكرون والباحثون يقومون بمشاريع، ولا يتدخلون في قضية ادارة الانتخابات، وكيف تحصل الاخطاء في اللوائح، وهل سيتم الاشراف؟ في برنامج آخر ندخل في قضية ادارة الانتخابات وحكمية الانتخابات. اما اليوم فنركز على الجغرافية وما له علاقة مباشرة بالجغرافية، دون تكرار القضايا الاخرى، لان هناك تلاعب في الجغرافية، وكان التلاعب اساساً في العالم الـ "gerimandering" من خلال الجغرافية. اذا هناك مشكلة جغرافية في البلد.

4

الخلاصات والتوجهات

- يستخلص من اعمال ومناقشات الندوة سبعة مجالات لتوجيه البحوث والدراسات:
1. مبادئ المساواة والتواصل الجغرافي: هذان المبدأن المعترف بهما في الاجتهاد الانتخابي يقر بهما صراحة المجلس الدستوري بطريقة او بأخرى، ويقتضي تاليًا الأخذ بهما في التطبيقات العملية.
 2. النظام الاكثري المقيد: النظام الانتخابي الاكثري الذي يجمع اللوائح الكبرى يؤدي الى اختلال يقتضي تجنبه بواسطة النظام الاكثري حيث الأصوات تصبح محصورة في عدد من المرشحين يتراوح بين 4 و 6.
 3. التمثيل الطائفي الإجمالي: حيث انه يستحيل احترام مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة وغالبًا بشكل مصطنع على مستوى كل دائرة، لذا يقتضي تأمين الانطباق مع هذا المبدأ الذي بموجبه ينتخب مقترعون من طوائف متعددة مرشحين من عدة طوائف (المادة 4 من القانون الانتخابي).
 4. عدد النواب: يقتضي وقف كل منحي لزيادة العدد لأنه يستخدم غالبًا لتوسيع قاعدة النواب "الحلفاء والمستخدمين" بدلا من تعزيز التمثيل.
 5. قياس التمثيل: يقتضي توجيه هذا القياس نحو مقاربات اكثر نوعية بحيث تشمل مفهوم الحكمية التي بموجبها يمكن تعزيز الشرعية أو إضعافها.
 6. واقعية وتواضع: ان الدراسات والبحوث التي تهدف الى بلورة نظام انتخابي جديد في الطرف الراهن، يقتضي تركيزها على العوامل التي تحد من المفاعيل المتشائمة للدورات الثلاث الاخيرة والانحرافات المناقضة للديمقراطية. ان اي نظام إذا اتجه نحو مزيد من التسلط، فإن كل موضوع التقسيمات يصبح ثانويًا لأن مجمل العملية تتعرض للتزوير.
 7. السلوك الانتخابي: ان السلوك الانتخابي للبنانيين يشكل متغيرًا اساسيًا حيث تظهر الدراسات فقرًا كبيرًا في هذا المجال.

سبق ان نظم مجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف، الجمعة 6 تموز، طاوله مستديرة حول موضوع: "الجغرافية الانتخابية في لبنان: شروط التمثيل الديمقراطي"، بمشاركة عشرين من الجامعيين والباحثين والصحافيين بهدف وضع الخطوط العريضة عرضت نتائجه في مؤتمر الأول من كانون الأول 2001، في حرم مجال علم السياسة في جامعة القديس يوسف.

الدراسات الانتخابية في شكل عام منذ الستينات وحتى اليوم كانت تغرق كل المواضيع وتخلطها ببعضها: من اللائحة الانتخابية الى البطاقة والنقطة والجغرافية وغيرها. فيأتي من بعدها السياسيون ويقولون ان الناس مختلفين والآراء كثيرة، ويعملون اذاك ما يحلو لهم. لهذا السبب هدفنا ان نركز على الجغرافية، اقتناعاً منا انها تشكل الموضوع المحوري الذي تتفرع عنه القضايا الاخرى. وخصوصاً في بلد مثل لبنان حيث يقتضي مصالحه الناس مع الجغرافية التي اختلفنا معها وقسمناها فانشطرت. الجغرافية هي المكان الذي تمارس فيه المواطنة، وترتبط الناس بالارض وبالعامل السياسي داخل هذا المجال. عدا ان التنمية المتوازنة يبدو انها متعثرة في السلطة المركزية، وهناك اهداف محلية يجب اخذها في الاعتبار. ان الهدف الاساسي لكل عملية انتخابية، كي لا نؤدلجها في اندماج قسري، هو تمثيل الناس بأفضل طريقة ممكنة. لا دمجهم اصطناعياً، ولا فرزهم اصطناعياً. هذا هو مصدر الشرعية، وعندها يكون مجلس النواب مجال حوار دائم وتفاوض وتقرير.

تركزت مناقشات المشاركين حول ثلاثة محاور هي: اهداف الجغرافية الانتخابية، ووظائفها ومفاهيمها في اطار علم السياسة المقارن.

ابرز ما يمكن استخلاصه من افكار عن الاهداف هو تأكيد سليمان تقي الدين ان "القانون الانتخابي هو الدستور مطبقاً"، واشارة فاديا كيوان ان "المشروع يقدم مساهمة نظرية في علم السياسة المقارن وفائدة عملية تتمثل في السعي الى ضمان الحرية والمساواة، وتطبيق مبدأ الشعب مصدر السلطات، واحترام مواثيق العيش المشترك". وذكر عصام سليمان ان "اصطناع جغرافية تتعارض مع جوهر الصيغة التعددية في لبنان القائمة على التوازنات بين الطوائف والمناطق والتيارات، هو اصطناع ادى الى تمركز زعامات، بينما ورد في مقدمة الدستور ان لا شرعية لاي سلطة تناقض العيش المشترك". وشدد انطوان غصين على ان "التلاعب بالجغرافية الانتخابية يؤدي الى تعطيل روحية القوانين الانتخابية". واورد الدكتور مسرّه ان "النظام الانتخابي

اللبناني يقوم على مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة الذي بموجبه يشترك ناخبون من طوائف مختلفة في انتخاب مرشحين من طوائف مختلفة"، كأحد عوامل الاندماج في المجتمع اللبناني. وأكدت كارول شرياتي وجود "ارتباط وثيق بين المشاكل الانتخابية وتقطيع الدوائر لاهداف محض تتعلق باستغلالها من المتلاعبين انفسهم بدافع الاستفادة منها".

وحول وظائف الجغرافية الانتخابية، ابرزت مداخلة فريد الخازن ان "الوظيفتين الاساسيتين للقانون الانتخابي هما: صحة تمثيل الطوائف والمناطق والتيارات السياسية، والحد من المساوى التي ظهرت في الانتخابات الاخيرة من خلال التزوير ودور المال والبيوسطة او المحدلة. وتكمن اهمية الجغرافية الانتخابية في الحد من الاضرار". وعرض طوني عطاالله لجدول يظهر اضطراب مواقف الاحزاب والبلبله في نظرتها الى حجم الدائرة الانتخابية، ومدى "الارتباط بين علم النفس السياسي والجغرافية الانتخابية، لان شعور الناس بانهم مشاركون وممثلون في الحكم هو مصدر توازن واطمئنان بين الطوائف ينزع التطييف وتسييس الفروقات". وظهرت رانيا صفر لنتائج دراسة اعدتها عن حالات في السلوك الانتخابي المقارن بحسب التغييرات الجغرافية في بيروت.

وفيما يتعلق بمفاهيم الجغرافية الانتخابية في اطار النظرية السياسية العامة، ابرز عبدو قاعي ان "التقسيمات الادارية تحمل معنى مؤسسياً وخدماتياً وديموغرافياً وطائفيًا". واكد سليمان تقي الدين ان "التقسيمات الجغرافية الحالية هي تعبير عن كيانات تكونت عبر التاريخ". وشرح جهاد نمور اهمية البعد الجغرافي في علم السياسة المقارن انطلاقاً من "مبدأ المساواة في حجم الدوائر". ووضح انطوان غصين ان "مفهوم الاكثريات والاقليات في لبنان بحاجة الى توضيح في ضوء المبدأ الجغرافي". وتناولت نينا روزا نيقولا لكلفة النفقات الانتخابية في علاقتها بحجم الدوائر المعتمدة.

يتابع البرنامج اعمال سنة 2002 على مستوى المحافظات وتصدر اعماله في جزء ثان

في اوائل 2003.

2

مناقشات*

تجربة قوانين انتخابية عديدة

محمد المجذوب

لمسنا من خلال الكلمات القيمة التي القيت في جلسة الافتتاح، مدى اهمية النظام الانتخابي في الدول الديمقراطية، أو الدول التي تطمح الى الديمقراطية، وكذلك مدى التفاعل الدائم بين النظام الانتخابي والنظام الديمقراطي. وعندما نطلع على الحالة الانتخابية في لبنان، منذ تكوينه في العام 1920، او منذ استقلاله في العام 1943، نجد ان بلدنا جرب العديد من القوانين الانتخابية. غير ان هذه القوانين

* ان النصوص في هذا القسم هي خلاصة مداخلات شفوية ونقلا عن آلة تسجيل. تولى التفريغ والصيغة ارييت سعاده ابي نادر وانطوان مسرّه.

لم تتمكن من ترسيخ الوحدة الوطنية بين ابناء الوطن الواحد، ومن تحقق الانجازات الديمقراطية التي وعدت بها، مثل: البطاقة الانتخابية والاقتراع في مكان الاقامة الفعلية، واجراء احصاء عام للسكان، والمساواة في تقسيم الدوائر الانتخابية، واجراء الانتخابات النيابية في يوم واحد في جميع الدوائر، وازالة العراقيل التي تقيد حرية الاختيار وحرية الترشيح وحرية التعبير لدى الناخب، وجعل سن الرشد السياسي مساوية لسن الرشد المدني.

وكان من نتائج عجز هذه القوانين عن تحقيق الاندماج الوطني، وتعميم الروح الديمقراطية، إفراس مجالس نيابية لا تعبر تعبيراً صحيحاً وسليماً عن آمال الاجيال وتطلعاتها، ولا تستطيع، بحكم الطريقة التي انتخبت بها، القيام بمهمة التغيير والتطوير، واستشراف المستقبل، والتصدي للتحديات والاطار.

ان ديمقراطية الاقتراع العام تشكل الثورة الاجتماعية الكبرى في عصرنا، لأنها تتيح لكل مواطن، مهما يكن وزنه الاجتماعي او الاقتصادي، فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية في بلده.

وحق الاقتراع هو من الحقوق الاساسية للانسان - ومن المبادئ الاساسية للديمقراطية، يستمد قوته وقيمه والزاميته من الحق الطبيعي. لقد سئل كليمنصو مرة: "أمن المعقول ان يوضع في ميزان واحد صوت روتشيلد (الشهير بغناه) مع صوت عامل التنظيفات؟"، فأجاب: "ان مبدأ الانتخاب لا يقبل اي التباس. انه يعطي الحق ذاته للعالم والجاهل. وهو يعطيها هذا الحق بحكم الحق الطبيعي".

في اواخر 1993 انشاء المجلس الدستوري، وكان الغرض الرئيسي من انشائه مراقبة دستورية القوانين. عام 1996 جرت الانتخابات. نشر قانون انتخاب وعرض. طعن فيه امام المجلس الدستوري، والمجلس الدستوري ابطال هذا القانون، والسبب هو عدم وجود المساواة التي ينص عليها الدستور اللبناني. لا تتسجم مواد قانون الانتخاب مع الدستور خصوصاً بالنسبة لتقسيم الدوائر الانتخابية فألغي أو أبطل هذا القانون. السؤال هو عن مدى التقيد بالقوانين. عندما يصدر القانون عن المجلس النيابي وينشر في الجريدة الرسمية يجوز الطعن فيه خلال خمسة

عشر يوماً بالنسبة للنواب أو بالنسبة للرؤساء الثلاثة أو رؤساء الطوائف... في حال مر خمسة عشر يوماً على نشر القانون في الجريدة الرسمية ولم يطعن فيه، يصح قانوناً صحيحاً، حتى وإن كان هذا القانون مخالفاً للدستور.

الذي حصل أن المجلس الدستوري أبطل القانون، وعاد مجلس النواب، وخلال أيام معدودة، ليجتمع ويزيد جملة على القانون نفسه. كان من المفروض أن يطعن به النواب مرة ثانية كما فعلوا في المرة الأولى، ولكنهم اسكتوا، لذلك لم يطعنوا، فطبق هذا القانون.

مشكلتنا في المجلس النيابي أنه ليس من جدية في العمل وهذا هو سبب العجز وعيره...، عندما عرضت اتفاقية 17 أيار بين لبنان وإسرائيل، وافق عليها حوالي 90% أو 95%، ولكن بعد سنة تغيرت الأحوال وكانت المقاومة... فتغير رأيهم، فتم عرض نفس القانون وأخذ قرار بالغائه. في لبنان لا تتوفر الجدية عند الممثلين، وهي تأتي من كيفية تطبيق الجغرافية الانتخابية. ومع احترامي لنواب عديدن قاموا بالفعل منذ الاستقلال وقبل الاستقلال وحتى الآن بانجازات حبارة وكانوا يدرسون كل المشاريع. رأيت يوماً نائباً يقصد الجلسة والملف بيده مقل كما كان حين تسلمه، وهو الملف الذي يحوي القضايا المطروحة للمناقشة، فلم يفتحه ولم يطلع عليه.

قمنا في الستينات باضراب كبير في الجامعة اللبنانية، وهو أول اضراب من اجل قانون الجامعة (1967-1968) من اجل الرواتب وغيرها. وكنت في اللجنة الخماسية التي تمثل اساتذة الجامعة (كان ذلك قبل التفرغ فكان العدد قليلاً). دخلنا المجلس النيابي فوجدنا نائبين نائمين - ولو كنت اعرف اسماهما لذكرتهما - وعندما جرى نكزهما احدهم وطلب منهما رفع اليد فعلاً. فأين الاهتمام؟ يأتي التقصير من النواب انفسهم، آسف لقول ذلك ولكنه الواقع.

المستفيدون من واقع الجغرافية الانتخابية

غريغور ميرنغ

الذي يسمع المناقشة يحصل على نفس الانطباعات الحاصلة عند شخص مقيم في ألمانيا مثلاً ويقرأ الصحف الألمانية عن لبنان. يبدو ان هناك قضية واحدة في لبنان وهي الطائفية، وليس من كلام ابداً عن الديون والمشاكل الاقتصادية، عن المداخلات الخارجية، عن المشاكل في الجنوب...! هناك اسئلة كثيرة وكان من المفروض مناقشة كل هذا بصراحة.

سمعنا ايضا عن التدخلات الاجنبية، ومفروض ان نكون نحن ايضا كأجانب واضحين بالنسبة للقضايا. هناك في الاردن مشكلة تشبه المشكلة الطائفية في لبنان، وهي تهميش التيار الفلسطيني في الاردن لصالح أهالي شرق الاردن. وكان في الجزائر من عشر سنوات او اكثر محاولات عديدة لتهميشي التيار الاسلامي في البلد... هناك في اسرائيل ايضا مشاكل في الجغرافية الانتخابية بالنسبة لتمثيل العلمانيين...

هل نناقش القضية المناسبة اليوم؟ الكلام عن الطائفية في لبنان طويل، ونحن لا نرى الحلول على مستوى القضايا الحقيقية وهي مفهوم المواطنة طبعاً والمشاكل الاقتصادية والعلاقات الخارجية للبنان. هل من الممكن ان نحدد الذين يستفيدون من واقع الجغرافية الانتخابية، او من واقع الطائفية التي هي خلف هذه المشاكل وامامها ايضا؟ هل هناك اوساط تستفيد بشكل مباشر او غير مباشر من الواقع؟ وكيف يمكننا بالتالي ان نغير او ان نساهم في هذا التغيير؟ ادارة التغيير هو اكثر من ادارة.

التصويت لاربعة مرشحين كي لا تكون المحافظة "محددة": زهير العبيدي

مارست الحياة النيابية من 1992 الى 1996 وأؤكد على واقع الحياة السياسية في لبنان التي انتجت منذ 1992 برلماناً غير تمثيلي صحيح. اذا كان هذا البرلمان قانونياً الا انه ليس برلماناً شرعياً بالمعنى الفقهي للكلمة. لا شك بان اتفاق الطائف حدد قواعد عامة تتعلق بالنظام السياسي في لبنان. هذا الاتفاق لم يطبق تطبيقاً حرفياً أو مثالياً في لبنان. هذا الاتفاق، والذي نتج عنه الدستور اللبناني المعدل، قسم الجغرافية الانتخابية على أساس المحافظات الخمس. ولكننا وجدنا من خلال برلمان 1992 - الذي قاطعته احزاب كثيرة - وبرلمان 1996 - الذي دخل اليه حوت المال بجشع وبقوة، الى جانب حوت الاقطاع السياسي وكذلك الانتخابات - البرلمان لعام 2000.

اننا بحاجة الى برلمان تأسيسي. نؤسس لبرلمان ولتمثيل حقيقي للشعب اللبناني، يقوم باعادة النظر بالدستور اللبناني انطلاقاً، ثم بكل مفردات الحياة السياسية، لتأسيس نظام برلماني ديمقراطي حقيقي، تحترم فيه حقوق الانسان والحرية العامة في لبنان.

انتم تعلمون ان محافظة الجنوب تحدل فيها عدة طوائف منها السنة والكاثوليك والروم لمصلحة طائفة واحدة. وفي بيروت هناك محدة ايضاً من الطائفة السنية لكل الطوائف. وفي الجبل لو اعطي محافظة واحدة لكان هناك محدة مارونية لكل الطوائف. اما في الشمال فهناك نوع من التوازن. والبقاع قسم لمصلحة زيد وعمر من السياسيين. لذلك وانطلاقاً من وضعية وجغرافية البلد وحتى لا تبقى المحافظة عبارة عن محدة، أرى ان الاقتراح الامثل إما ان يكون هناك قانون للانتخاب على اساس الصوت الواحد للمرشح الواحد، صوت واحد نتخلص فيه من

المحددة. او ان يكون هناك نظام انتخابي فتعدّل المادة الثالثة لكي نساوي بين القوة التصويتية للمواطنين في لبنان.

انا في بيروت اصوت لـ 19 مرشحاً، اذا القوة التصويتية في بيروت هي 19 نائباً، وأتكلم على اساس المحافظة. القوة التصويتية للمواطن في الجنوب هي 23 نائباً. في الشمال 28 نائباً وهكذا... هناك تمييز عنصري، انا اشعر في بيروت اين من الاقلية، لم لا اصوت لـ 23 أو لـ 28 مرشحاً؟

للخروج من هذه الاشكاليات جميعها ارى ان يتم إقرار مادة 3 بالتعديل، بأن يصوّت الناخب لأربعة مرشحين، اثنين مسيحيين واثنين مسلمين من كل محافظة. لماذا؟ نأخذ تقصيلات المرشحين من جميع الطوائف في لبنان، هناك سنة وشيعة ومن جميع الطوائف المسيحية. فحين يصوت الناخب في بيروت لأربعة مرشحين، سيختار سنياً واحداً وشيعياً واحداً، ويختار اثنين من الطوائف المسيحية. وتثبت هذه القاعدة في البقاع ايضاً لأن فيه سنة وشيعة ودروز ومن جميع الطوائف المسيحية. في الشمال هناك سنة وعلويون وهناك من الطوائف المسيحية روم وموارنة. وفي جبل لبنان هناك سنة وشيعة ودروز وموارنة وروم كاثوليك. هناك نشارك اذاً بالقوة التصويتية للمواطن في كل لبنان بحيث ينتخب كل مواطن اربعة مرشحين، على ان يكون هذا المجلس مجلساً تأسيسياً يعيد النظر باشكالات الحياة الديمقراطية والسياسية في لبنان.

لديّ نقطة اضافية على ما تقدّم به الدكتور عصام سليمان حول موضوع الاكثريّة

المتعددة:

1. الاكثريّة المقيدة هي افضل نظام للانتخابات كبرلمان تأسيسية لتغييرات كثيرة، لأنه يخفف من الاقطاع السياسي المالي المسيطر على الحياة السياسية في لبنان.
2. يفسح المجال للأحزاب التي هي خارج اطار المحادل، وليست لديها امكانية لكي تتمثل وهي منتشرة. هناك احزاب كثيرة منتشرة في الاراضي اللبنانية، ونتيجة اللوائح المعلبة والمحادل لم تتمثل. في انتخابات 1996 اخذ احمد حبوس 124 الف صوت، والآخر في لائحة الـ 28 الذي أتى بفضل المحددة حصل على 28 الف صوت، وبالتالي اعتبرنا هذه الانتخابات نزيهة. الاكثريّة المقيدة في الانتخابات، حتى ولو حصل احد المرشحين على مئة الف صوت

وحصل آخر على عشرة آلاف، افضل من ان يصل الى المجلس نواب ليسوا في العير ولا في النفير!

قال الاستاذ سليمان تقي الدين انه لن يكون هناك قانون مثالي لأية عملية انتخابية، واقتراح الدائرة المتوسطة على انها الاقرب الى المعالجة في القوانين. نعرف انه في الدستور و في وثيقة الوفاق الوطني يتكلمون عن صحة التمثيل ومراعاة مقتضيات الوفاق الوطني. السؤال: ايهما نعطي الاولوية، مقتضيات الوفاق ام التمثيل الصحيح؟ انها مكمله لبعضها.

السلوك المهيمن للاكثرية في الدوائر الكبرى وتحالفاتها

فاديا كيوان

هناك تراكم في الادبيات العلمية في مجال علم السياسة وتحصل اضاءات علمية من قبل محللين سياسيين (لا نستطيع القول: علماء مثل علماء الفضاء، ولكن محللين سياسيين)، اضاءات علمية ودراسات بالفعل تشخيصية أولاً، تحاول ان تحلل وتفسر وتستشرف ثانياً، لكي تساعد الوسط السياسي على الخروج من الازياك الموجود فيه، بسبب المأزق الكبير الناتج عن الرغبة في تعزيز العيش المشترك والواقع المشردم نسبياً.

1

سلوك الجماعة بمفردها ومع الغير

استعمل كمدخل خريطة التوزيع الطائفي التي تظهر الارجحية العددية للطوائف في المناطق اللبنانية، لانها تلخص المآزق بعض الشيء. نتكلم عن اندماج وعن ضرورة الوصول الى وفاق وطني، وهذا الواقع بالتمركز الجغرافي الديمغرافي الذي له دائماً ارجحية طائفية. انطلاقاً من هذا الواقع، وإذا استعرضت كل اشكال الهندسات للجغرافية الانتخابية التي مرت في لبنان منذ انشائه وحتى اليوم، الدوائر الصغرى والوسطى الكبرى، كلها فيها مآزق اقلية واكثرية. لذلك اتوقف عند المآزق التي تخلفها الاكثرية في الدوائر الكبرى، والمآزق الموجود ايضا في الدوائر الصغرى. لان وجود التنوع الطائفي يؤدي الى جنوح والى هيمنة الاكثرية، او الكتلة التي تشكل اكثرية، ويكون لها دائماً طابع طائفي.

سنحاول رؤية سلوك الجماعة عندما تكون بمفردها، وكيف يكون سلوكها الانتخابي عندما تكون مع الغير. في الأساس كنا نعتقد ان السلوك يتغير اذا كان هناك اختلاط. وربما كانت نية المشرع دائماً في لبنان انه اذا اردنا ان نعزز العيش المشترك، يجب ان نضع اللبنانيين معاً. وكلما وسعنا الدائرة الانتخابية (واقترض حسن نية المشرع)، كلما وضعنا اللبنانيين في اطار اوسع، ونوعنا من ناحية الالوان الطائفية في تركيبة الدائرة، وبالتالي الدائرة الكبرى، نكون قد فعلنا احسن فعل. ماذا يحصل عملياً؟

الدوائر التي اعتمدت هي دوائر المحافظة، وأظهرت انه في كل محافظة هناك ارجحية من طائفة واحدة. عندما توجد هذه الارجحية في دائرة انتخابية مع مجموعات من طوائف اخرى، هل تتفكك عصبيتها الطائفية وتفتح وتتجه نحو عقد تحالفات مع مجموعات اخرى؟ وبالتالي نكون قد حولنا الاشكالية السياسية من اشكالية طائفية الى اشكالية سياسية بالفعل، فيدور عندها نقاش سياسي وتعدّد التحالفات على قاعدة برامج سياسية، ام انها تبدي تعصبه اكبر؟ اذا قرأنا في نتائج انتخابات 2000 في منطقتين: في بيروت وفي الجنوب، وجدنا انه حتى في بيروت، وكان في نية السلطة ان تمنح هيمنة فريق الرئيس الحريري، فلجأت الى تقسيم الدوائر الى ثلاث لكي لا يأتي بمجموعة كبيرة، وكانت ردة الفعل التي نعرفها. اما في الجنوب ولأسباب نعرفها فقد جرى اعتماد المحافظة لانها تحقق اكثر بناء لاندماج وطني. تبين ان القوتين الرئيسيتين الحزبيتين اللتين لهما لون طائفي، وهما حزب الله وحركة امل، بدلاً من ان يدخل في منافسة ويتحالف مع الغير، وتفتح الطائفة على تحالفات مع غير طوائف، وبالتالي يدور نقاش سياسي حقيقي ومنتقل

في العصبية الطائفية الى عصبية سياسية هي محمودة في نظام ديمقراطي، وجدنا انهما عقدتا صفقة، وبالتالي حسمتا معاً وبشكل طائفي امر المقاعد المخصصة للطوائف الاخرى، واترك لكم عد المقاعد الاخرى.

ماذا يعني تمثيل الطوائف نسبياً، وتمثيل المناطق نسبياً، اذا كانت هذه مناسبة لهيمنة فريق على آخر؟ العبرة هي ان سلوك الكتلة الناخبة ذات اللون الطائفي الواحد عندما تشعر بانها اكثرية، فبدلاً من ان تفتتح وان تنمو في داخلها منافسة سياسية سليمة بين مشاريع زعماء يبحثون عن صدقية شعبية، تعقد صفقة داخلية وتتعزز في داخلها العصبية الطائفية. يؤكد المثال الآخر فرضيتي لسوء الحظ. لجأت السلطة في بيروت، وخوراً من هيمنة الرئيس الحريري وليس خوراً من هيمنة الطائفة السنية، خوراً من هيمنة فريق سياسي كانت تناصبه العدا، لجأت الى تقسيم الدوائر الى ثلاث. لكن الحملة الانتخابية للرئيس الحريري استغلت الموقف الساذج الذي اتخذته وسائل الاعلام الرسمي في حملته شعواء ضد المعارضة في بيروت، ونمى الشعور الطائفي بدلاً من ان يتكك. والكل يعلم ان العصبية الطائفية هي التي جرفت الناخبين في بيروت في اتجاه احادي وهي التي بدلت النتائج، ولم تكن في الحسبان. والاغلبية ليست اغلبية كبرى، فعدد الناخبين السنة في بيروت لا يتجاوز 38% من مجمل ناخبي بيروت ولهم ستة مقاعد. ولكن عندما يكون هناك كتلة متجانسة مترابطة طائفيًا تهون في وجهها كل التناقضات الاخرى، اي البقية "قراطة". في العاصمة بيروت، اي في منطقة متقدمة، ليست منطقة نائية وليست منطقة طرفية، وليست جرد وليست ريف، تبين وجود كتلة ناخبة ذات لون طائفي، وشعورها بأنها تشكل نفوذاً خاصاً، دفعها باتجاه تشكيل عصبية طائفية بدلاً من ان تتكك.

اخذ بشكل صوري دائرة واحدة في جبل لبنان. لو حصل ان تركت السلطة جبل لبنان دائرة واحدة، حيث الاغلبية هي مارونية، لكان حصل نفس الشيء، لكان نزع الموارد باتجاه التطرف الاكثر مارونية، ربما مثلما حصل في السابق عندما ربح الحلف الثلاثي ودارت العذراء على نفسها عدة دورات! اردت من هذا المثل المطنع العودة الى اتجاه عام، يبدو وكأنه بالفعل عامًا وينسحب على كل الطوائف في لبنان.

عندما تشعر اية طائفة او اية كتلة ناخبة بانها تشكل كتلة اكثرية ولو نسبية في دائرة ما، فهي تتشج طائفيًا لكي توسع من نفوذها وتتحكم بالآخرين. اذا كنا بالفعل نريد تعزيز الوحدة الوطنية يجب ان نفلح عن محاولة اقناع الاخرين بان توسيع الدوائر وتوزيع الديمغرافية طائفيًا، هو الذي يجعلهم يعملون معًا ويختارون معًا نخبة سياسية جديدة. فلماذا لا نبحث عن اتجاه آخر؟

اود البقاء في اطار محصور هو الجغرافية الانتخابية والجغرافية الانتخابية تتناول احجام الدوائر الانتخابية وهي جانب متقدم في علم السياسة، لانها تستعمل اكثر من سواها الارقام وتستند الى الاحصاءات، ولديها قدرة على تشخيص الواقع بشكل رقمي، وبلوائح وخرائط ولوحات هندسية. بامكان علم الاجتماع السياسي في مجال الجغرافية الانتخابية ان يستشرف المستقبل، ان يستطلع، ان يتوقع وان تكون له فائدة كبيرة للسياسيين.

اذا عدت الى الاحجام الاخرى غير الدائرة الكبرى، وجدت الشيء نفسه، اي التشنج الطائفي. اذا اخذت بلاد جبيل، معروف تاريخيًا ان النائب الشيعي في بلاد جبيل كان سيعطى اسم علم ماروني. احمد اسبر - اطال الله بعمره - كان دائمًا موضوع مهة لانه كان ينجح دائمًا بأصوات الموارنة. اي كانوا يتناولونه سلبيًا في صفوف الطائفة الشيعية الكريمة على انه لا يمثلهم، لان كتلة الناخبين الموارنة هي التي انتخبته. وبتكلم هنا عن دائرة صغيرة هي دائرة فيها مقاعد ثلاث. اضافة الى ذلك وأيًا كان حجم الدوائر في لبنان، فهي تأتي دائمًا مفصلة على قياس نخبة سياسية، لمحاولة ابقائها في السلطة، ولاعادة انتاجها، وربما وسعت الدائرة لكي تستوعب بعض الحلفاء الجدد. لذلك هناك استتساب مخجل في تقسيم الدوائر ايا كان حجمها، أكانت صغرى وسطى أو كبرى.

2

نزع السيطرة من يد الاقطاع

التقسيم هو تقطيع مصطنع في النسيج الاجتماعي اللبناني. والتوصيل الذي يجري من حين الى آخر هو مصطنع ايضا، كما عندما جمعوا بشري والضمينة. اذا كل الهندسات التي قام بها النظام السياسي اللبناني حتى اليوم، هي هندسات مصطنعة، تأتي لتنفذ غايات من هم في

السلطة. ولا تهدف ابداً الى تمثيل الناس، وبشكل خاص الى حسن تمثيلهم. اذا كنا نريد فعلا ان نعزز العيش المشترك، واذا كنا بالفعل نريد ان نساعد اللبنانيين على ولوج باب الممارسة الديمقراطية، يجب ان نقتنع بان هذا الامر لا يمكن ان يحصل قسرياً، اذا ما فصلنا هندسة مثالية من فوق. كذلك لا يمكن ان يحصل الا عبر مأسسة العمل السياسي، ويتحول السلوك السياسي تدريجياً من العلاقة الشخصية المباشرة المبنية على الخدمات والمحسوبية مع المرشحين المحليين او مع زعماء الطوائف او اقطاب تقليديين، الى علاقة مؤسسية عبر الاحزاب.

لا اريد الدخول في عرض مشروع جديد للجغرافية الانتخابية ولكن اسوق فرضية يجب ان نبحث فيها ملياً، عندما نبحث بالمشاريع وبالمشروع الافضل بحسب ما هي الاهداف التي نتوخاها.

لماذا لا نبحث في الدائرة الفردية في مرحلة اولى؟ في دورة اولى تكون تصفية، تسمح للمواطنين باقامة علاقة مباشرة مع المرشحين ويقول الكلمة الفصل على الاقل، بشكل تصفية للمرشحين. وننزع عندها السيطرة من يد الاقطاب والزعامات التي لها تاريخياً يد طولى في سوء ادارة البلاد، نخفف من هيمنة الاقطاب الكبار لان لهم دائماً لون طائفي. نعود الى الرأي العام مباشرة، في تصفية تكون بمثابة دورة اولى ، وعندها يقسم لبنان الى 128 دائرة انتخابية، يمكن ان نحقق فيها مساواة الى حد ما كاملة بين الدوائر. نأخذ معدلاً على قاعدة حسابية ثلاثية ونقيم 128 دائرة في تصفية اولى، وتكون الدورة الثانية على مستوى لبنان كدائرة واحدة. هذه الصيغة قد تكون صيغة انتقالية، لانه بإمكاننا ان نطبقها مع مناصفة وتقسيم نسبي طائفي. ويمكن ان نقيم هكذا انتخابات من دون ان نضع اي معيار طائفي. فعملياً عندما يختار المواطنون في محيطهم المباشر، طبيعياً سيختارون في 95% من الاحيان من هو من لونهم الطائفي. ولكن عندما لا نذكر اللون الطائفي ونترك الناس على سجيتهم، ربما اختارون على المستوى المحلي المحض بين اناس عديدين من لون طائفي واحد، ولكن يختارون الافضل. عندها نكون قد أخرجنا الطوائف من نزعة العصبية الطائفية التي كأنما هي تمتلك كل الطوائف عندما تشعر بأنها يمكن ان تكون مهيمنة. عندما يكون الفريق الى حد ما من لون واحد ربما لا يعد يشعر بضرورة تعزيز عصبية لهيمنة. وعندها يمكن ان يخترقه بالفعل جو من المنافسة بين اناس من

طائفة او من لون واحد. وتدرجياً تتفتح الطوائف على التحالفات في الدورة الثانية حكماً، وتأخذ اللعبة السياسية أفقاً وطنياً لبنانياً.

ما جعلني افكر بهذه الصيغة للجغرافية الانتخابية هو ما شهدته سنوات الحرب من فرز تدريجي للجماعات. فقد تقاطع اللبنانيون لفترة، وفي مرحلة لاحقة عندما اصبح كل فريق مهيم الى حد ما تماماً في منطقته او احادي، اختلف داخلياً، وكان الفرز الداخلي في كل مرة يظهر مشاريع نخب جديدة. ودارت المنافسة في داخل كل جماعة على اعادة انتاج نخبة جديدة. ربما كانت الامثلة ليس في ان نوسع الدوائر كي يتنوع النسيج فتخف الطائفية، ربما علينا ان نصغر الدوائر الى حد الدائرة الفردية لكي يكون اللبنانيون في جو من لون واحد فيعودون الى المنافسة السليمة المشروعة ويفتحون على الغير.

نستفيد من وجود بعض الاشخاص ذوي ممارسة سياسية غنية، ان كان على مستوى حزبي - وهناك بعض القيادات من بينهم وكذلك بعض النواب او النواب السابقين او النواب اللاحقين والوزراء اللاحقين. لكن يحضرني عندما أسمع هذا التداول اليوم، يحضرني ماكس فيبير في الهاجس الكبير الذي كان عنده بين المحلل السياسي او العالم السياسي والناشط السياسي le savant et le politique.

نحن نجتمع اليوم بمشاركة الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية، ونعتقد انه من المفروض وجود اضاءات علمية على موضوع الانتخابات في لبنان.

نحن في هذه القاعة معشرين، معشر طائفة جديدة هي طائفة علماء السياسة communauté scientifique de sciences politiques (التي يسرني ان يكون في عدادنا اليوم بعض الحائزين على شهادة علوم سياسية منذ اول إنشائها في لبنان، وكان لبنان سباقاً الى احداث الاجازة في العلوم السياسية). اذاً هناك اهتمام علمي بموضوع الانتخابات، وهناك اهتمام سياسي وهو مشروع بالطبع. كيف لنا ان ننقل من عرض ما نتمناه، من عرض الشكاوى من النظام الانتخابي المالي، الى اضاءات علمية حول الواقع وطبيعة السلوك الانتخابي اللبناني؟

هناك سلوك اجتماعي. يجب ان نبقي مرافقين لطبيعة الذهنية السائدة، لكن يأتي التمثيل السياسي الاصدق والاقرب الى التمثيل الحقيقي للناس.

يمكن للنظام الانتخابي ان يحمل معه كذلك بادرة اصلاحية. كيف لنا ان نوفق بين التمثيل السابق للناس كما هم، اذا كانوا طائفيين (وان كانت الطائفية بغیضة) اذا كان عند الناس سلوك طائفي، واذا كان الخطاب الطائفي يؤثر فيهم، فيجب ان يكون التمثيل صادقاً في تمثيل الحساسيات والتوجهات الاجتماعية الموجودة. وفي نفس الوقت، يمكن للجغرافية الانتخابية - والمصطلح جديد في الأدب السياسي اللبناني والعربي، يجب ان نتعمق به علمياً - يمكن للجغرافية الانتخابية ان تحمل معها بوادر اصلاحية، اي ان تأتي لملاقة الناس حيث هم، وان كانوا طائفيين ومذهبيين وفئويين وكل ذلك. يجب ان نلاقيهم حيث هم وان نعمل على تمثيلهم كما هم. وفي نفس الوقت يمكن ان يجاوز التقسيم الانتخابي او الجغرافية الانتخابية ان تمثل الناس كما هم، وان تحملهم على ان يتطوروا باتجاه اكثر ديمقراطية.

يجب ان نتجاوز ما نتمناه ومشاريعنا - كل منا له مشروعه الخاص - لكي نعمل على الاضاعة علحقيقة السلوك الانتخابي عند اللبنانيين، ومنه ننتقل الى كيفية صدق التمثيل.

المتفقون ولكن ليس الذين هم في فلك السلطة، بل معشر العلماء اي *communauté scientifique* والتي لا زالت خجولة في لبنان، ويجب ان تكون عندها مساهمة علمية هادئة وغير مرتبطة بهواجس مفكرة سلطة وأفاق سياسية محض تنافسية.

قوانين الانتخاب مفتوحة على امكانية تطوير في المجتمع. المشكلة في لبنان ان قوانين الانتخاب هي نتاج عمل يقوم به اهل النظام فقط، بينما يجب ان تكون قوانين الانتخاب تبعاً نتاجاً مشتركاً للمجتمع المدني والنظام السياسي، لان المجتمع المدني وحده يستطيع الخروج عن النظام ويضع قانوناً يغير فيه اهل النظام. واذا قام اهل النظام بمفردهم بصنع القانون سيعيدون انتاج انفسهم. يجب ان تحصل قوة ودينامية معينة، والمجتمع المدني على تماس مع النظام السياسي ولكنه ليس متداخلاً معه جداً. ونحن اليوم وحالياً ومع تنوع مشاريع قوانين الانتخاب والرغبات عند الجميع، لا يتجاوز النقاش ضمن نخب ونخب بديلة.

الحد من سلبيات ثلاث تجارب انتخابية

فريد الخازن

في كل مرة نتكلم عن الجغرافية الانتخابية، أو عن قانون الانتخاب أو الدوائر الانتخابية، تكبر الشهية فجأة للكلام بالمثاليات والكلام بالدائرة الأفضل والحجم الأفضل والنظام الطائفي وكيفية التصدي له، من خلال قانون الانتخاب والانتخابات. كلام جيد ومطلوب ولكن الموضوع ليس موضوع ترف. موضوع لبنان ما بعد الحرب والانتخابات الثلاثة التي جرت، لم تعد مسألة نظرية، ولم تعد مسألة قابلة للكلام بالمثاليات والعموميات. الأولوية القصوى بعد التجارب الثلاثة هي كيف يمكن الحد من الضرر الحاصل بسبب العملية السياسية منذ انتهاء الحرب، وبسبب قانون الانتخابات والعملية الانتخابية نفسها؟ الموضوع هو حجم الدائرة تحديداً، أكثر مما هو نظام الاقتراع في الجغرافية الانتخابية.

في الدول الديمقراطية حيث هناك نظام ديمقراطي فاعل، عندما تجنح السلطة باتجاه معين من خلال التلاعب بالدوائر لمصلحة سياسية معينة (*gerrymandering*) هناك مجال للتصحيح، في الانظمة السلطوية ليس من اهمية لحجم الدائرة، ممكن ان تكون كبيرة او صغيرة فالنتيجة هي نفسها، لان العملية السياسية ملغاة أصلاً. في التجربة او النمط الثالث، وهو الأقرب الى الواقع اللبناني، هو حالة التحول منذ انتهاء الحرب باتجاه نظام سلطوي. وقانون الانتخاب والعملية الانتخابية التي لا نستطيع فصلها، تشكل اداة من ادوات تحويل النظام اللبناني باتجاه المزيد من السلطوية او النظام السلطوي *systeme autoritaire*. كانت هذه الوظيفة الاولى لقانون الانتخاب والانتخاب منذ انتهاء الحرب. من هنا اهمية ايجاد الوسيلة او الوسائل من خلال هذا القانون او الجغرافية الانتخابية، للتخفيف او للحد أو لمنع (ان كان من امكانية) ان ينتقل البلد الى نظام اكثر سلطوية. وعندما يصبح سلطويًا فعليًا لا تعود من اهمية للجغرافية الانتخابية ولا يعود من أهمية لكل كلامنا.

تجربة لبنان ما قبل الحرب لافئة وغنية جدًا، ويجب اخذها بعين الاعتبار، لسبب بسيط وهو انها تجربة حصلت في نفس البلد. نستطيع مقارنة لبنان باوروبا واميركا، ولكن هناك تجربة انتخابية غنية ومتنوعة جدًا بسلبياتها وايجابياتها حصلت بين 1943 و 1975. لن ندخل في تفاصيل هذه التجربة، ولكن في موضوع الجغرافية الانتخابية برز موضوع حجم الدائرة تحديدًا خلال عهد الرئيس شمعون. وكانت هذه التجربة الاكثر تأثيرًا من خلال مسألتين: أولاً ليس فقط حجم الدوائر وانما حجم المجلس النيابي، اي تخفيض العدد من 77 الى 44 سنة 1953، وبعد ذلك الى 66 نائبًا، واعتماد الدائرة الفردية مع بعض الاستثناءات اي مع مقعد أو مقعدين سنة 1957.

تصغير حجم الدائرة الفردية له حسنات وله سيئات. من حسناته ان الانتخابات تصبح اكثر تنافسية واكثر تمثيلية، ولكن له سلبيات عديدة. لن اتطرق الى حجم كل دائرة، ولكن المسألة المهمة هنا ان الهدف من ذلك، هدف السلطة في عهد الرئيس شمعون، هو استهداف المعارضة بكافة تنوعاتها. ليس معارضة من طائفة واحدة، لا بل كان الموضوع يشمل كل الطوائف، واكثر شيء الطائفة المارونية. والموضوع سنة 1957 كان موضوع التجديد، وهناك مسائل اخرى. بعد هذه التجربة استقر قانون الانتخاب على قانون 1960 وهو يعتمد الدائرة القضاء، وبحسب هذا القانون تمت اربعة انتخابات: 1960 - 1964 - 1968 و 1972. كان هذا القانون بالرغم من المطالبة باعادة النظرية، كان من الممكن ان يستمر لو حصلت انتخابات سنة 1976 لكان لقوى المعارضة امل كبير ضمن هذا القانون نفسه، وتحديدًا احزاب اليسار، كي توصل عددًا ليس بقليل من النواب.

لا اوافق على القول بأن كل تقسيمات الدوائر في لبنان مصطنعة او انه ليس لها اساس. لها اساس، والدائرة التي هي القضاء لها اساس جغرافي واساس اداري واساس سياسي. وربما لم يكن لها اساس سياسي كبير قبل اعتمادها في العام 1960، لكن اصبح لها اساس سياسي وشخصية سياسية مهمة جدًا، انتخابية سياسية، لانها استمرت طيلة اربع دورات انتخابية، ولأنه من خلال اعتماد القضاء الذي اسميه الدائرة المتوسطة (اي ليس الدائرة الصغرى ولا الدائرة الكبرى)، من خلال اعتماد القضاء حصلت ايجابيات كثيرة.

أولاً: كان هناك تمثيل سياسي معقول، اي اذا اخذنا كل قضاء بمفرده، ونقول ان النائب الشيعي مثلاً في جبيل ينتخبه المسيحيون، والنائب الكاثوليكي في جزين ينتخبه الموارنة، وفي منطقة اخرى هناك مقعد مسيحي تنتخبه اكثرية اسلامية، مؤكداً لن نصل الى حل وهذا مستحيل.

يستحيل تشكيل دوائر في لبنان ليس فيها في اماكن اكثرية معينة وف اماكن اخرى مختلطة، والا نكون نتحدث عن بلد غير موجود. نحن نتكلم عن لبنان بتركيبته الطائفية والسياسية. المطلوب هو توازن بين الاثنيين، بين التمثيل السياسي والتمثيل الطائفي، وهذا ما افقه القضاء الى حد بعيد، اي ان نصف الدوائر تقريباً هي دوائر مختلطة، ونصف الدوائر تقريباً نوابها بشكل حاسم، اي ان هناك اكثرية عديدة. يجب ان ننظر الى القانون من هذا المنظار. لا نستطيع ان نراه بمنظار كل دائرة انتخابية... او بغير منظار. والا لا نصل الى نتيجة.

يستحيل ان نصل الى قانون يرضي كل اللبنانيين. القضاء، وقانون 1960 امن هذا التوازن من خلال التمثيل الطائفي والتمثيل السياسي، فسح مجالاً للطوائف ليكون لها عدد معين من نوابها منتخبين من طوائفها (أي الاكثرية العددية) وعدد معين من النواب منتخب من قواعد انتخابية مختلطة. والاحزاب السياسية، حتى تلك التي كانت محظورة، كانت ناشطة آنذاك، اي قبل سنة 1970، واستطاعت ان توصل عدداً كبيراً من النواب الحزبيين. لا بل نرى ان النسبة قد زادت من سنة 1960 الى 1972. زادت نسبة عدد النواب الحزبيين من كافة الاحزاب اللبنانية، واستطاعت المعارضة من خلال هذا التقسيم (الجغرافية الانتخابية) ان تصل الى الحكم.

انتخابات 1968 كانت عملياً انتخابات ممهدة لانتخابات الرئاسة في العام 1970، واوصلت مرشح المعارضة آنذاك اي الرئيس فرنجية، وكسرت الحكم الشهابي الذي كان يُعرف بأنه الاقرب الى الحكم العسكري في لبنان وحصل ذلك بفارق صوت واحد في مجلس النواب في لبنان. واحد اسباب ذلك انتخابات 1968 التي استطاعت المعارضة من خلال هذا القانون الموجود ان تحصل على الاكثرية.

في الانتخابات الاخيرة هناك مسألتين لم تتم الاشارة اليهما إجمالاً، وهي موضوع تكبير حجم الدائرة، وثانياً تكبير حجم مجلس النواب، الذي كان في اتفاق الطائف 108 اعضاء واصبح 128، ووصل في وقت من الاوقات الى 134 في المداولات في مجلس الوزراء. موضوع تكبير

حجم مجلس النواب مرتبط بالموضوع نفسه، اي () المجلس بنواب هم تكملة عدد، اي ليست لهم صفة سياسية، انهم تكملة عدد للحصول على اكثرية سياسية. وهذه الممارسات نجدها في الانظمة السلطوية اجمالاً. الفكرة الاولى التي تم الكلام عنها لأول مرة كان في الاتفاق الثلاثي الذي حصل عام 1985 بين الميليشيات الثلاثة: القوات اللبنانية وأمل والحزب التقدمي الاشتراكي. واعيد الكلام فيه والمطالبة به في اجتماعات الطائف واستقر العدد على الـ 108، وبعد ذلك اصبح 128 لاسباب معروفة من الجميع.

تقول وثيقة الطائف باعتماد المحافظة ولكن دون معرفة ما هو المقصود حقيقة. لكن بحسب بعض الكتابات والمعلومات التي سألت عنها شخصياً بعض النواب الذين كانوا في الطائف، فكلهم يؤكدون انها ليست المحافظة الحالية، اي بالتأكيد ليست المحافظة القائمة اليوم، لكن دائرة اصغر منها. الكلام يبدأ من المحافظة الدائرة القضاء، الى المحافظة التي هي تقسيم المحافظة الى اثنتين او ثلاث.

فكرة التوسع لم تأت بنية تمثيل الناس بشكل افضل، اي ليست فكرة بريئة، هي فكرة سياسية مبرمجة، والمقصود منها بحسب اعتقادي - وهنا نصل الى الدائرة الكبرى - الامور التالية: الدائرة الكبرى والتي هي المحافظة، واكبر او اصغر بقليل هي الدائرة الكبرى التي تجعل الانتخابات (بدون شك نتكلم بمعايير نسبية، فكل الدوائر لها سلبيات وإيجابيات) في النظام الاكثري هي الاكثر سلبية، لأنها تجعل الانتخابات اقل تنافسية، ولأنها تعطي دوراً اكبر للسلطة في التدخل بكافة مراحل العملية الانتخابية، بتأليف اللوائح وبيوم الانتخاب وبكل مراحلها. وهي ايضا تقوي السلطة وتقوي نفوذ الزعامات الاقوى في هذه الدائرة، وتعطي هامشاً اكبر للمحاصصة داخل الدائرة وللمقايضة بين دوائر عديدة. تعطي دوراً اكبر للمال وتفتح مجالاً اكبر للتزوير والتلاعب بالانتخابات يوم الاقتراع. والاهم من ذلك ان الناخب العادي غير معني بالدائرة الكبرى. الناخب العادي ايًا كانت طائفته او ايًا كان اسمه او انتماؤه في لبنان وفي العالم كله يمكن ان يهتم بانتخاب ثلاثة أو اربعة او خمسة اشخاص، واحد لأنه يعرفه، وثان لأنه من حزبه، وثالث لأنه صاحبه، وآخر لأن جاره طلب منه انتخابه، وغيره لأنه معجب به، اي لو أخذنا كل الاحتمالات فالانسان العادي في لبنان وفي العالم يمكن ان يختار 4، 5، 6 أو سبعة اشخاص، ولكن من المؤكد ليس 15 و ليس 23 أو 28، والمتبقين هم عملية تركيب اصوات.

أود لفت النظر لامر، وهو ان هناك مسألة غائبة عن خارطة البحث ودائمًا نتكلم عنها وكأنها مسلمة، وهي موضوع سلوك الناخب. في النتيجة هذه مسألة اساسية ولم ندرسها. لم ندرس لماذا يشطب الناخب او لا يشطب، ولماذا ينتخب فلان (لأنه مؤمن بطرحه او غير ذلك) وفي نفس الوقت، نفس الناخب ينتخب شخصًا لا تربطه علاقة به. هذا الموضوع لم يدرس بعد في لبنان، ومن المهم جدًا ان يتم بحثه.

حجم الدائرة الانتخابية سنة 1992 كان بالمبدأ مهمًا اذ تم اقراره، لكن العملية آنذاك كانت هي الالم، وتوقيت الانتخابات واجراؤها بعكس ارادة معظم اللبنانيين ومعظم المرشحين من كافة الطوائف اللبنانية. وهناك دليل على هذا الشيء. الذي شارك في الانتخابات شارك لاسباب اخرى. ولكن في الاساس وحتى المسؤولين الكبار في لبنان كانوا ضد اجراء العملية الانتخابية بتوقيتها في آب 1992. وهذه كانت اهميتها.

سنة 1996 حصل دور أكبر للجغرافية الانتخابية للتلاعب بحجم الدوائر، وبرزت مصالح معينة، وهناك دوائر لها خصوصية تختلف عن غيرها، وخصوصية ترتبط تحديدًا بالوضع السوري في لبنان.

في ال 2000 حصل استهداف واضح في تركيب بعض الدوائر كما حصل في الشمال. وفي هذا الموضوع وبايجاز هناك السلطة التي لديها القرار الحاسم وهي سورية، وهناك السلطة المحلية التي لها قرار ايضا في موضوع الانتخابات وبغيرها. ويحسم الموضوع بحجم الدوائر. في هذا الاطار وكانت لكل دورة انتخابية خصوصيتها في هذا الموضوع.

الانتخابات النيابية في لبنان ما بعد الحرب باتت منفصلة عن العملية السياسية. في لبنان ما قبل الحرب كانت الانتخابات النيابية جزء اساسيًا من العملية السياسية او من التنافس بين الحكم والمعارضة. اليوم لا نستطيع تحديد موقع الحكم، ولا المعارضة معروف موقعها. لا بل المعارضات الاكبر كانت دائمًا داخل الحكم. هناك خلل بنيوي في النظام السياسي في لبنان ما بعد الحرب. والانتخابات النيابية وقانون الانتخاب ونتائجها كل ذلك هو جزء من هذه المشكلة الاكبر والاسع والتي هي تهميش العملية السياسية، واخذها باتجاه اكثر من الشكليات تمامًا كما هي الحال في الانظمة السلطوية.

وظيفة العملية الانتخابية والانتخابات، ليست تغيير النظام السياسي في لبنان وليست تغيير النظام الطائفي وليست تغيير المجتمع اللبناني. للانتخابات وظائف معينة ومحددة في الانظمة الديمقراطية، واذا اردنا ان نعتبر من هذه الانظمة، فلها وظائف معينة. ولكن كلما تكلمنا عن الانتخابات يتحول ذلك وكأنه عصا سحرية لمعالجة كافة مشاكل المجتمع اللبناني. للانتخابات وظيفة محددة ووظيفة اساسية، واذا حيننا هذا الموضوع نغرق فيه ونعطي مجالاً لغيرنا كي يقرر ويقول باننا نحن من نقرر، لأنه في النتيجة لم نعد نستطيع فهم الكلام الذي يصدر عن الاطراف الاخرى في موضوع الانتخابات.

ان لا تشعر طائفة بانها مستهدفة

المقصود بكلام التمثيل وتحديدًا الطائفي وغير الطائفي (اي طائفي وسياسي)، الا يكون هناك شعور في لبنان ان هناك طائفة مستهدفة. هذا أولاً وهذا الاساس. اذا شعرت طائفة بأنها مستهدفة من خلال تقسيم معين للدوائر، فالمشكلة هنا أكبر بكثير من المشكلة السياسية في بلد كلبنان. البعد التغييري المطروح في لبنان هو غير الذي طرح مثلاً في ايطاليا، بمعنى انه كان هناك نظام نسبي نجعله اقل نسبية لان التشرذم كبير داخل مجلس النواب، ليس هذا المطروح عندنا.

البعد التغييري المطروح عندنا وباستمرار هو مسألة تصل الى الكيانية، ولكن ذلك ليس علامة صحية ابدأ، ولا يستطيع ان يكون عندنا كل يومين قانون انتخابي جديد بحجة البعد التغييري.

يصبح البعد التغييري مهما ويمكن البناء عليه حين يتحقق الحد الأدنى من العملية السياسية الديمقراطية في لبنان والحد الأدنى من القرار، اي لا بد للبنية التحتية من ان تكون موجودة في دولة تشبه بقية دول العالم الديمقراطية، حتى تتمكن عندها من التكلم عن البعد التغييري، والذي هو مسألة كبيرة جداً وليس مسألة تقنية في لبنان. هناك اولوية اليوم، ولكن بمرحلة اخرى يمكن طرح ابعاد تغييرية، ولا تكون تطرح عندها بالمناخ الذي نعرفه اليوم.

اذا كان من تمثيل صحيح اي ليس من شعور عند اي طرف انه مستهدف طائفيًا (سياسيًا موضوع آخر) هذه الركيزة الاساسية في الوفاق وفي العيش المشترك وفي المصالحة ما

بعد الحرب، كلها مكلمة لبعضها، وليس بالضرورة فصل احدها عن الآخر. الآن من يعطي الاولوية ومن يقرر ان هذا التمثيل صحيح وانه يساعد على الوفاق؟ انها السلطة، وهي لا تنتج نفسها فقط، هناك سلطة وسلطة لها برنامجين. هناك السلطة المحلية وهناك سلطة غير محلية.

نحو نظام اكثر مقيد

عصام سليمان

في النظام الاكثري - وكما هو معروف - كلما كبر حجم الدائرة كلما ادى ذلك الى عدم تمثيل صحيح. لذلك قلنا: اذا كان لا بد من اعتماد النظام الاكثري، لان البعض يقولون ان النظام النسبي له مشاكل في لبنان، خاصة في ظل توزيع المقاعد على الطوائف، فليكن النظام الاكثري في دوائر صغرى للتخفيف من اضراره بعدم التمثيل. لذلك ليس من تناقض في الطرح. واذا قلنا انه بقي 40% في بيروت دون تمثيل فهي نسبة مرتفعة. من هنا فقضية التمثيل الارمني ليست قضية استخدمها سياسياً. انا اطرح القضية من وجهة نظر علمية. حين ينال مرشحو الارمن في بيروت 75% من اصوات الارمن ولا يتمثلون بنائب، والمرشحون الذين فازوا حصلوا على اقل من ربع اصوات الارمن وتمثلوا بأربعة نواب، معنى ذلك ان الارمن غير ممثلين، لانه اذا لم يكن من لزوم ان يمثل نظام الانتخابات في لبنان الطوائف، فلا لزوم اذاً لان تنص المادة 24 على توزيع المقاعد نسبياً على الطوائف.

الطرح الذي طرحناه كحل للمشكلة هو نظام نسبي، لأنه في النظام النسبي تتمثل اية فئة او النظام الاكثري المقيد، وهو قابل للتطبيق. ولو كان هناك نظام اكثري مقيد في بيروت، لأنني ممثلون ارمن يمثلون الارمن، وعن الموارنة وعن الشيعة وعن السنة. تقول انه يمكن ان يأخذ الرئيس الحريري 150 الف صوت وآخر ينجح بعشرة آلاف صوت، يحصل ذلك أكيد. فهناك مرشحين نجحوا مع الحريري، ولكن لو ترشحوا متقربين لما حصلوا على مائة صوت، وهم حالياً نواب في المجلس. كل الذين فازوا في لائحة الرئيس الحريري، لو ترشح احدهم منفرداً فلن

ينال أصواتًا بما يكفي. منهم من لا يصل الى 300 صوت واصبحوا نوابًا. اذا نجح ادهم بعشرة آلاف صوت أو 15 ألف صوت، معنى ذلك انه يمثل 15 الف شخص. لذلك هذا الطرح ليس طرحًا سياسيًا وهو قابل للتطبيق.

ومن المفروض وضع قيود على النظام الاكثري، خاصة اذا اردنا اعتماد دوائر كبرى، لأن النظام الاكثري ادى حاليًا الى قيام مجلس النواب، ثمانون بالمائة من اعضائه لا يمثلون احزابًا لأنهم لا ينتمون الى احزاب، انما يمثلون الاشخاص الذين ادخلوهم في اللوائح. لذلك نجد في هذا المجلس كتلاً من 25 نائبًا، بمن فيها كتلة الرئيس الحريري، لا تقوم بدورها ككتلة برلمانية في المجلس. هناك كتلة الرئيس بري تشكل عشرين نائبًا ولا تقوم بدورها ككتلة، انما تجتمع في المناسبات، كل سبعة او ثمانية اشهر مرة لتصدر بيانًا. بينما اذا اخذنا الكتل في البرلمان الالمانى أو الفرنسي او البريطاني، نرى بان هذه الكتل تقوم بدور على صعيد مراقبة الحكومة، وعلى صعيد التشريع، وعلى صعيد رسم السياسات في الدولة.

ماذا تفعل الكتل البرلمانية في المجلس النيابي اللبناني؟ لا تقوم بأي دور لأنها لا تمثل توجهات سياسية، انما تمثل الاشخاص الذين شكلوا اللوائح، وجاؤوا بهذا النوع من النواب، اتباع لمن شكّل اللوائح، وادخلهم فيها وهم لا يمثلون احدًا. هناك نواب في بيروت لا يستطيعون ان يكونوا مخاتير في احيائهم وليس نوابًا، واتوا.

انتخاب ثلاثة أو اربعة مرشحين من كل لبنان صونيا ابراهيم عطية

نحن نعيش في نظام طائفي ومناطقى ويجب ان تتمثل كل الطوائف وكل المناطق. لدى اقتراح: نقسم المناطق تبعاً للتقسيمات الحالية أو لأية تقسيمات اخرى، لأن التقسيمات تجعل المناطق تتمثل. ولكن بالنسبة لهذا الاقتراح لا يعود لها أي تأثير. لنفترض اذاً التقسيم الحالي ويكون الترشيح على الاساس الحالي. لنفترض في دائرة من الدوائر الحالية هناك تمثيل لعدة طوائف مثلاً: 1 ماروني، 2 كاثوليك، تصبح الترشيحات كما هي حالياً، ولكن الانتخاب يكون على صعيد كل لبنان. اي ان كل شخص له حق انتخاب عدد صغير، يمكن ان يكون 4 أو 6 أو 8 اشخاص ليس اكثر، ينتخبهم من كل لبنان، وعند فرز الاصوات واصدار النتائج ينجح في كل منطقة المرشح الحائز على اكبر عدد من الاصوات. مثلاً هناك 2 كاثوليك في البقاع فينجح منهما الذي يحصل على اكبر عدد من الاصوات، ولكن الانتخاب يكون من كل لبنان.

لبنان بلد صغير وهو ربما كأية دائرة صغيرة في بلد آخر، ولا يتعدى عدد سكان لبنان عدد سكان مدينة في بلد آخر، لذلك في حال حصل الترشيح عن هذه المنطقة، هذا يعني ان هذه المنطقة ستمثل، وتمثل بنفس الترتيب الطائفي. على ان يكون الانتخاب حرًا.

أود انتخاب شخص ارى انه يمثلني وهو من منطقة اخرى، فأستطيع ان انتخب مرشحاً من المنطقة التي اريدها، ولكن بنتيجة الانتخاب ينجح من مرشحي منطقة البقاع الذي ينال العدد الاكبر، على ان تتمثل كل الطوائف بنفس التمثيل الطائفي المعمول به ولكن ينجح من يأخذ العدد الأكبر ويكون الانتخاب من كل لبنان.

بهذه الطريقة، من يقول ان لبنان هو دائرة صغيرة، فهذه دائرة صغيرة. ومن يطالب بالمنطقة الصغيرة والدائرة الصغيرة فمن سينتخب الشخص غير الدائرة الصغيرة؟ يبقى ربما المرشحين اصحاب الخدمات على صعيد كل لبنان، ربما يحصل هؤلاء على اصوات كثير ومن

كل لبنان، "صحتين" اذ عندهم تطلعات على صعيد كل لبنان. هنا تتمثل كل الطوائف، وكل مرشح ينتخبه نفس العدد من كل لبنان.

لنفترض ان المقدره الانتخابية للناخب هي ستة اشخاص، في حال لم نرد حصول تقوقع طائفي، وبما ان هناك حرية انتخاب وكل واحد ينتخب الذي يريد. نستطيع القول ان كل ناخب ينتخب ثلاثة مرشحين من الطوائف المسيحية وثلاثة من الطوائف الاسلامية. هكذا لا يحصل تقوقع فلكل شخص ينتخب من كل لبنان ثلاثة مسلمين وثلاثة مسيحيين دون تحديد المذهب. ويكون الانتخاب من كل لبنان حرًا وكل شخص ينتخب من المنطقة التي يريد.

تغليب البعد التمثيلي

سليمان تقي الدين

لست معترضًا على الطابع التغييرى. ما الذي سوف نرجحه الآن في لبنان لتكون لدينا الامكانية في ما بعد لطرح البعد التغييرى في النظام؟ مشكلتنا في البلد منذ 1992 هي العيش المشترك وتفاهم الطوائف اللبنانية على الانضواء في السياسة العامة. اتكلم من هذا الباب ولا اقول انه ليست له وظيفة تغييرية. الصراع السياسى الدائر في لبنان حول دور المسيحيين ودور المسلمين في الدولة اللبنانية. ادعو الى تغليب البعد التمثيلي الذي اقره ميثاق الطائف، لكي نبرّد المشكلة الطائفية، تمهيدًا لاعادة وحدة النسيج الاجتماعى في لبنان.

اخلاص بقاعدة التوازن

طوني جورج عطالله

يتبين من البحث ان تكبير الدائرة لتأمين تنوع أكبر، أو لدمج الناس اصطناعياً، لا يؤثر إطلافاً على تعزيز العيش المشترك، بل على العكس يرفع من نفوذ ومدالخت الخارج، ومن التوترات بين الطوائف.

عام 1996 خاض البقاع لأول مرة منذ الخمسينات تجربة الدائرة الانتخابية الواحدة. لكن انتخابات البقاع في ظل نظام الأفضية في دورات 1964 و 1968 و 1972 وحتى 1992 كانت أفضل من التقسيم على اساس المحافظة التي أظهرت فشل تجربة الدائرة الكبرى.

يتمتع البقاع بشبه توازن بين طوائفه: المسيحيون يحظون فيه بأكثرية في قضاء زحلة، والسنة بأغلبية في البقاع الغربي وراشيا، والشيعية بأكثرية قوية في بعلبك الهرمل. أدى اعتماد محافظة البقاع دائر قواحدة، أي توسيع مساحة الدوائر - الأفضية عن طريق الدمج تحت شعار تحقيق "الوحدة والإنصهار"، الى تنامي مشاعر متشابهة لدى جميع الطوائف: اعتبرت التجربة تقنياً للمسيحيين، وإضعافاً للسنة، وإغراقاً للشيعية. ان فتح حدود الدوائر - الأفضية، أو إزالتها بشحطة قلم، لدمج الناس اصطناعياً، أسفر عن شعور كل طائفة بأن ضماناتها أصبحت تحت سيطرة الطوائف الاخرى وبمعزل عن إرادة أبنائها.

الوضع الانتخابي في ظل الدوائر الأفضية هو على الوجه الآتي: زحلة الكاثوليكية، تنتخب نوابها الكاثوليك وتؤثر في اختيار بقية النواب. وبعلبك الشيعية، تختار نوابها الشيعية وتقرض نواب الطوائف الاخرى. وسنة البقاع الغربي ينتخبون مرشحي طائفتهم ويدلون بأصواتهم الحاسمة للمرشحين الآخرين.

اما الوضع الانتخابي في ظل الدائرة-المحافظة فقد أفضى الى النتيجة التالية: لم يعد بإمكان أي طائفة الإدعاء بالتأثير الفاعل في الانتخابات، وظهر شعور لدى الأقليات الصغرى

بأن الأقليات الأكبر منها عددًا تتحكم بمصيرها كطوائف وبخيارات ممثليها كنواب عن الأمة. أدى هذا الواقع إلى الإخلال بقاعدة الاختيار الحر والتوازن بين الطوائف. وكادت انتخابات البقاع في أيلول سنة 1996 وما رافقها من نعرات طائفية ومذهبية، أن تحطم صورة التضامن بين الطوائف اللبنانية التي ظهرت في نيسان 1996 في مواجهة عدوان "عناقيد الغضب" الإسرائيلي. ففي اليوم التالي لصدور نتائج الاقتراع تبادلت الأطراف الرئيسية الممثلة للطوائف، والتي كانت بقيت طوال مراحل الحرب خارج النزاعات الداخلية، تبادلت حملات الاتهام التي أخذت حيزًا كبيرًا في وسائل الإعلام.

وما يقال عن دوائر البقاع ينحسب بأبعاده النفسية على العديد من القضايا الأخرى مثل مرجعيون وجزين في الجنوب وبشري وبلدة مرياطة في الشمال وغيرها. الدوائر - القضايا الطوائف هي أكثر إطمئنانًا إلى التوازن القائم وإلى صحة التمثيل. كشفت تجربة الدائرة - المحافظة عن ظهور مخاوف عند الجميع وأدكت النعرات الطائفية بدل إحلال الوئام واللحمة.

Représentativité et gouvernabilité

Quelles unités de mesure

Carole Charabati

Mon intervention n'est qu'un bref "zoom-in" sur les méthodes empiriques dans l'analyse de la géographie électorale au Liban. Après avoir consulté plusieurs études quantitatives du processus électoral au Liban (notamment K.Feghali, K.El-Khazen, et autres publications du LCPS, E. Elia, etc.), plusieurs éléments m'ont marquée, à savoir:

- Le recours à une unité d'analyse de facto qui n'est pas la meilleure
- L'absence de données et de variables empiriques adéquates.
- L'absence de techniques statistiques solides.
- L'idéologisation de la recherche.

La plupart des études empiriques ont été construites autour de données disponibles au chercheur au lendemain du processus électoral comme: nombre d'inscrits, nombre d'électeurs, nombre de sièges et de candidats, par circonscription, par caza, ou par communauté. Ces données ont l'avantage d'être faciles à collecter, mais l'inconvénient d'imposer au chercheur une unité d'analyse qui n'est pas nécessairement la bonne (la circonscription, le caza ou la communauté.) De plus, ces variables ne mesurent pas les deux concepts qui sont au centre du débat sur la géographie électorale: la représentativité et la gouvernabilité. Tout découpage électoral est sencé aspirer à maximiser et la représentativité des électeurs et la gouvernabilité par les élus, sachant que les deux variables sont inversement proportionnelles. Or, ni la représentativité ni la gouvernabilité ne peuvent être cernées par le genre de données compilées au lendemain des élections. Pour mesurer ces deux variables, des sondages et enquêtes sur échantillon doivent être faits. Un effort d'opérationnalisation de ces concepts permettra de trouver des mesures subtiles.

1

La représentativité, et l'électeur comme unité de base de l'analyse

Pour mesurer la représentativité, des questions du genre "est-ce que vous vous souvenez des candidats", ou encore "est-ce que vous avez eu l'occasion de rencontrer vos députés", ou même "est-ce que vous êtes satisfait des divers choix politiques de vos députés" devraient être posées. Les questions doivent produire une mesure précise et objective de la représentativité ("validity and reliability maximization".) Dans ce cas, l'unité d'analyse ne serait autre que l'électeur, avec la possibilité d'introduction des dimensions sociale, économique, géographique, et autre.

2

La gouvernabilité, et l'élu comme unité de base de l'analyse

Pour ce qui est de la gouvernabilité, il faut penser au parlement, aux comités parlementaires, et aux projets de loi et lois qui en résultent, ainsi qu'au gouvernement, aux crises de gouvernementales... Là, il faudra trouver un moyen de mesurer le degré de dysfonction des deux institutions. L'unité de l'analyse, dans ce cas, est l'élu. Bien entendu, là aussi les dimensions sociale, économique, géographique etc. peuvent être introduites.

Finalement, la recherche électorale au Liban est un peu victime du processus électoral lui-même et des données empiriques qui en résultent. Les chercheurs ont tendance à compter le nombre de votes maronites, sunnites, chiites, etc. pour un tel ou un tel et passer à côté du problème de la représentativité et de la gouvernabilité. Le chercheur devrait se détacher de la réalité politique pour concevoir des données empiriques plus objectives, qui mesurent mieux les concepts et le lancent plus dans la validation empirique de la théorie politique plutôt que le débat idéologique.

3

La méthode statistique

Pour ce qui est de la méthode statistique, les études empiriques que j'ai consultées ne vont pas plus loin que la simple corrélation. Aujourd'hui, des méthodes bien plus sophistiquées sont disponibles au chercheur. Ces méthodes permettent de déterminer le degré de certitude de toute conclusion, d'introduire des variables de contrôle (Logit, Probit, multiple regression), ou d'explorer le sens de la causalité (Simultaneous equations, Vector-Auto regression). Le recours à de simples tableaux corrélatifs entre deux variables peut produire des résultats exagérés, parfois opposés à la réalité !

Alors que le politicien cherche à manipuler le processus électoral, il est impératif que le chercheur prenne des distances et conçoive sa recherche de sorte que les résultats soient insensibles à la manipulation. Les méthodes statistiques doivent être choisies dans ce sens.

اربع قطاعات ناخبة

مصطفى سليمان

وليس خطأ ان يطرح مشروع برلمان عربي، فقد سبق وان طرح مفكرون سياسيون لبنانيون موضوعاً مماثلاً. نتذكر مجلس المبعوثين او تجربة البرلمان الاوروبي. وهذا يساعد ليس فقط على اجوبة كالتى طرحها الرئيس قواس عن الوضع الاقليمي، لنستعمل مصطلح المجتمع العربي او الوطن العربي او المستقبل العربي.

تقديم محاولة حول تشكيل الهيئة الوطنية لالغاء الطائفية السياسية. من خلال الدراسات، خاصة الاجتماعية، واستطلاعات الرأي التي تابعتها في العشر سنوات الماضية في لبنان وخصوصاً في الانتخابات البرلمانية والبلدية (وهذا مفتاح آخر لفهم المسألة الديمقراطية في لبنان)، نجد ان الانتخابات البلدية جرت بصوت مواطن وليس بصوت طائفة، وكانت مثلاً يمكن ان يدرس ايضاً في مسألة الجغرافية وليس فقط في المسألة البرلمانية.

الغائب في الاساس الدستوري في لبنان أمران: الصفة المواطنة والتشكيل التنظيمي لنعوذ مواطنين. لا احد من اللبنانيين مساءً للآخر على الاطلاق. انا لا أسوي احداً ولا احد يساويني، وقد اكون اقل الناس شأنًا. الكتل السياسية المركبة والقانون المركب، يجعل كل شخص بمفرده معدوم القيمة، حتى في المحكمة انا واحد من الناس لا اجرؤ على رفع دعوى امام المحكمة لانني متأكد بأنني خاسر.

المشكلة الفعلية في الحل هي مرجعية استطلاعات الرأي العام التي اجريت في لبنان في كل الدوائر الانتخابية. والمؤتمر العلمي الوطني الذي اجري بعد انتخابات سنة 1996 في فندق ماريوت، كانت فيه اوراق وطنية من كل المشارب والمنابر العلمية والسياسية، وصلنا فيه الى خلاصة وفيها انه اذا استطعنا اعداد قانون انتخاب يقسم المجلس النيابي الى اربعة ارباع. الربع الاول يمثل بمرشح فردي: القضاء. والربع الثاني يمثل بمجلس فردي، ما يمسنه اتحاد البلديات، وهو مجزوء في لبنان. اتحاد البلديات في لبنان قانون يشمل بنعمته بعض المناطق ويحرم بنعمته بعض المناطق. وهنا يفتح مسألة الانماء المتوازن والديمقراطية الاجتماعية اذا لم تتوفر ديمقراطية اجتماعية اقتصادية، عبثاً نبحث عن ديمقراطية سياسية، ويصبح كل مطلب اجتماعي او ديمقراطي او اقتصادي، يصبح مسألة طائفية. اذ المقاعد الادارية للاقضية مقعد فردي، ومقاعد مجالس البلديات مقعد فردي. والربع الثالث نعطيه للمحافظات على قاعدة التمثيل

النسبي في لائحة المحافظة. ويبقى الربع الرابع وهو لائحة واحدة على مستوى لبنان دائرة واحدة، وايضاً انتخابات نسبية.

ماذا نعطي المواطن كي يصوت؟ فقط اربعة اسماء: اسم اداري للقائمقامية، اسم اداري لاتحاد البلديات، اسم لائحة او اسم شخص للمحافظة على قاعدة الانتخابات النسبية، واسم على مستوى لبنان.

ماذا يؤثر ذلك على مستوى الحل؟ هو يعطينا برلماناً لا تقتصر علاقته على المفاوضات والمصالحة والتفاوض او الحوار فقط، بل يصبح للبرلمان علاقة يومية بالقائمقامية ومجلس القائمقامية والشأن الاداري، وعلاقة يومية بكل البلديات وبالمجلس البلدي، وعلاقة بالتمية الاجتماعية والاقتصادية، وبالزراعة والنهر والمياه الملوثة والنفايات... وحين يصبح عندنا ممثلو محافظة بصبحون اعضاء حكماً في مجلس المحافظة. هل يوجد في لبنان قانون محافظة اسمه مجلس المحافظة؟ كلا لا احد يسمع به. وعلى المستوى المركزي يمثل السياسيون في الدائرة المركزية لبنان في دائرة موحدة. عندها ايّا كانت طائفة فلان ومن حيثما اتى وكان منبعه، اكان مجنساً او لا، اكان قبطياً او سنياً او مارونياً او شيعياً... فله الحق ان يترشح وله المكان كي يترشح. وهذه حلول مقدمة للنقاش، نشر بعضها وعقدت نقاشات حول بعضها في مؤتمرات.

شريعة الاتفراس!

يوسف حوراني

لم اعرف في التاريخ ان هناك طائفة ألغت نفسها الا بالاكراه فتتحول الى طائفة اخرى. وأسأل هنا: هل الذين طرحوا هذا المبدأ او هذه الفكرة كانوا يعتمدون على دراسة الطبيعة الانسانية؟ اهتم بالجوهر وليس بالظاهرة، فطبائع الانسان او طبيعة الانسان او غريزته كما كانت تسمى هي غريزة الانتماء. فحتى لاعب الكرة يسأل الى اي فريق ينتمي حتى يعرف كيف يأخذ موقفًا.

كمبدأ ادافع عن الانسان بان يكون له انتماء. واذكركم بان مشكلة العالم المعاصر بأمله ومشكلة افغانستان اليوم بالتحديد، تقوم على البحث عن نظام يماثل النظام اللبناني اعني ان تكون له ما نسماه كوتا لجميع الاقليات وجميع الطوائف وجميع المكونات، لمجتمع متعدد الطوائف والتكتلات.

قبل الحرب "المباركة" - واتمنى ان تكون مباركة نستعيد منها - جاءنا وفد من ايرلندا يسأل عن مقومات النظام اللبناني التي تمنع الاصطدام بين الطوائف، ليمنعوا بواسطة هذه الخبرة اللبنانية الاصطدام بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا. نحن وصلنا الى هذا النظام بعد خبرة ستة آلاف عام من التجارب ومن اللجوء للاقليات وللطوائف، بفعل عدم وجود حق للطوائف كأقليات ان تعيش في بلدان اخرى. كنا في لبنان الملجأ لها، وحصلت جميعها على حريتها وعلى حقها بان تشارك في المجتمع. فكيف نبيح نحن لانفسنا بان نلغي هذا الحق المرصود في الدستور؟

كيف لنا ان نلغيه لنعود الى شرعة حق الاتفراس؟ لا لتشريع الاتفراس للطوائف الكبيرة المسيطرة، لا لتفراس اتمنى ان يكون للجميع حقوق، لان لبنان هو البلد الذي نريده المثال، ليس

لحل مشكلتنا المحلية، بل لحل مشكلة عالمية فتكون انظمتنا ابجدية جديدة نعممها على العالم
لحل مشاكله، وهي الموجودة بالدرجة الاولى في الطائفيات وعند الاقليات المهذورة الحقوق.

التوفيق بين الانتمائي والتعاقدى

سمير خوري

اشهر العازفين في العالم لا يستطيعون تنفيذ اية مقطوعة الا بعد ان يتوافقوا على المقطوعة التي يؤلفونها. تمامًا كما اشهر فناني العمارة، لا يستطيعون بناء اي شيء ان لم تتوفر رسمة لهذا البناء المنوي انجازه. اطرح الاسئلة التطبيقية.

1. في 7 آب 1996 اقر المجلس الدستوري اللبناني بديهيات، وجاء بعده عمليتي انتخاب. ما قيمة نص لا يطبق، ومن عنده القدرة لتعطيل هكذا نص.

2. صحيح اننا نريد انتخابات، ولكن في واقع الحال ومع الانتخابات سيكون هناك تغيير وادارة التغيير، وهذا شيء جيد، ولكن ان ننطلق الى تقسيم دوائر انتخابية بذهنية اعادة انتاج الناس في نفس المواقع، هو فعل غلط. لكي يكون هناك انتاج شيء جديد في الانتخابات، لا بد من التوافق على ان يكون هناك تغيير، وبموجب التغيير نقوم بالتقسيم او يحصل التقسيم وهو يؤدي الى فعل تمثيل باتجاه التجديد.

3. صحيح انه عندنا في لبنا جهاز رسمي هو البرلمان، وهو مبدئيًا المقر الذي لا بد من ان يتفاوض حول كل الامور ويمتص كل الصدمات الممكنة. ولكن بواقع الحال هناك جهاز آخر يقوم من وقت لآخر، وهو شبه رسمي، انها القمم. وهناك جهاز ثالث وهو غير رسمي، انه الشارع. هل هناك موقف من حسم امرين، اما الانتمائي في لبنان او التعاقدى. هل يتم التعاقدى على حساب الانتمائي، ام الانتمائي على حساب التعاقدى؟ وكيف يجب ان يكون الاثنان؟

حين يثبت هذا الامر على المستوى المبدئي، يصبح اكثر سهولة ايجاد التقسيمات الادارية للقضايا الانتخابية. جرى كلام بمنتهى الخطورة وهو دمج، بحالة انزلاق فكري، ما بين الطائفة وسوء ادارة العملية الانتخابية.

لا يوجد اي دستور تردفيه كلمة "انصهار"، عدا الدستور اللبناني الذي وردت فهي كلمة "الانصهار" مرتين. كيف يمكن ان يكون هناك صهر وطني وانصهار، اي إلغاء كل الخصوصيات والمميزات لكل الناس، ومن ناحية اخرى يحافظ هذا الدستور على العيش المشترك. نعود الى السؤال المبدئي: كيف يمكن ان نوفق ما بين التعاقد والانتماي؟

خطوط استمرارية النموذج اللبناني

موريس نهرا

تدل التجربة في لبنان ان البرلمان في معظم الحالات، لا يعالج بالعمق القضايا التي تهم المجتمع اللبناني والشعب اللبناني. وفي حالات الازمات يصبح مشلولاً. وحتى ان مؤسسات اخرى للدول تصبح عديمة الفاعلية. هل النموذج اللبناني صالح في ان يستمر؟ هل الاساس الطائفي للقانون الانتخابي وللنظام السياسي برمته هو مثل صحيح للعالم؟ نحن نفاخر بأننا بلد الرسالة والعيش المشترك. من يخرب العيش المشترك بين الطوائف؟ ليس وجود الطوائف بل النظام الذي يغذي التوتر ليكون لبنان بلد الرسالة والحوار الحضاري الناجح، ينبغي ان ننزع منه فتيل الانفجار.

لماذا تبحث باستمرار الزعامات السياسية والطائفية اللبنانية عن سند خارجي يدعمها لتحسن موقعها وحصصها في الحياة السياسية او في الدولة؟ الصراع بمنحى محاصصات طائفية

يدفع كل فريق للبحث عن جهة اخرى في الخارج يستند اليها، سواء في المحيط العربي او في الخارج الاجنبي البعيد. هذا جزء من التاريخ السياسي في البدل، ولا زال مستمرًا وهذا لا يجوز. لقانون الانتخاب ابعاد لا تتعلق فقط بالجغرافية، انما من حيث توفير مناخات الاندماج والاعتدال في صحة التمثيل. لذلك انا مع وجهة نظر التعديل او إجراء تغييرات في قانون الانتخاب على قاعدة الدائرة الموسعة والنسبية ليؤمن برلمان يعكس حقيقة الحياة السياسية والقوى السياسية الحية والفاعلة.

قيم الجمهورية

ايلين حداد

ما يهنا حين نتكلم عن التنشئة السياسية هو التربية السياسية لطلابنا، التربية على الديمقراطية الغفران وقبول الآخر. التشرذم في التصورات الاجتماعية تعطي نوعاً من المنطق الذاتي، وهو يفسر بما يسمى العلاقة الزائفة *La corrélation illusoire* اي ما بين المواطن والانتماء للوطن. يقتضي حق قيم الجمهورية *Les valeurs de la République*. حين اكون مواطناً لا تعود تهمني التقسيمات الجغرافية.

حقيقة الاحصاءات

كمال فغالي

هناك مجموعة تناقضات: سأحدث عن البعض منها. اعتبار النظام الاكثري غير تمثيلي في الدائرة الكبرى وتمثيلي في الدائرة الصغرى مع اخذ بيروت كمثال (40% لم ينجح منهم احد) هذا التناقض مفاده ان في النظام الاكثري قد يحصل على 50% ناقص واحد ولا يتمثل، ان هذا المثل غير صحيح. ثانياً ليس صحيح ابداً انه تمثيلي في الدائرة الصغرى. اكبر مثال منطقة جبيل، سنة 1996 كانت اصغر دائرة (من ثلاثة نواب) ونجح نواب بـ 19% من الاصوات. اي ان عدد المرشحين يؤثر النسبة معنى ذلك ان 80% لم يتمثلوا، فالـ 40% ليسوا مظلومين، وهو امر عادل الا يتمثل الـ 40% في النظام الاكثري.

من ناحية التمثيل نتوجه اما الى نظام الدوريتين، وفي هذا النظام يجوز ان 50% ناقص واحد لا يتمثلوا ولكنه افضل من الاكثري البسيط. او نتوجه الى طرح دكتور سليمان القديم وهو النظام المركب، اي نسبي مع قليل من اكثري وتكون بذلك نتوجه نحو النسبية ويكون التمثيل اكبر.

الموضوع الثاني وهو الاكثري المقيد، هو غير قابل للتنفيذ في بلد مثل لبنان: انه شعار جميل وفيه نية حسنة لانه يساوي بين الناخبين، لكنه لا ينفذ. مثال على ذلك:

لو افترضنا انتخاب اربعة نواب او عشرة او اي عدد آخر، على ان يكون نصفهم مسلمين والنصف الآخر مسيحيين. نأخذ بيروت مثلاً، انتخب المواطنون فحصل الحريري على 135 الف صوت لانهم اختاروه كلهم. وحصل الحص في السنة على 15 الف والخامس

والسادس اخذ عشرين... او خمسة اصوات، فينجح الذي حصل على الاصوات الخمس والذي حصل على 150 الف صوت.

سنة 1996 كان يقال ان الارمن حققوا فوز لائحة الحريري وانهم يصوتون مع السلطة. مشكلة الارمن وتمثيلهم مطروحة في كل مكان. وضع الشيعة في جبيل مماثل لان المسيحيين ينتخبوهم، ولا يحق للسنة بمقعد في جبيل لان تركيبة لبنان هي على هذا النحو. هذه المرة احدث الرئيس الحريري دينامية عند الناخبين الارمن، فتوفرت ديمقراطية اكبر، لان الارمن يصوتون دائماً بنسبة تفوق 90% للائحة السلطة، وهذه اول مرة، انكسرت القاعدة.

بالنسبة للاحصاءات حول المقاطعة والمشاركة اود ان اقدم رقمًا قد يكون مفيدًا. قمت بإحصاء ميداني قبل مرحلة التحضير لانتخابات الـ 2000 على ثلاثة اقصية: البترون والكورة وزغرتا، وفيها حوالي 150 الف ناخب. قام احصائيون باحصائهم فردًا فردًا على لوائح الشطب، فحصلنا على نسبة حوالي 20% لم يكن يجب ان ينزلوا على اللوائح بينهم مغتربون منذ اكثر من 40 - 50 سنة لم يحضروا ابداً الى لبنان، ومتوفون ولا زالت اسماؤهم غير مشطوبة، واسماء مكررة اي نقلوا نفوسهم ولا زالوا مسجلين... وعسكريين. وتكون عمليًا نسبة المقاطعة او اللامبالين اقل مما ذكر، اي شارك حوالي 45%، و20% تقريبًا هم عجزة ومرض ولا مبالين او قاطنين في اماكن بعيدة.

الخروج عن لائحة الزعيم

محمد ميشال غريب

الدائرة الفردية تعفينا من معظم مشاكل الانتخابات. اولاً مشاكل اللوائح. حتى اليوم ليستطيع المرشح الجديد مواجهة الجمهور والشعب عليه الدخول في لائحة، وعليه ان يساوم زعيم اللائحة: كم مليون دولار تريد لتضعني ذنباً من اذنانك على لائحتك الانتخابية؟ نتكلم عن الامور بصراحة، الناس تصوت للائحة الزعيم، ومن يضع من اذنانك على هذه اللائحة سوف يأتي، والزمن الحالي امثله بأخطبوط مالي بلع لبنان كله. اللائحة التي يتبناها ويصرف عليها ستصل. لننته من هذه القصة باعتماد الدائرة الفردية.

المدخلات الخارجية

حسن قواس

تحدث دكتور مسرّه عن الازمات والاشكاليات المتعلقة بالوضع الانتخابي والجغرافية الانتخابية في لبنان منذ القديم وحتى اليوم وقدم الحلول. لكنه أغفل التدخل السياسي الغريب في السياسة اللبنانية. نحن نشهد اليوم في العالم الشرقي اوضاعاً وتغيرات سياسية خطيرة. الدول الكبرى القوية تتدخل في سياسات الدول التي هي في طريق النمو. نرجو ان يعطى هذا الموضوع جانباً مهماً. نذكر في تاريخنا الماضي كيف كان الانتداب شأن وتأثير، ثم جاء الاستقلال ونعم لبنان به ومر في زمن الازدهار. وعرفنا كيف ان زمن الازدهار كان مهماً في حياتنا الوطنية المبنية على العيش المشترك، وكيف تدخل الغريب فكان تدخل من هنا وهناك. نذكر مثلاً التدخل الناصري في مرحلة من مراحل الحياة اللبنانية. والتدخل الغريب الاجنبي كان يؤثر في السياسة اللبنانية.

تمثيل وتمثيل... مشاركون

كل الناس في كل العالم هويتهم مركبة، انما البلدان الديمقراطية حلت مشكلة الهوية المركبة وتمثيلها عبر النظام السياسي بكامله الذي يستوعب هذه المشكلة. اللامركزية استوعبت مثلاً البروتون Breton والاحزاب اوصلت يهوديًا ليصبح فابيوس Fabius الهوية المركبة موجودة عند كل الناس، منطقة وطبقة وطائفة او دين وثقافة وكل شيء.

دور النظام الانتخابي تمثيلي، تمثيلي ليس بمعنى مسرحي. قال احمد بيضون "تمثيل التمثيل". المقصود من عملهم؟ طبعًا السياسة. اذا لم توصل هذه السياسة الى الناس حقوقها ومطالبها، فسوف يفرز المواطنون طاقمًا جديدًا او سياسة جديدة. للنظام الانتخابي بعد تغييره، وليس تمثيليًا بالمطلق. والبعد التغييرى اساسي لانه في الديمقراطية لا يوجد سوى هذه الوسيلة ليستطيع المرء القيام بشيء ما.

بالنسبة للدائرة الفردية اخاف من ان يملكها المال والاقطاع، لانه حين نجتمع اللبنانيين يصبح العدد خمسة آلاف وستة آلاف "بيطلعو" (يأتون) نائب وايا كان يشتريهم!
